

الدَّارس في تاريخ المدارس

عبد القادر النعيمي الدمشقي
(ت ٩٢٧ هـ)

حرَّره مُحررٌ بعنوان
تنبيه الطالب وإرشاد الدارس

إعداد وتقديم
الدكتور عمَّار محمَّد النَّهار


الهيئة العامة
السورية للكتاب


وزارة الثقافة


دار ومؤسسة رسلان
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: 00963 11 5627060
فاكس: 00963 11 5632860

الدّارس في تاريخ المدارس

تصميم الغلاف
خالد يزبك

الدَّارس في تاريخ المدارس

عبد القادر النعيمي الدمشقي
(ت ٩٢٧هـ)

حرَّره مُحررٌ بعنوان

تنبيه الطالب وإرشاد الدارس

إعداد وتقديم
الدكتور عمَّار محمَّد النَّهار

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٤م

الدارس في تاريخ المدارس / عبد القادر النعيمي الدمـــشقي؛ إعـــداد وتقديم عمار محمد النهار .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتـــاب، ٢٠١٤م.- ٢٩٦ ص؛ ٢٤ سم.

(إحياء ونشر التراث العربي؛ ١٩٥)

١- ٣٧٠,٩٥٦١١١ ن ع ي د ٢- ٩٥٦,١١١ ن ع ي د

٣- العنوان ٤- النعيمي ٥- النهار ٦- السلسلة

مكتبة الأسد

مُقدّمة

يتحدث هذا الكتاب الذي بين أيدينا عن عصر ذهبي مرَّ على مدينة دمشق، فكساها حلة العلم والأدب، وزيَّنها بمئات المراكز العلمية، فصارت قبلة للراغبين في تحصيل العلم والمعرفة، ومطمعاً للعلماء الساعين للتدريس وللرحلة العلمية، فهو أهم كتاب يبسط لنا النهضة العلمية في دمشق خلال خمسة قرون، ويصف لنا تسابق أبنائها في إنشاء دور العلم والمعاهد والمؤسسات الخيرية، وقد استهلك مؤلِفه عُمُرَه في كتابته وترتيبه والزيادة عليه.

وترجع أهمية هذا الكتاب أيضاً إلى أنه يمثِّل تأريخياً عمرانياً لمدينة دمشق، هذا التأريخ الذي عدَّه المؤرخ الكبير السخاوي (ت ٩٠٢هـ) فرعاً من فروع علم التاريخ الأساسية، لما عبَّر أن «بناء جامع أو مدرسة أو قنطرة أو رصيف أو نحوها» من ضمن هذه الفروع.

والمستغرب أنه كان لأوروبة السبق في الإفادة من ذخائر هذا الكتاب، لمّا قام المستشرق الفرنسي سوفير بنشر ترجمة فرنسية لمختصر العلموي للدارس في المجلة الآسيوية (١٨٩٤م - ١٨٩٨م).

وبكل الأحوال؛ ظهر هذا الكتاب هو ومؤلفه في نهايات عصر المماليك، هذا العصر الذي لم يكن عادياً بمقاييس كثيرة، وهو عصر اتُّهم اتهامات بعيدة عن حقيقته، منها أنه عصر جمود وتقليد وانحطاط، ولا أبلغ في الرد على هذه الأوصاف الجائرة مما ورد في كتاب الدارس الذي يُدلل على حدوث نهضة علمية شاملة.

مؤلف هذا الكتاب هو محيي الدّين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن نعيم النُّعيمي الدمشقي الشافعي الشيخ العلَّامة، مؤرِّخ دمشق، وأحد محدِّثيها، مولده ووفاته فيها.

وُلِد يوم الجمعة الثاني عشر من شوال سنة خمس وأربعين وثمانمئة للهجرة، ولازم العلماء، وقرأ عليهم، وأجازوا له، وشيوخه كثيرة، ذكرهم في تواريخه، منهم: إبراهيم الناجي، وزين الدين عبد الرحمن بن خليل، وزين الدين خطاب الغزاوي، وزين الدين مفلح بن عبد الله الحبشي المصري الدمشقي، وكان له تلاميذ نجباء في مقدمتهم ابن طولون الصالحي.

وألَّف كتباً كثيرة، منها: «الدارس في تاريخ المدارس»[1]، و«تذكرة الإخوان في حوادث الزمان»، و«التبيين في تراجم العلماء والصالحين»، و«العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان» و«القول البين المحكم في إهداء القرب للنَّبيِّ ﷺ»، و«تحفة البررة في الأحاديث المعتبرة»، و«إفادة النقل في الكلام على العقل» وغير ذلك.

توفي سنة ٩٢٧هـ، ودُفن بالحمرية، رحمه الله تعالى، وهي من مقابر دمشق القديمة، وكانت تقع غرب مشفى المجتهد، وقد أُزيلت منذ نحو سبعين سنة، والمُسنُّون من أهل المنطقة يعرفونها جيداً.

ظهر هذا الكتاب - كما أسلفنا - في عصر المماليك، وفيه قامت دولة المماليك سنة ٦٤٨هـ واستمرت قرابة ثلاثة قرون، حتى سنة ٩٢٣هـ وبين التاريخين سطَّرت هذه الدولة أمجاداً كثيرة، فعسكرياً استطاعت أن تنهي الوجود الصليبي في بلادنا، وتمكنت من وقف زحف المغول المدمر. ودبلوماسياً ناشدتها

(١) منعاً لأي لبس نذكر أن أصحاب التراجم لم يذكروا كتاباً باسم (الدارس في تاريخ المدارس) إلا للنعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ، وبعضهم ذكروه باسم (الدارس في تواريخ المدارس).

دول العالم آنذاك تطلب ودها وتنشد عقد المعاهدات معها. واقتصادياً باتت هذه الدولة أكبر قوة اقتصادية في العالم. أما علمياً فحدّث ولا حرج؛ إذ تأسس في ذلك العصر عشرات المدارس بأنواعها المختلفة.

وبالإجمال؛ عصر المماليك هو العصر الذي أضحت فيه مصر وبلاد الشام مركزاً مهماً للتجارة العالمية والطريق الرئيسة لتجارة الشرق، وبوابة العبور إلى أوروبة؛ الأمر الذي يفسر في ضوء ذلك تلك الثروة الواسعة التي تمتع بها المماليك، وذلك الثراء الضخم وما نتج عنه من اتساع النشاطات الدينية والفكرية.

انقسم عصر المماليك إلى دولتين، هما: الدولة البحرية: ومؤسسها عز الدين أيبك، وحكمت نحو (١٣٥) عاماً بين سنتي ٦٤٨-٧٨٤هـ، وهي لطائفة المماليك التي أسكنها سيدها الصالح نجم الدين الأيوبي بقلعة الروضة في نهر النيل فعُرفوا بالبحرية، وصاحَبهم هذا الاسم.

والدولة الثانية: هي دولة المماليك الجركسية، وأصل ملوكها من الجنس الجركسي؛ لذلك سُموا بهذا الاسم، وسُموا باسم آخر هو البرجية؛ لأن المنصور قلاوون عندما أكثر من شرائهم حتى بلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف وسبعمئة أسكنهم في أبراج قلعة الجبل، وقد استمرت هذه الدولة قرابة (١٣٩) عاماً، ويعد مؤسسها الظاهر برقوق العثماني الجركسي.

وكانت القاهرة عاصمة السلطنة المملوكية، وامتدت حدود دولتهم والأراضي التي سيطروا عليها شمالاً حتى طرطوس وملطية وحلب، وشرقاً حتى الفرات، وجنوباً حتى شمالي الحديدة في الحجاز، وجنوب مصر، وامتدت حدودها الغربية على ساحل المتوسط من دمياط ورشيد حتى برقة، وجعل سلاطين المماليك مركز بلاطهم قلعة الجبل على جبل المُقَطَّم في القاهرة، وكانوا يسكنون أيضاً في قلعة أخرى هي قلعة الروضة على نهر النيل.

وفي ذلك العصر، كانت الشام محطَّ نظر المماليك واهتمامهم، فكانت مصر وبلاد الشام مقسمة في عصر المماليك إلى مناطق إدارية كثيرة، وكان للشام أجمعه رئيس يسمى: نائب الشام، يقيم في دمشق أو حلب، ويشرف على جميع أمورها وموظفيها وأموالها، وله مساعدون من وزراء وحجّاب وكتّاب إنشاء وكتّاب سر، ودواوين ومُفتين وقضاة ومحتسبين وولاة.

وقُسّمت بلاد الشام إلى ست نيابات كبيرة، أُضيفت إليها نيابتان صغيرتان فأصبحت ثماني نيابات. وما يهمنا من هذه النيابات نيابة دمشق: وتسمى أيضاً الشام، فقد قال القلقشندي: «فإذا قال سلطاننا بلاد الشام أو نائب الشام لا يريد به إلا دمشق ونائبها». وهو أهم نواب الأقاليم وأعظمهم شأناً حتى أن رتبته لم تكن تقل عن رتبة نائب السلطنة بالقاهرة، فقد كان أوسع نواب الأقاليم الشامية نفوذاً بل كان الوحيد الذي يستحق نائب السلطنة غير النائب بمصر، ويطلق عليه اسم (النائب الكافل) أو كافل الممالك الإسلامية (أو الشامية)، ويصدر بتعيينه في وظيفته تقليد خاص، وينوب عن سلطان مصر في إدارة شؤون نيابته ويتمتع بالسلطة الكاملة والنفوذ المطلق اللذين يتمتع بهما السلطان نفسه.

لقد أصبحت دمشق وحلب نيابتين مملوكيتين بعد معركة عين جالوت وانهزام التتار سنة ٦٥٨هـ، وبقيتا فترة طويلة تمثلان نيابات بلاد الشام تحت الحكم المملوكي، وكان لكل واحدة منهما مهام خاصة، فكانت نيابة دمشق تختص بمواجهة الصليبيين الذين كانوا يحتلون الشريط الساحلي الشرقي للبحر المتوسط، وكان عليها الاستعداد الدائم لصد هجماتهم، ومنع توسعهم، ورد غزواتهم، والاستعداد لتحرير الأرض منهم في الوقت نفسه.

وكانت الظروف تقتضي من السلطان المملوكي أن يحتفظ بالشام ودمشق على الخصوص كمنطقة قوية عسكرياً واقتصادياً لحماية مصر؛ لذلك

قام سلاطين المماليك بحشد قوات عسكرية مملوكية في بلاد الشام ودمشق على الخصوص، وكانت ترتبط بنائب دمشق الذي يرتبط بالقاهرة. وكان السلطان المملوكي يعطي نائب دمشق سلطات كبرى قياساً على باقي نيابات الشام، ومن هذه السلطات أن تكون مراجعة نواب الشام للسلطان عن طريقه، وكذلك يكون سفرهم بإذنه.

وفي دمشق، حكم في عصر المماليك ٧٨ نائباً، وكانت لنائب دمشق امتيازات كثيرة: فهو المسؤول عن نواب الشام جميعهم، وهو أقوى رجل بعد السلطان، وهو الذي تتصل حدود نيابته بدار السلطنة في القاهرة، وإذا ما خرج عن طاعة السلطان فإنه يُعرِّض سلطنته إلى خطر شديد.

وأما مدة حكم النائب، فتختلف تبعاً لمزاج السلطان وشخصية النائب، وهي تتراوح بين بضعة أسابيع وبضع سنين، ولم يشذ عن ذلك إلا نائب دمشق الكبير الأمير سيف الدين تنكز الناصري الذي حكمها ثمانية وعشرين عاماً متواصلة، وهو ما لم يكن له مثيل من قبل ولا من بعد.

ولا بد أن نذكر - قبل الانتقال إلى المدارس - أثر عصري الزنكيين والأيوبيين في دمشق: إذ يُعدُّ عصر نور الدين محمود بن زنكي الشهيد بداية العصر الذهبي الثاني لدمشق بعد العصر الأموي.

فقد جاء نور الدين إلى دمشق وهي تستردُّ أنفاسها، بعد السنوات العجاف التي أتت عليها، فحقَّق فيها نهضة عمرانية وعلمية مذهلة؛ بالإضافة إلى الإنجازات العسكرية الضخمة التي حققها على الفرنجة، وكان من أجلِّ أعماله ضم مصر إلى الشام وإعادتها كما كانت في العصر الأموي.

ويُمكن القول بحق؛ إن دمشق في عصر نور الدين والأيوبيين كانت قلب العالم الإسلامي النابض والمؤثِّر، جمعت كلمة العرب المسلمين بعدما

تحوَّلت بغداد إلى ما يشبه العاصمة الدينية لهم، من جرَّاء فقدانها للقوة العسكرية الضاربة التي كانت تتمتع بها في العصر العباسي الأول.

لقد قام نور الدين ببناء أكثر من مئة مدرسة ومسجد وترميمها في دمشق، وأعاد تنظيم الأوقاف، وشهد عهده بداية تأسيس الصالحية التي غدت زهرة دمشق في العصر الأيوبي.

وكان نور الدين رجل الدولة الحقيقي في دمشق، ومن هنا كانت عظمته الحقيقية التي امتاز بها عمن جاء بعده، من أمثال صلاح الدين، والعادل وأولاده. فقد جمع إلى جانب جهاده وأعماله العمرانية والتنظيمية ورعاً وزهداً وعفة، وكان من حسن حظ دمشق في عهده، أنه وُفق في اختيار قادته ومساعديه من أمثال نجم الدين أيوب، وشيركوه، وصلاح الدين، وغيرهم.

ثم استمر الحكم الأيوبي لدمشق ما يقرب من ثمانية وثمانين عاماً، شهدت دمشق خلالها نهضة عمرانية وأدبية وعسكرية ما تزال آثارها إلى اليوم، ولعل من أجلِّ إنجازاتهم العمرانية نموّ ضاحية «الصالحية» وازدهارها، وإقامة عشرات المدارس والمساجد الكبيرة فيها، كما يُشاهد اليوم بوضوح.

وقد عبَّر الشعراء عن هذه الصورة في مواضع عديدة، فقال أحدهم عن السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب:

بنيــت لأربــاب العلــوم مدارســاً ... لتنجو بها مـن هـول يـوم المهالـك

ثم جاءت دولة المماليك لتكمل إنشاء المؤسسات العلمية والتربوية، وكان الأيوبيون قد سبقوها بإنشاء المدارس، لكن هذه المدارس زادت أعدادها في عصر المماليك زيادة لم تكن في أي عصر من العصور العربية الإسلامية في مصر والشام، وكذلك المساجد التي نشأت مع ظهور الدين

الإسلامي، زادت أعدادها أيام المماليك بشكل ملفت، وازدهرت باقي المؤسسات كالمكتبات والبيمارستانات والربط والزوايا والخوانق. وكل ذلك كان بسبب ازدهار الوقف الإسلامي وفاعليته.

ولا بد أن نتحدث - بعد هذا التمهيد - عن المدارس بشكل عام ومدارس دمشق بشكل خاص؛ إذ تعددت الآراء في أول مدرسة أُنشئت، ويعود ذلك إلى الخلط بين المدلولات والمصطلحات، فعندما نبحث في تاريخ المدارس الإسلامية يجب أن نتجنب التعبيرات ذات المدلولات العامة غير المحددة، فقد اعتاد بعض الكتاب المعاصرين في كتاباتهم عن تاريخ الإسلام وحضارته أن يطلقوا كلمة المدرسة على كل معهد علمي، وهذا يعني أن فكرة المدرسة - ذات الهدف المعين والنظام المخصوص التي تسير عليه وكان لها في خدمة التعليم الجامعي الإسلامي دور بارز له مميزاته وخصائصه - لم تظهر إلا بعد القرن الرابع الهجري، وهي بالطبع نتيجة لخطوات أخرى سابقة لها كالمساجد، ودور العلم، والمكتبات، والأسواق، والمنازل، وغيرها.

فلم تكن المدرسة الرسمية معروفة في عصر الصحابة والتابعين؛ وإنما استُحدثت على رأي في القرن الخامس الهجري، وأول من حفظ عنهم أنهم بنوا مدرسة في الإسلام هم أهل نيسابور، إذ بنى الأمير نصر بن سبكتكين المدرسة البيهقية والمدرسة السعيدية.

ويرى آخرون أن بلاد ما وراء النهر كانت أسبق البلاد الإسلامية إلى تأسيس المدارس الفقهية المنفصلة عن المساجد، حيث ظهرت فيها أقدم مدرسة فقهية معروفة في العالم الإسلامي في حدود سنة ٢٩٠هـ. وبعد ستين سنة تقريباً، ظهرت في نيسابور أقدم مدرسة فقهية وحديثية أسسها العرب وهي مدرسة حسان بن محمد الأموي. وفي سنة ٣٥٤هـ تلتها مدرسة ابن حسان

التميمي البُسْتي، وتوالى تأسيس المدارس من قبل السلاطين والأمراء والتجار العرب والعجم، حتى بلغ عدد هذه المدارس سنة ٤٥٩هـ ما ينوف على ثلاثين مدرسة، قبل تأسيس المدرسة النظامية في بغداد والنظاميات الأخرى.

ويرى بعض المؤرخين أن أول من بنى المدارس في الإسلام واقتدى به الناس بعد ذلك الوزير نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي وزير السلطان السلجوقي ملكشاة ألب أرسلان بن داود، شرع ببناء مدرسته النظامية الكبرى ببغداد عام ٤٥٧هـ، وفي عام ٤٥٩هـ جمع الناس ليدرسوا بها.

وذكر السيوطي في حسن المحاضرة أن الحافظ الذهبي أنكر على من زعم أن نظام المُلك أول من بنى المدارس، وقال: إن المدرسة البيهقية والمدرسة السعيدية بنيسابور كانتا قبل أن يُولد نظام الملك.

أما في دمشق، فإن أول مكان منفصل عن المسجد كانت تلقى فيها الدروس، ويخصص له المدرسون والأوقاف هو «خانقاه دويرة حمد» التي تأسست في حدود سنة ٤٠٠هـ، أما المدرسة الثانية، فهي «دار القرآن الرشائية» التي تأسست في أوائل القرن الخامس الهجري تقريباً، والمدرسة الثالثة هي «المدرسة الصادرية» التي تعد أول مدرسة فقهية حنفية في دمشق، ولكن ليس أقدم مدرسة فيها لأنها بُنيت سنة ٤٩١هـ.

أما أول مدرسة بُنيت في القاهرة، فهي المدرسة الناصرية المؤسسة سنة ٥٦٦هـ.

وهكذا نرى أن دمشق سبقت بغداد بتأسيس المدارس بنحو ستين عاماً، وسبقت القاهرة بمئة وستة وستين عاماً، وسبقتها بلاد ما وراء النهر بأكثر من مئة عام.

وقد تطور عدد المدارس في دمشق خلال ألف عام تقريباً كالآتي:

- في عصر السلاجقة كان عددها ١٧ مدرسة.
- وفي عصر نور الدين وصلاح الدين أصبح ٣٢ مدرسة.
- وفي القرن السابع الهجري (في العصرين الأيوبي والمملوكي) أصبح العدد أكثر من ٩٠ مدرسة.
- وفي القرن الثامن الهجري (في العصر المملوكي) بلغت ١١٥ مدرسة للقرآن والحديث والفقه.
- وفي القرن التاسع الهجري (في العصر المملوكي) ارتفع العدد إلى ١٥٠ مدرسة.
- وفي العصور التالية بدأت المدارس تخرب وتندثر.

أما النشاط العلمي في هذه المدارس، فكان واضحاً، فكما أن المقريزي (ت ٨٤٥هـ) في خططه قد أرَّخ للنهضة العلمية في عصر المماليك في القاهرة وما حولها، فإن النعيمي قد أرَّخ للنهضة العلمية في دمشق وما حولها من خلال كتابه «الدارس في تاريخ المدارس»، وصوَّر فيه الحياة العلمية والثقافية في دمشق من القرن الخامس وحتى العاشر الهجريين، وأشار الدكتور صلاح الدين المنجد إلى الأهمية القصوى لكتاب الدارس بقوله: «ما أعرف بعد كتاب-تاريخ دمشق لابن عساكر كتاباً أجلَّ منه».

فلقد شُيِّد في عصر المماليك من المدارس «ما ملأ الأخطاط وشحنها» كما عبَّر القلقشندي، وقد ازدهرت دمشق في هذه المدة بمئات المدارس الكبيرة المختلفة، فكان فيها مدارس للقرآن والحديث، وللمذاهب الفقهية الأربعة وللطب. وتحدث ابن شداد (ت٦٨٤هـ) في كتابه الأعلاق الخطيرة عن وجود (٩٠) مدرسة للمذاهب الأربعة في هذه المدينة.

وقد أسس هذه المدارس ملوك دمشق وسلاطينها وأمراؤها وولاتها وأزواجهم وأخواتهم من الأميرات والخواتين، ونساؤها العالمات، وعلماؤها وقضاتها وتجارها. وقد وقف أولئك جميعاً على هذه المدارس المتعددة أوقافاً وافرة من الأموال والقرى والضياع والبساتين والحوانيت والخانات والقاعات، حتى أصبحت دمشق وأرباضها أوقافاً لهذه المدارس المبثوثة في كل حي من أحيائها، فكانت هذه الأوقاف تدر المال عليها وتُرغِّب الطلاب في التعلم فيها.

ولعل دمشق قد تفرَّدت في ذلك الزمن بعدد المدارس الذي زاد على مئة وخمسين مدرسة، وفاق بذلك مدارس بغداد والقاهرة وبيت المقدس وجميع مدن العالم الإسلامي، ونظرة إلى كتاب النعيمي «الدارس في تاريخ المدارس» تبين أننا لا نبالغ فيما نقول، وكما يقول الدكتور المنجد رحمه الله فإن دمشق تفردت بمجد آخر من بين بغداد والقاهرة وبيت المقدس؛ إذ كانت أسبق هذه المدن الثلاث إلى تأسيس مدارس خاصة بالعلوم أي الأمكنة التي تتخذ لتلقي علم واحد على أيدي شيوخ موقوفين عليه، متميزة بذلك عن حلقات المساجد.

وعرفت دمشق المساجد منذ دخول المسلمين إليها، وتفاخرت بها منذ أن بنى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الجامع الأموي، وذكر ابن عساكر أنه كان بدمشق في عهده مائتان واثنان وأربعون مسجداً، وفي أرباضها مئة وثمانية وسبعون، ومجموعها أربعمئة وعشرون مسجداً.

وبعده بقرن ذكر ابن شداد أسماء ستمئة وستين مسجداً بدمشق، أي أن العدد زاد أكثر من مائتي مسجد؛ وذلك بسبب نشوء مناطق جديدة، مثل الصالحية وغيرها.

ومنذ ذلك الوقت أخذت أعداد المساجد بالتزايد حتى بلغ عددها في عصر المماليك ٣٩٧ مسجداً، باستثناء ما بُني في قراها.

ولا بد أن نشير هنا إلى أمر مهم جداً، يتعلق بأثر الأوقاف في الحياة العلمية والعمرانية، وقد ظهر ذلك جلياً في كتاب الدارس؛ الذي بين أيدينا، إذ كان ريع الأوقاف المصدر المالي الأساسي لغالبية المراكز العلمية في العصرين الأيوبي والمملوكي، ويُفهم من هذا أن الإقبال على إنشاء المدارس واستمرار التعليم فيها إنما هي في الحقيقة من نتائج ازدهار الأوقاف وانتشارها.

وتؤكد المصادر التاريخية العلاقة التي لا تنفصم بين المساجد والمدارس والأوقاف؛ فلقد كان للأوقاف الفضل الأول في احتفاظ المساجد الكبرى بشهرتها العلمية من ناحية، واستمرارها مراكز للحركة العلمية من ناحية ثانية. فمن الملاحظ أنه لم يُبنَ مسجد إلا وقد قُرر له وقفه الذي سيُصرف منه عليه، وعلى القائمين ببنائه والعمل به من الأئمة والخدام والمؤذنين والمدرسين ونحو ذلك.

وإذا ما انتقلنا إلى المدارس، فإننا سنجد الحال نفسها؛ وذلك لأنه على الرغم من كثرة أعداد المدارس آنذاك إلا أنه لم يكن هناك سياسة تعليمية للدولة أو للسلاطين؛ وإنما كانت الدوافع الدينية والسياسية السبب في إنشاء المدارس، وهذا ما أعطى الأوقاف أهمية خاصة بالنسبة للتعليم، فالأوقاف هي التي ثبتت أركان المدرسة ودعَّمت نظامها، ومكَّنتها من أداء رسالتها، وكان الريع الذي تقدمه الأعيان الموقوفة على المدرسة شهرياً أو سنوياً نقداً أو عيناً هو الضمان لاستمرار العمل بالمدرسة، إذ تدفع منه مرتبات موظفي المدرسة، والطلبة بحسب شرط الواقف.

توزعت الأوقاف على مدارس ذلك العصر الكثيرة، وكان ذلك سبب توجه المدرسين إليها، وإقبال طلبة العلم عليها، وفي حين أدى انقطاع الوقف إلى توقف أنشطة بعض المدارس وإغلاقها، يقول المقريزي عن

المدرسة الجمالية: «وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها وتخريبهم أوقافها، وتعطل منها حضور الدرس».

ومن أجل ذلك كله أدرك مشيِّدو المدارس أهمية الوقف، ودوره في استمرار عمل المدرسة، فصاروا يرتبونه ويحضرونه قبل البدء بإنشائها، فقد ذكر ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ) أن المدرسة الظاهرية مثلاً «لم يُشرع في بنائها حتى رتب أمور أوقافها». وهذه دار القرآن الخيضرية في دمشق، التي أنشأها قاضي القضاة محمد الخيضري وأوقف عليها أوقافاً كثيرة دارَّة. ودار القرآن الصابونية في دمشق، أنشأها أحمد بن علم الدين الصابوني، وشرط الواقف فيها قراءة البخاري كل ثلاثة أشهر، وإقراء القرآن الكريم، وبنى تجاهها مكتباً موقوفاً لأيتام عشرة مع شيخ يقرئهم القرآن العظيم، ويُصرف على كل ذلك من الوقف، وكان ذا جهات كثيرة، قرى في بيروت، وقرى في غوطة دمشق، وقرى في بعلبك، وأخرى في حوران، وقرى وبساتين أخرى في مناطق متفرقة.

والخانقاه اليونسية التي أنشأها في دمشق الأمير الكبير الشرفي يونس دوادار الظاهر برقوق، وقف عليها الدكاكين التي خارج باب الفرج، ودرَّس فيها أفاضل العلماء. والزاوية السيوفية بدمشق، أنشأها عيسى بن شاه أرمن الرومي، وأوقف عليها قريتي عين الفيجة ودير مقرن بوادي بردى.

وبرزت في دمشق في عصر المماليك ظاهرة ملفتة، تدل على الجو العام الذي كانت تعيشه هذه المدينة في ذلك العصر، وهو ازدهار الوقف العلمي ومساهمة الجميع في ذلك؛ إذ يقف الدارس لكتاب الدارس للنعيمي على ميزة لأهل هذه المدينة ربما لم تتوفر عند غيرهم، وهي وقف بيوتهم بعد مماتهم مدارس علمية، ولضيق المساحة نعطي مثالاً واحداً عن ذلك، ويمكن متابعة بقية الأمثلة

في متن هذا الكتاب، فهذه دار الحديث البهائية؛ كانت داراً للشيخ بهاء الدين أبو محمد القاسم، فوقفها آخر عمره داراً للحديث النبوي الشريف، ودرَّس فيها أفاضل العلماء، وتخرج فيها طلبة علم كثيرون بفضل هذا الوقف.

ونأتي إلى الأوقاف وأثرها في نظام التعليم، وتنظيماته الإدارية والمالية: إذ إن كتاب الوقف كان اللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية التي تضم: نظام المدرسة، والأسس التربوية للتعليم، والشروط التي ينبغي أن يتصف بها القائمون بالتدريس والموظفون، ومواعيد الدراسة، ونظام سكن المدارس، والمرتبات، وغير ذلك من التنظيمات الإدارية والمالية.

فقد ارتبط نظام المدرسة بعدد من الوظائف المهمة، وتأتي على رأس هذه الوظائف؛ وظيفة النظر، وهي من أهم الوظائف التي ترتبط بالمؤسسة التعليمية، ويُسمى صاحبها بالناظر، وهو: من ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها وترفع إليه حساباتها لينظر فيها، فيمضي ما يمضي ويرد ما يرد. ومن مهمات الناظر الإشراف على المؤسسة التعليمية بكل أساسياتها، من عمارتها وأوقافها والنشاط القائم بها، والاعتناء والمحافظة عليها.

ومن الوظائف المتعلقة بالمدارس وظيفة البوَّاب، ومهمته تنظيم الداخلين إلى المدرسة والخارجين منها، فيمنع دخول من ليس له ارتباط بها، ومن الأمثلة على ذلك بوَّاب خانقاه ركن الدين بيبرس، وقيل: «لا يمكِّن بوّابها غير أهلها من العبور إليها والصلاة بها لما لها في النفوس من المهابة، ويمنع الناس من دخولها حتى الفقهاء والأجناد»، وجلس في المدرسة الحجازية عدة طواشية لا يمكِّنون أحداً من عبور القبة إلا القرَّاء، وفي وقت قراءتهم فقط.

وعرفت المدارس وظيفة نقيب الطلبة، ومهمته مراقبة أحوال الطلاب والاهتمام بشؤونهم، وحُددت وظيفته (كما في لائحة الوقف) بأن «يرتب

الحاضرين ومن يدخل عليهم على قدر منازلهم، ويوقظ النائم، ويشير إلى من ترك ما ينبغي فعله، أو فعل ما ينبغي تركه، ويأمر بسماع الدروس والإنصات لها».

كما وُجد في مدارس ذلك العصر وظيفة تشبه وظيفة الموجه ومراقب الدوام في عصرنا، وسُمي صاحبها كاتب الغيبة، واقتصرت مهمته على تسجيل أسماء الطلاب الغائبين عن دروسهم، والسؤال عن أسباب هذا الغياب، وسماع أعذارهم في ذلك، وضبط أسماء الحضور، والتأكد من سماعهم للدرس.

وحُددت كذلك مواعيد الدراسة ونظام العطل، واختُلف في ذلك بين المرحلتين الابتدائية والعليا، وقد حرص الواقفون على تحديد مواعيد الدراسة في المرحلة الابتدائية بدقة؛ إذ وجب على المؤدب أن يجلس بالمكتب في كل يوم من الأيام خلا يوم الجمعة وأيام المواسم والأعياد، ويمكث لتعليم الأطفال من أول النهار إلى وقت العصر سوى يومي الثلاثاء والخميس حيث يمكث فيهما إلى وقت الظهر.

وأما أعداد الطلاب، فقد حُددت في بعض الأحيان في كتاب الوقف، وتركت من دون تحديد في أحيان أخرى، مع تحديد عدد المدرسين، واختُلف عدد الطلاب من مدرسة إلى أخرى، وكان يتراوح بين مئة أو عشرين طالباً.

وأما المدرسون، فقد تصدى العلماء للتدريس في مدارس عدة، وهنا يتدخل الوقف كذلك؛ إذ وردت بعض الفتاوى التي تشترط التدريس في مكان واحد، ومنها فتوى المفتي محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان الكناني المصري (توفي ٧٤٩هـ) مدرِّس الفقه بالمدرسة الناصرية، فقد «أفتى في واقف وقف مدرسة على الفقهاء ومدرِّس ومعيد وجماعة

عيَّنهم، قال: ومن شروط المذكورين ألَّا يشتغلوا بمدرسة أخرى غير هذه المدرسة، ولا يكون لواحد منهم تعلق بمدرسة أخرى»، ووافقه على ذلك شيخ الحنفية في ذلك الوقت.

وكان للأوقاف دور في المساكن الدراسية التي كانت تلحق بالمدارس، وتساعد الطلبة على التفرغ لدراساتهم، ولاسيما القادمين من مناطق بعيدة، وبنيت هذه المساكن «لتكون معينة على تحصيل العلم والتفرغ له، والتجرد عن الشواغل في أوطان الأهل والأقارب»، وبذلك يكون ذلك العصر قد عرف بما يسمى اليوم المدن الجامعية.

وكان السكن المدرسي يسير على نظام معين حسب لائحة الوقف؛ يتألف من شروط السكن وأنظمته، وقد خصص ابن جماعة لذلك باباً بعنوان: «في آداب سكنى المدارس»، فمن ذلك أن يتعرف الطالب شروط المدرسة قبل أن يقيم فيها ليؤدي حقوقها.

أما المرتبات والمعونات، فكانت من الأوقاف؛ إذ خُصص للمدرسين وللطلبة مبالغ مالية أجريت عليهم شهرياً؛ بالإضافة إلى المعونات العينية، وكل ذلك كان من الأوقاف، وكان لذلك الأثر الواضح في استمرار نشاط المدرسة.

وقد اختلفت المرتبات ما بين مدرسة وأخرى على حسب كتاب الوقف؛ فدار القرآن الدلامية في دمشق، أنشأها أحمد بن دلامة البصري، وجعل لها أوقافاً، ويصرف من هذه الأوقاف (كما في كتاب الوقف) كالآتي: إمام وله مئة درهم، قيم وله مثل ذلك، ستة أنفار من الفقراء والغرباء المهاجرين في قراءة القرآن، لكل منهم ثلاثون درهماً في كل شهر، شيخ لإقراء القرآن وله مئة وعشرون درهماً، ستة أيتام لكل منهم عشرة دراهم في كل شهر، شيخ يقرأ البخاري كل ثلاثة أشهر وله مئة وعشرون درهماً، ناظر له ستون درهماً في الشهر، وغير ذلك.

وأمام هذا النشاط العمراني والتعليمي الكبير، كان لا بد أن تزدهر العلوم، وتظهر الإبداعات؛ إذ ازدهرت في ذلك العصر أنواع العلوم والفنون المختلفة، وظهرت مؤلفات كثيرة مهمة ومعتمدة حتى هذا اليوم، سواء في العلوم النظرية - كعلوم الدين وعلوم اللغة العربية، وعلوم التاريخ والجغرافية- أم العلوم التطبيقية في الطب والصيدلة والهندسة والكيمياء والفلك والرياضيات، والعلوم العسكرية، وعلم الموسيقا والغناء، وعلوم الحيوان والنبات.

واحتوت هذه المؤلفات على إبداعات ومادة علمية ثمينة وقيمة، وخصوصاً تلك الأسبقيات التي أُنجزت أول مرة في تاريخ العلوم، ففي العلوم النظرية مثلاً أبدع عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) باباً جديداً من أبواب الفقه هو باب المقاصد، بترجيع الفقه الإسلامي كله إلى اعتبار المصالح ودرء المفاسد، وذلك في كتابه «القواعد الكبرى»، وألَّف محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) أول كتاب يتناول تربية الإنسان من المهد إلى اللحد بشكل تخصصي وموسع، وهو «تحفة المودود بأحكام المولود»، وقدَّم محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) أكبر معجم لغوي ظهر في الأزمنة الماضية وهو «لسان العرب»، وكتب خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) أول مؤلف في تراجم مشاهير علماء الأمة العميان وهو «نكت الهيمان في نكت العميان».

وشهد ذلك العصر إبداع طريقة كتابة المكفوفين المصطلح عليها اليوم بلغة برايل، وتم ذلك على يد العالم علي بن أحمد الآمدي (ت بعد عام ٧١٢هـ)، كما شهد إبداعاً لا يقل أهمية عن إنجاز الآمدي وهو إبداع علم التعمية واستخراج المعمى (الشيفرة والتشفير) على يد علي بن محمد بن الدريهم (ت ٧٦٢هـ) في كتابه «مفتاح الكنوز في إيضاح الرموز»، وظهر أحمد بن ماجد النجدي (ت ٩٢٣هـ) الذي وصف لأول مرة السحائب

الجنوبية الصغرى والكبرى، ونسب الأوروبيون هذا الإنجاز لماجلان حينما أطلقوا عليها اسم سحائب ماجلان.

ظهرت أيضاً في ذلك العصر إبداعات الطبيب المشهور علي بن أبي الحزم بن النفيس (ت ٦٨٧هـ) وأهمها اكتشافه للدورة الدموية الصغرى المعروفة بالدورة الدموية الرئوية، وهو أول من قال إن الدم يُنقى في الرئتين، وأثبت أن قلب الإنسان ليس له إلا بُطينان وليس ثلاثة كما كان يُظن قبله، ووصف لأول مرة معالجة كسل العين (الغطش) بتغطية العين السليمة، إلى غير ذلك من إبداعاته العديدة.

وعُد محمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨هـ) أول من تكلم عن علم المشاركة والتكافل بين الحيوانات من خلال كتابه «حياة الحيوان» ، وتوصل آيدمر بن علي الجلدكي (ت ٧٦٢هـ) إلى قانون النسب الثابتة في الاتحاد الكيميائي، وقرر أن المواد «لا تتفاعل إلا بأوزان متعددة ومحددة»، كما توصَّل إلى فصل الذهب عن الفضة بوساطة حمض النتريك، وهو أول من أبدع الكمامات في مخابر الكيمياء.

وشهد ذلك العصر في مجال العلوم التطبيقية أيضاً إبداع أول ساعة ميكانيكية على يد علي بن إبراهيم بن الشاطر (ت ٧٧٧هـ)، وشهد أول صناعة للرعادات (الطوربيدات) المزودة بمحركات صاروخية، وأنجز ذلك العالم السوري الحسن الرماح (كان حيّاً بين عامي ٦٧٤-٦٩٥هـ).

وازدهرت في ذلك العصر هندسة العمارة، حتى عُدَّ عصر المماليك العصر الذهبي للعمارة العربية الإسلامية، فخلَّف كثيراً من العمائر التي تدل على وصول مهندسي ذلك العصر إلى ذروة الإتقان، سواء منها العمائر الدينية أم العلمية أم المدنية.

- **من هو محرر كتاب الدارس؟**

وهي قضية مهمة لم تُحسم إلى اليوم، وتحتاج منَّا إلى تبيين، كونها تتعلق بحقيقة اسم مؤلف كتاب الدارس أو محرره؛ إذ إن نصَّ مقدمة هذا الكتاب بحاجة إلى تدبر وتأمل، فقد جاء فيه أن محرِّره كان قد شرع في جمع مدارس دمشق الشام، ثم يقول: «فإذا شيخنا الإمام العالم المؤرخ المحقق المدقق محيي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد النُعيمي الشافعي قد سبقني إلى جمع ذلك»، ويظهر أن الظروف لم تسمح للنعيمي بتبييض ما جمعه ونشره، إذ يقول المحرر: «ولكنها عنده في مسودتها إلى الآن».

فأظهر المحرر غِيرة، وطلب من أستاذه النعيمي تبييض هذه المسودة، لَّما قال: «فسألته في تبييضها على طول الزمان»، ولكن النعيمي «تعلَّل بضعف الحال، وهمِّ العيال».

ويظهر أن النعيمي أدرك أن ظروفه ستعيقه عن تبييضها؛ لذلك أمر المحرر «بتعليق ذلك ناسجاً على منواله». وبدأ المحرر بالمهمة بقوله: «فقابلتُ أمره بامتثاله»؛ وإنما بتصرف يسير دلَّ عليه قوله: «غير أني ربما اختصرت تراجم متصدريها الأعلام، اعتماداً على الطبقات وتواريخ الإسلام، وها أنا أشرع فيما أراد مستعيناً برب العباد»، وضمَّنه ما أعطاه له النعيمي، وسمَّاه: «تنبيه الطالب وإرشاد الدارس».

والنتيجة المهمة هنا، أن أصل هذا الكتاب هو للنعيمي وكان معنوناً بـ (الدارس في تاريخ المدارس)، وقام أحد ما بتحريره تحت عنوان: (تنبيه الطالب وإرشاد الدارس)[1].

---

(١) هاتفتُ أخي وصديقي خبير المخطوطات الأستاذ عبد الرحيم يوسفان في هذه القضية، فأخرج لي نسخة من مخطوط الدارس، وهي نسخة شستر بتي، في بريطانيا، برقم ٣٤٣١، وقد كتب عليها المفهرسون: نسخة نقلت عن مسودة المؤلف في حياته، وفيها زيادات مهمة في الحواشي. وكما ترى فإن هذا يحسم هذه القضية، ويبقى أمامنا التعرُّف إلى محرر الكتاب.

ولم أر - ممن تعامل مع هذا الكتاب سابقاً - أنه انتبه لهذه القضية الأساسية، ومنهم صلاح الدين المنجد رحمه الله تعالى، صاحب الجهود التراثية العظيمة، إذ إنه لم يُشر إلى ذلك عند تحقيقه لفصل من هذا الكتاب، وسمّاه: (دور القرآن في دمشق)، وذكر أن هذا الجزء هو من كتاب (تنبيه الطالب وإرشاد الدارس) للنعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ، فلم ينتبه أن هذه هي تسمية المحرر لا المؤلف. وقال هذا الكلام نفسه عند تحقيقه لكتاب (مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس) لعبد الباسط العلموي.

ومنهم عبد القادر بدران، صاحب كتاب (منادمة الأطلال) الذي سار فيه على نهج النعيمي، سمّى الكتاب (تنبيه الطالب وإرشاد الدارس)، ثم قال: (للفاضل عبد القادر النعيمي).

أما طبعة الدارس التي صدرت عام ١٩٩٠م عن طريق دار الكتب العلمية في بيروت، فذهبت مذهباً آخر، عندما جعلت عبد القادر النعيمي شخصية أخرى ذاكرة وفاته - على غلاف الكتاب - سنة ٩٧٨هـ، وهو خطأ ظاهر، ولم تُرفق هذه الطبعة بمقدمة أو دراسة أو اسم محقق، وأُشير إليها بعبارة (أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين).

وأمام هذا الغموض، نسأل، من هو هذا المحرر؟

حقيقة، جهدتُ في أثناء تحقيقي لهذا الكتاب وتهذيبه أن أعرفه، ولكن وللأسف الأدلة التي بين يدي على ذلك شحيحة؛ بل ورد ما يؤيد ما ذهبنا إليه من أن الذي بين أيدينا هو التحرير وليس كتاب الدارس نفسه؛ إذ إن هذا التلميذ تحدَّث عن الزاوية الصمادية، وذكر أن واقفها توفي سنة ٩٣٢هـ، أي بعد وفاة النعيمي بقرابة خمس سنوات، وذكر أن مصدر خبره هذا هو أحد أبناء النعيمي واسمه يحيى.

وذكر أيضاً - في أثناء حديثه عن المسجد الجديد ومن خلاله عن ميادين دمشق -: «قلت: بل أربعة؛ ميدان الحصى وهو قبلي دمشق وفي أوله مصلى العيدين ثم يمتد، وهو محلة كبيرة عامرة الآن ولله الحمد، والثاني: ميدان ابن أتابك، وأدى المصنف عني عن هذين الاثنين، والثالث: ميدان القصير وكانت عليه محلة عامرة بالسكان والمساجد فخربت إلا القليل، والرابع: ميدان الشرف الأعلى وقد استولى عليه الخراب».

وهنا المقصود بالمصنف النعيمي طبعاً الذي ذكر ميدانين، وأتمهما المحرر إلى أربعة.

ومن باب التوقع؛ فهناك من رجَّح أن يكون هذا المحرر هو شمس الدين بن طولون (ت ٩٥٣هـ)، ومنهم جعفر الحسني، وهو من الذين حققوا هذا الكتاب سنة ١٩٤٨م[1]، ومنهم صلاح الدين المنجد في كتابه (معجم المؤرخين الدمشقيين)، وأظهر جزماً أنه ابن طولون، وسرتُ على هذا بداية لسببين منطقيين؛ الأول: كون ابن طولون أشد التلاميذ ملاصقة ومتابعة لشيخه النعيمي، وسمع منه وأجازه مرات، والثاني: أن ابن طولون كان - في كتابه القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية - ينقل عن النعيمي بقوله: «وقال شيخنا المحيوي النعيمي».

ثم استبعدتُ هذا التوقع بعد أن وقعتُ - في أثناء تحقيق هذا الكتاب وتهذيبه - على أخبار رواها هذا المحرر، أبعدها زمناً الخبر التالي في معرض حديثه عن المساجد، يقول: «مسجد عند رأس درب كرار المعروف بابن

(١) عن طريق المجمع العلمي العربي، لكن هذا التحقيق غصٌ بالأخطاء، فوضع صلاح الدين المنجد على الجزء الأول منه كُتيباً ضمنُه ٥٠٠ خطأ. ثم صدر تحقيق الحسني بطبعة ثانية عام ٢٠٠٦م عن طريق المكتبة الثقافية الدينية في القاهرة، وتوقعت تدارك الأخطاء التي فيه، وإذا بهذه الطبعة ليست إلا تصويراً عن طبعة ١٩٤٨م !!.

المخشي، له إمام ووقف، ثم هذا المسجد هُجِر مدة، إلى أن أذن الله تعالى بعمارته سنة تسع وستين وتسعمئة»، بالإضافة لأخبار أخرى تجاوزت سنة ٩٥٣هـ، فتبخَّر التوقع لأن ابن طولون توفي سنة ٩٥٣هـ.

وبما أن أبعد خبر رُوي في هذا الكتاب كان سنة ٩٦٩هـ، كان عليَّ أن أبحث عن رجل آخر توفي في هذه السنة أو ما بعدها، مع الترجيح أنه من عائلة النعيمي، لورود عبارات في الكتاب تُشعر بذلك، منها قوله: «قال والدي المؤلف لهذا الكتاب المشار إليه - تغمَّده الله برحمته - في تاريخه: وفي يوم الخميس حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع عشرة وتسعمئة توفي الشيخ المبارك حسن الجباوي السعدي»، وقوله: «الذيل في ذكر الجوامع من ملحقات سيدي الوالد الماجد»، وغير ذلك كما سيرد.

وهنا ذهب ظني إلى ابن للنعيمي اسمه يحيى؛ إذ كان اسمه يُذكر صراحة في هذا الكتاب، بغير صيغة المتكلم، وهذه بعض الأمثلة:

- قال المحرر عند حديثه عن المدرسة اللبودية النجمية: «وقال وَلَد المؤلف هو الشيخ محيي الدين يحيى: وفي سنة تسع وأربعين وتسعمئة أقامها جديدة....».
- وقال عند حديثه عن الزاوية العمرية: «قال وَلَد مؤلف هذا الكتاب سيدنا ومولانا شيخ الإسلام بقية السلف الكرام أبو زكريا محيي الدين يحيى، الشهير بوالده مؤلف هذا الكتاب: أنشأ هذه الزاوية رجل يقال له الشيخ عمر الإسكاف الحموي...».

وقال عند حديثه عن الزاوية الصمادية: «انتهى قول وَلَد المؤلف شيخ الإسلام أبو زكريا محيي الدين، ختم الله له بخير وعفا عنه...».

وقال عند حديثه عن الزاوية السعدية: «قال والدي المؤلف لهذا الكتاب المشار إليه - تغمَّده الله برحمته - في تاريخه: وفي يوم الخميس حادي

عشر جمادى الأولى سنة أربع عشرة وتسعمئة توفي الشيخ المبارك حسن الجباوي السعدي...».

وقال عند حديثه عن الزاوية السعدية أيضاً: «قال وَلَد المؤلف لهذا الكتاب مولانا الشيخ العالم العلَّامة شيخ الإسلام الشيخ أبو زكريا محيي الدين النعيمي، عفا الله عنه، في ذيله على تاريخ والده المشار إليه: ثم ولي المشيخة مكانه بالزاوية المذكورة ولده الشيخ حسين... وإن الشيخ سعد الدين سقف الزاوية وعلَّاها... وبيَّضها بالجص، وذلك في أواخر سنة أربع وستين وتسعمئة».

وفي موضع آخر من الكتاب شيء غريب ومهم في الوقت نفسه؛ إذ ربما ينسب المحرر تأليف هذا الكتاب ليحيى مباشرة، وذلك لما قال عند حديثه عن جامع المزة: «قال كاتبه خويدم الطلبة والفقراء أبو زكريا يحيى بن النعيمي مؤلف هذا الكتاب تغمده الله برحمته: قد خرب هذا الجامع الصفي وبطلت الصلوات فيه من مدة سنين، إلى أن أمر مولانا السلطان سليمان بن عثمان بعمارة جامعه والتكية مكان قصر الملك الظاهر، أُخذت آلات جامع الصفي إلى ذلك وكذلك آلات جامع النيرب، وحصل للسيد تاج الدين عبد الوهاب الصلتي بمقتضى ذلك هم وغم كثير، وكان ذلك في سنة خمس وستين وتسعمئة».

ثم إني وجدت أن قضية المحرر هذا لا تتوقف عند يحيى الابن، فبعد بحث طويل وشاق في كتب التراجم، وقعتُ على ترجمة لأحمد بن عبد القادر النعيمي، وظننته بداية أحد أبناء عبد القادر النعيمي مؤلف الكتاب، ولكن تبين لي غير ذلك، وسأوضح هذا فيما يأتي:

أورد نجم الدين الغزي (ت ١٠٦١هـ)، في كتابه (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة)، ترجمة لأحمد هذا، فقال:

- العلَّامة خطيب السليمانية، وإمام آيا صوفيا بالقسطنطينية.
- (حضر دروس الوالد كثيراً)، وتقلَّبت به الأحوال بدمشق.
- ثم سافر إلى الروم، فصار له بها قبول في زمن السلطان سليم بن سليمان، ثم في زمن والده السلطان مراد ألَّف خُطبة خطب بها في أول توليته، التزم فيها لفظة مراد في أواخر السجعات، وأسمعها للغزي من لفظه.
- قدم دمشق في سنة أربع وتسعين وتسعمئة حاجًّا، ثم عاد إليها في سنة خمس وتسعين، ثم رجع إلى الروم في أثنائها.
- ورأيناه يثني على شيخ الإسلام (الوالد كثيراً)، وغالى في ذلك، وإذا ذكره يقول: قال سيدي، ورأيت سيدي.
- مولده... سنة أربع وعشرين وتسعمئة، ووفاته ثمان وتسعين وتسعمئة رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وأمام هذه الترجمة أرجو متابعتي في الملاحظات الآتية:

- أولاً: عدتُ إلى ترجمة الغزي ليحيى بن عبد القادر النعيمي الذي وُلِد سنة ٩٠٢هـ وتوفي سنة ٩٧٧هـ، فرأيته يذكر عنه: «وهو والد الشيخ أحمد خطيب آيا صوفيا بالقسطنطينية»، أي أن أحمد هذا هو حفيد النعيمي وليس ولده.
- ثانياً: سأتوقف كثيراً عند كلمة «سيدي»، لأن الغزي توقف عندها أيضاً كما بيَّنا أعلاه، فذكر عن أحمد هذا الآتي: «ورأيناه يثني على شيخ الإسلام الوالد كثيراً، وتغالى في ذلك، وإذا ذكره يقول: قال سيدي، ورأيت سيدي».

وبعودتي إلى نص كتاب الدارس الذي بين يدي، وجدتُ ذلك واضحاً، انظر إلى قوله التالي الذي قاله سنة ٩٥٤هـ: «وثَمَّ الآن بدمشق المحروسة جماعة آخرون من السادة الشافعية ورؤسائهم، ويرأسهم شيخنا شيخ الإسلام سيدي بدر الدين بن محمد بن رضي الدين الغزي وولده العلامة البحر الفهَّامة الشيخ العالم العامل الورع سيدي الشيخ شهاب الدين أحمد».

وأُنبه هنا أيضاً إلى أن الغزي أشار - كما ورد أعلاه - إلى حضور أحمد النعيمي لدروس والده (كثيراً).

- ثالثاً: ذكر الغزي اتصال أحمد بالعثمانيين، وتقربه منهم، لدرجة أنه أَلَّف خُطبة للسلطان مراد خطب له بها في أول توليته.

ويظهر لي أن ذلك انعكس في تحرير أحمد (إن عددناه محرر الكتاب) لكتاب الدارس، إذ تراه يمدح العثمانيين ويدعو لهم بالنصر، انظر مثلاً إلى قوله التالي خلال ذكره للمدرسة اللبودية النجمية: «أقامها جديدة بعد أن صارت تل تراب وجعلها مسجداً برسم تأديب الأطفال: قاضي القضاة محمد بك الرومي الحنفي، قيل بأنه من مماليك مولانا السلطان بايزيد بن عثمان جد سلطاننا الآن السلطان سليمان نصره الله تعالى، وفتحها وجعل لها شيخاً يؤدب الأطفال »، وقد حكم السلطان سليمان القانوني بين سنتي ٩٢٦ - ٩٧٤هـ.

و لم يكتف بالدعاء لهم بالنصر العام؛ بل تجاوز ذلك إلى أن دعا للسلطان سليم بالنصر على المماليك، انظر إلى قوله عند ذكره الزاوية العمرية نقلاً عن والده يحيى كما ذكر: «أنشأ هذه الزاوية رجل يقال له الشيخ عمر الإسكاف الحموي، أتى دمشق في أواخر حكم قانصوه الغوري، واشتهر في أول تولية السلطان سليم نصره الله تعالى على هذه المملكة الشامية»، وقد حكم سليم بين سنتي ٩١٨ - ٩٢٦هـ.

ويجب التأكيد أنه لا النعيمي عبد القادر المؤلف ولا ولده يحيى قد ذهبا إلى بلاد العثمانيين أو اتصلا بهم.

وبناء على ذلك، وفي ضوء هذه التحليلات، أرى أن محرر كتاب الدارس هو يحيى بن عبد القادر النعيمي وولده أحمد، على الأقل في ضوء الأدلة التي بين أيدينا، وبما أن أحمد هذا وُلِد سنة ٩٢٤هـ، وتوفي النعيمي سنة ٩٢٧هـ، فيكون عمره وقتذاك أربع سنوات تقريباً، فمن المستبعد جداً أن يطلب من جده في هذا العمر الصغير أن يسمح له بتحرير الكتاب؛ وبالتالي فإن هذه التحليلات تدل دلالة جيدة أن من طلب التحرير من المؤلف هو الابن يحيى، وباشر ذلك، ثم إنه أثناء عمله: إما ساعده فيه ابنه أحمد من البداية، أو أن أحمد تولى تحريره خلال حياة والده يحيى أو بعد وفاته أو في الحالتين معاً.

وأخيراً، فإن هذا التحليل أعلاه ليس إلا اجتهاد مبني على ما توفَّر من نصوص، وهي شحيحة كما ترى، لعله يظهر لنا في قادم الأيام أدلة أوضح.

وبجميع الأحوال؛ فإن هذا الكتاب اعتمد على مصادر كثيرة، تدفعنا للحديث بإيجاز سريع عن أهم كُتَّاب تاريخ دمشق العمراني.

إذ يعد القاضي أبو بكر أحمد بن المعلَّى الدمشقي (ت ٢٨٦هـ) أول من كتب في تاريخ دمشق العمراني، فقد ألَّف: «جزءاً في خبر المسجد الجامع وبنائه».

وكذلك هبة الله بن أحمد الأكفاني (ت ٥٢٤هـ)، أحد شيوخ ابن عساكر، وكان لديه دفاتر يُسجل فيها ويروي عن آثار دمشق.

أما ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، فهو مؤرخ الشام، وكتابه «تاريخ مدينة دمشق» الذي جاء في ثمانين مجلد، لم يسبقه إليه أحد.

وألَّف ابن شداد: (ت٦٨٤هـ) كتاباً عن طوبوغرافية بلاد الشام جاء في ثلاثة أجزاء، جعل الثاني لدمشق والأردن وفلسطين، وسمَّاه «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة».

وتبع هؤلاء الحسن الإربلي الدمشقي (ت ٧٢٦هـ)، فألَّف: جزءاً يشتمل على مدارس دمشق ومساجدها وربطها وحماماتها.

ومنهم أحمد بن حِجِّي الدمشقي (ت ٨١٦هـ)، وألَّف كتاباً سمَّاه «الدارس من أخبار المدارس»، وهو في حكم المفقود.

ثم يوسف بن عبد الهادي الدمشقي (ت٩٠٩هـ)، وكتب «تاريخ الصالحية» و«ثمار المقاصد في ذكر المساجد».

وأخيراً ابن طولون الصالحي الدمشقي (٩٥٣هـ)، وكتابه الشهير «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية».

وكان معظم هؤلاء من مصادر النعيمي، يُضاف أنه نقل عن ابن الأثير، وأبي شامة، وابن خلكان، وابن شداد، والبرزالي، والذهبي، والكتبي، والصفدي، والحسيني، وابن كثير، وابن قاضي شهبة، وغيرهم.

فنحن أمام كتاب على درجة عظيمة من الأهمية، يتوجب علينا خدمته بطرق مختلفة، وهذا ما نسعى إليه في هذه الطبعة؛ إذ ترجع الحاجة لتهذيب كتاب الدارس لعدة أسباب، منها: كثرة التراجم، ذلك أن النعيمي نهج أن يترجم تراجم مطوَّلة لمدرِّسي المعالم التي ذكرها، مما يهم - على الأغلب - الباحثين والدارسين فقط، ولا يأبه إليه عامة الناس أو الساعين لتحصيل الثقافة فقط[1]، فقمت بتجاوز هذه التراجم،

---

(١) لذلك فإن كامل الكتاب متوفر يمكن العودة إليه لمن يشاء.

مقابل التركيز على أمرين جوهريين هما: مكان المعلمة ثم واقفها أو بانيها أو لمن نُسبت.

ثم قمت بإثبات مكان المعلمة، وتاريخ عمارتها، وسيرة بانيها وواقفها، ثم بعد التهذيب قمت بوضع الإضافات بين حاصرتين [ ] وشمل ذلك تواريخ المدارس والمساجد والبيمارستانات والترب...، وما يحتاج إليه النص من توضيح من جرَّاء انقطاع الأفكار وما شابه ذلك.

وهنا لا بد أن أشير إلى أنني قمت بإثبات تاريخ بناء كل مدرسة أو مسجد أو بيمارستان أو تربة... بجانبها بحسب ما أثْبَتُّ ذلك أنا والأستاذ أكرم العلبي رحمه الله تعالى، ومن خلال عملي معه على استكمال عمله في الخطط الكبرى لدمشق، إذ قمنا (بدمشق والصالحية) بجولات كثيفة متعبة وممتعة ومؤلمة!! وقد جاء تحديد عدد من هذه التواريخ على وجه التقريب وبعد جهد مضن وشاق من المتابعات والقراءات والمقارنات والتحقيقات، وخالفتُ العلبي في تحديد بعض هذه التواريخ.

كما قمت بعمل آخر - استغرق مني وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً - تضمَّن إثبات حال كل مَعلمة في الوقت الحالي وما آلت إليه، وخاصة المدارس التي اندثر معظمها للأسف الشديد.

وخلال كل ذلك حرصت على تحقيق النص وإخراجه واضحاً سليماً قدر الاستطاعة، إذ وردت فيه أخطاء لغوية ونحوية وأسلوبية متعددة، ويظهر أن سبب ذلك انتشار العامية في عصر المماليك، وسبب آخر يتعلق بالمحرر الذي أرى أنه تدخَّل في صياغة مسودة النعيمي، ولم يُوفق بذلك كثيراً، ولذلك فإنني تصرفت في تصويب معظم ذلك من دون أن يؤثر ذلك على روح المخطوط.

وفي النهاية أقول: إننا أمام كتاب يحكي القصة العلمية لمدينة دمشق، في عصر غصَّ بالمراكز العلمية والتعليمية، وبطلبة العلم المحليين والوافدين، فأدى ذلك إلى نبوغ المئات من العلماء، ونحن أمام تجربة ناجحة رائدة من تاريخنا تستحق أن نقتدي بها، كما سبقنا بالاقتداء بها آخرون، إذ أكَّد لي الدكتور أحمد غسان سبانو المقيم في لندن، أن مدينة أكسفورد العلمية أخذت تصميمها من صالحية دمشق التي كانت تتألف من مبان (مؤسسات) علمية ودينية فقط.

والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

[مقدمة المُحَرِّر]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اللطيف بخلقه، والشكر لله الكريم برزقه، المدح لله على أحكامه في قسمه، المانّ على خلقه بنعمه.

وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ورضي الله تعالى عن الآل والصحب والتابعين إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فلمّا رأيت غالب أماكن الخير الموقوفة بدمشق الشام اندرست، وبعضها أخذت الأيام بهجتها والبقاع انطمست، سنح لي أن أشرع في جمع تراجم تحيي لها ذكراً ، وتذيع لطي عرفها بين الأنام نشراً، فإذا شيخنا الإمام العالم المؤرخ المحقق المدقق محيي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد النُعيمي الشافعي قد سبقني إلى جمع ذلك، ولم يُبق في استيعابه طريقاً للسالك، متَّع الله المسلمين بحياته، وأعاد علينا من جزيل بركاته، ولكنها عنده في مسودتها إلى الآن، فسألته في تبييضها على طول الزمان، فتعلَّل بضعف الحال، وهم العيال، ثم أمرني بتعليق ذلك ناسجاً على منواله، فقابلت أمره بامتثاله، غير أني ربما اختصرت تراجم متصدريها الأعلام، اعتماداً على الطبقات وتواريخ الإسلام.

وها أنا أشرع فيما أراد مستعيناً برب العباد، فأقول: قد روينا في مسند الفردوس وغيره من رواية يونس بن عطاء من ولد الصدائي الصحابي عنه، قال رضي الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من طلب العلم تكفَّل الله برزقه[1]. ويونس المذكور ذكره الذهبي في الضعفاء والمتروكين، قال العلَّامة شمس الدين البرماوي: أي من طلب علم دين الله ليحفظه على خلقه، تكفَّل الله برزقه معونةً له...

واعلم أن الله تعالى ولي رزق غير طالب العلم، لكن لطالب العلم خصوصية وهي الكفالة وهي ضمان كفايته، وإرسالها له عفواً من غير معاناة أسبابه، وهذا يشاهده المحصِّلون عياناً، وقد أقيم لهم بناء المدارس والأوقاف ونحوها بما حصل به كفايتهم تدر عليهم بلا نصب، بخلاف غيرهم من الناس، والكفاية بالرزق خير الرزق.

وفي غريب الحديث لابن قتيبة: إن ساعة من العالم على فراشه يتفكَّر في علم الله تعالى أحب إلى الله تعالى من عبادة العابدين أربعين عاماً[2]، وفي هذا قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة[3].

---

(١) قال ابن الجوزي وأبو نعيم في كتبهما عن الضعفاء والمتروكين: أنس بن عطاء بن عثمان بن ربيعة الصدائي، روى عن حميد الطويل أحاديث موضوعة، وقال عنه ابن حبان: يروي العجائب لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد.

(٢) لا يصح، ولم أجده في غريب ابن قتيبة.

(٣) وهذا يخضع للقاعدة الفقهية: العمل المتعدي أفضل من القاصر، وذلك بأن يتناسب الثواب مع شيوع الخير وانتشاره وكثرة المستفيدين منه، فإذا كان الفعل يتعدى صاحبه إلى غيره فيكون ثوابه أكثر من الفعل الذي يقتصر أثره على صاحبه فقط، ويعني بالمتعدي: الذي يعم نفعُه صاحبه وغيره.

وأفادني تلميذ شيخنا العلّامة زين الدين أبو الخير مفلح بن عبد الله الحبشي المصري ثم الدمشقي الشافعي رحمه الله تعالى؛ أن الله تعالى جعل العلم والجَوْر غالباً بالمدن، وجعل الرزق والجهل غالباً بالبر، فبعلم علماء المدن يسوق الله تعالى إليهم الرزق من البر، وبجهل جهّال أهل البر يسوق الله تعالى إليهم الجور من المدن. فحينئذ العلم سبب لسوق الرزق إلى أهله، وإلى بقية أهل المدن من الترك وغيرهم من العوام، فسبحان الله الحكيم الخبير.

وقد استخرت الله تعالى في جمع كتاب في ضبط الأماكن التي وقفها بدمشق، ساق الله تعالى الخير على يديه، ووقفوا على ذلك أوقافاً دارَّة تدر كل حين على حكم ما وقفوها عليه، إعانةً لنشر علم علماء الشريعة الغرَّاء، ومآخذها الزهراء، جزاهم الله تعالى أحسن الجزاء، وجعل حظهم في الآخرة موفور الأجزاء، وأبقى مقاصدهم على مدى الدهر بعمارة وقفهم إلى يوم الدين بمحمد وآله وصحبه وحزبه المفلحين آمين.

وسمَّيته: تنبيه الطالب وإرشاد الدارس لأحوال مواضع الفائدة بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس، وما يلتحق بذلك من الرُّبُط والخوانق والتُرب والزوايا، من بيان أماكنها وأوقاف إنشائها، وتراجم واقفيها، وذكر أوقافهم وشروطهم، إن وقع لي ذلك لما في ذلك من المزايا، مرتباً لذكر الأماكن المذكورة على حروف المعجم على ترتيب كل نوع منها كما تقدم.

وهو أنّي أذكر دور القرآن، ثم دور الحديث، ثم مدارس الأئمة الأربعة، لكنّي أبدأ بمدارس أئمتنا الشافعية ثم الحنفية ثم المالكية ثم

الحنابلة، ثم أذكر مدارس الطب، ثم الرُبُط ، ثم الخوانق، ثمّ التُرب، ثم الزوايا، وأذكر تراجم المتصدرين بكل واحدة منها من حين أُنشئت واحداً بعد واحد إلى آخر وقت ما أدركته، حسبما اطّلعت عليه في ذلك كلّه من كلام الأئمة، وحسبما رأيته وحققته.

وأمّا الجوامع والمساجد، فهي كثيرة جداً لا يسعني ذكرها في هذا الكتاب، وإن أمدّ الله تعالى في العمر أفردتها في مجلد من كلام الحافظ ابن عساكر ومن بعده إلى آخر وقت، مع الإسهاب والإطناب.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يسهِّل علي تيسير كل عسير، إنه على كل شيء قدير.

فصل

دور القرآن الكريم

- دار القرآن الخيضرية[1] [٨٧٨هـ]:

شمالي دار الحديث السكرية بالقصاعين.

أنشأها في سنة ثمان وسبعين وثمانمئة قاضي القضاة قطب الدين أبو الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر الخيضري الدمشقي الشافعي الحافظ، ورتَّب فيها الفقراء والجوامك والخبز، ووقف على تربته لصيق المنجكية بمحلة مسجد الذبان وعلى مطبخ باب الفراديس ومطبخ بني عديسة بالمدينة المنورة على الحال بها أفضل الصلاة وأتم السلام أوقافاً دارَّة.

وُلِد سنة إحدى وعشرين وثمانمئة بدمشق، ونشأ يتيماً في حجر والدته، وحفظ القرآن والتنبيه، واشتغل بتحصيل الحديث، وسمع بمكة المشرفة والقدس وبعلبك ومصر... وله مؤلفات، منها: طبقات الشافعية، وشرح الألفية أي ألفية العراقي، وشرح التنبيه، وولي تدريس دار الحديث الأشرفية ووكالة بيت المال وكتابة السر وقضاء الشافعية، توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وثمانمئة، ودُفن بتربته بالقاهرة.

---

(١) تقع على يسار المتجه جنوباً في نزلة الخيضرية، وهي اليوم بحالة حسنة، ويصلي بها سكان الخيضرية.

- دار القرآن الكريم الجزرية [٧٩٠هـ]:

قيل إنها بدرب الحجر[١].

قال الحافظ ابن حجر في سنة أربع وثلاثين وثمانمئة: محمد بن محمد بن محمد بن يوسف الحافظ الإمام المقري شمس الدين بن الجزري، وُلِد ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وسبعمئة بدمشق، وتفقّه بها ولهج بطلب الحديث والقرآن، وبرز في علم القراءات، وعمَّر مدرسة للقراء وسمَّاها دار القرآن، وأقرأ الناس وعُيِّن لقضاء الشام مدة... توفي في أوائل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمئة.

- دار القرآن الكريم الدلامية[٢] [٨٤٧هـ]:

بالقرب من الماردانية، بالجسر الأبيض، بالجانب الشرقي من الشارع الآخذ إليه بالصالحية، وفيها تربة الواقف.

أنشأها الجناب الخواجكي[٣] الرئيسي الشهابي أبو العباس أحمد بن المجلس الخواجكي زين الدين دلامة بن عز الدين نصر الله البصري، أجلُّ أعيان الخواجكية بالشام، إلى جانب داره، ووقفها في سنة سبع وأربعين وثمانمئة كما رأيته في كتاب وقفها، ورتّب بها إماماً وله من المعلوم مئة درهم، وقيِّماً وله مثل الإمام، وستة أنفار من الفقراء الغرباء المهاجرين في قراءة القرآن ولكل منهم ثلاثون درهماً في كل شهر، ومن شرط الإمام الراتب أن يتصدى شيخاً لإقراء القرآن للمذكورين، وله على ذلك زيادة على معلوم الإمامة عشرون درهماً.

---

(١) وكلام النعيمي هنا يشعر أنها لم تكن في عهده أي زالت، ولا أثر لهذه الدار اليوم.

(٢) منذ بضع سنين تم تجديد هذه الدار، ولم يبق من البناء الأصلي إلّا أجزاء من الواجهة القبلية والغربية.

(٣) منعاً للبس نذكر أن هذا اللقب كان يطلق على أعيان التجار، ثم صار يطلق على المدرّسين.

[ورتّب فيها] ستة أيتام بالمكتب أعلى بابها ولكل منهم عشرة دراهم في كل شهر أيضاً، وقرر لهم شيخاً وله من المعلوم ستون درهماً في كل شهر، وقراءة البخاري في الشهور الثلاثة وله من المعلوم مئة وعشرون درهماً، وناظراً وله من المعلوم في الشهر ستون درهماً، وعاملاً وله من المعلوم كل سنة ستمئة درهم، ورتّب للزيت في كل عام مثلها، وللشمع لقراءة البخاري والتراويح مئة درهم، ولأرباب الوظائف خمسة عشر رطلاً من الحلوى ورأسي غنم أضحية، ولكل من الأيتام جبة قطنية وقميصاً كذلك ومنديلاً، وقرر قارئ يوم الثلاثاء من كل أسبوع وله في الشهر ثلاثون درهماً، وشرط على أرباب الوظائف حفظ حزب الصباح والمساء لابن داود يقرؤونه بعد صلاة الصبح والعصر، وأن يكون الإمام هو القارئ للبخاري والقارئ على ضريح الواقف، والقيّم هو البواب والمؤذن، ثم توفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر المحرم سنة ثلاث وخمسين وثمانمئة، وقد قارب الثمانين....

- **دار القرآن الكريم الرشائية[1] [٤٠٠هـ]:**

بدرب الخزاعية، شمالي الخانقاه السميساطية، بباب الناطفانيين.

أنشأها رشأ بن نظيف بن ما شاء الله أبو الحسن الدمشقي في حدود سنة أربعمئة.

قال الصلاح الصفدي في كتابة الوافي على الوفيات في حرف الراء: رشأ بن نظيف بن ما شاء الله أبو الحسن الدمشقي المقري، قرأ بحرف ابن عامر على أبي الحسن بن داود الداراني، وله دار موقوفة على القرّاء، توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين وأربعمئة....

---

(١) وهي أقدم دار معروفة للقرآن الكريم في دمشق حتى الآن، وقد ذكر النعيمي أن عين هذه المدرسة قد زالت وأُدخلت في غيرها، ونحن مع النعيمي أنها هي المدرسة الإخنائية الآن.

وقال الذهبي: له دار موقوفة على القرَّاء بباب الناطفانيين.

وقال الكتبي: هي التي جوار خانقاه السميساطية من الشمال.

قلت: وقد زالت عينها وأُدخلت في غيرها، توفي رحمه الله تعالى في المحرم، وأظنها الآن هي الإخنائية التي أنشأها قاضي القضاة بدمشق شمس الدين محمد ابن القاضي تاج الدين محمد بن فخر الدين عثمان الإخنائي الشافعي، ودُفن بها في شهر رجب سنة ست عشرة وثمانمئة....

- دار القرآن الكريم السنجارية[1] [٧٣٥هـ]:

تجاه باب الجامع الشمالي المسمى الناطفانيين.

قال ابن كثير في سنة خمس وثلاثين وسبعمئة: علاء الدين علي بن إسماعيل بن محمود السنجاري واقف دار القرآن عند باب الناطفانيين شمالي الأموي بدمشق، كان أحد التجار الصُدَّق الأخبار ذوي اليسار المسارعين إلى الخيرات، توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة ليلة الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة.

وقال الحافظ البرزالي في سنة خمس وثلاثين وسبعمئة: وفي الخامس والعشرين من جمادى الآخرة وصل الخبر إلى دمشق بموت علاء الدين السنجاري التاجر المشهور، وكانت وفاته ليلة الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة بالقاهرة، وصلِّي عليه على باب زويلة، ودُفن عند قبر القاضي شمس الدين بن الحريري الحنفي، وكان رجلاً جيداً فيه ديانة وبر، وأنشأ دار القرآن السنجارية قبالة باب الناطفانيين أحد أبواب الجامع الأموي بدمشق، ورتّب فيها جماعة يقرؤون القرآن ويتلقونه، وله مواعيد حديث....

---

(١) وقد زالت تماماً، وموقعها بالضبط مقابل المدرسة الإخنائية، ومن الممكن اكتشاف آثارها اليوم إن توفرت الغِيرة !!.

- دار القرآن الكريم الصابونية[1] [٨٦٨هـ]:

خارج دمشق، قبلي باب الجابية، غربي الطريق العظمي ومزار أوس بن أوس الصحابي رضي الله عنه، وبها جامع حسن بمنارة تقام فيه الجمعة وتربة الواقف وأخيه وذريتهما.

إنشاء المقر الخواجكي أحمد الشهابي القضائي ابن علم الدين بن سليمان بن محمد البكري الدمشقي المعروف بالصابوني، ابتدأ في عمارة ذلك في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثمانمئة، وفرغ منه في سنة ثمان وستين وثمانمئة....

وشرط الواقف النظر في ذلك لنفسه ثم لذريته ثم نصف النظر لحاجب دمشق كائناً من كان والنصف الآخر للإمام، وشرط قراءة البخاري في الثلاثة أشهر، وشرط في الخطيب أن يكون شافعي المذهب، وفي الإمام أن يكون من الطائفة المباركة الجبرتية وأن يكون حنفياً، وأن يكون معه عشرة فقراء من جنسه يقرئهم القرآن الحكيم، وجعل للإمام في المكان المذكور قاعة لسكنه وعياله... وجعل قيّماً وبوّاباً وفرّاشاً وجابياً للوقف، وبنى أيضاً تجاه المكان المذكور بشرق مكتباً لأيتام عشرة بشيخ يقرئهم القرآن العظيم بمعاليم شرطها لهم معلومة تُصرف عليهم من جهات عديدة؛ منها عدة قرى غربي مدينة بيروت تحت يد أمير الغرب بالعين المعجمة تُعرف هذه القرى بالصابونية، ومنها جميع قرية مَذيرى بالغوطة من المرج الشمالي، ومنها قرية ترحيم بالبقاع عدة فدادين ونصف فدان، ومنها بقرية الصويرة أربعة فدادين، ومنها القرعون في البقاع ربعها، ومنها بقرية كحيل بحوران عدد ستة فدادين، ومنها بقرية الخيارة قبلي دمشق عدة فدادين ونصف فدان، ومنها بقرية السبينة الغربية عدة فدادين ونصف....

---

(١) هي اليوم من مدارس دمشق المشهورة.

- دار القرآن الكريم الوجيهية[١] [٧٠١هـ]:

قبلي المدرسة العصرونية والمسرورية، وغربي الصمصامية التي [تقع] شمال الخاتونية، وإلى زقاقها يفتح بابها.

قال السيد شمس الدين الحسيني في ذيله على العبر في سنة إحدى وسبعمئة: الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن المنجا التنوخي رئيس الدماشقة عن إحدى وسبعين سنة، حدَّثنا عن جعفر الهمداني وغيره، وهو واقف دار القرآن المذكورة آنفاً.

وقال الصفدي في الوافي في كلامه على المحمدين ما عبارته: وجيه الدين بن المنجا محمد بن عثمان الإمام الرئيس شيخ الأكابر وشيخ الحنابلة أبو المعالي التنوخي الدمشقي، وُلِد سنة ثلاثين وتوفي سنة إحدى وسبعمئة... وكان صدراً محترماً ديِّناً محباً للأخيار، صاحب أملاك ومتاجر وبر وأوقاف، أنشأ داراً للقرآن الكريم بدمشق ورباطاً بالقدس الشريف، وعمل ناظراً لجامع الأموي تبرعاً، وكان مع سعة ثروته مقتصداً في ملبسه، وتوفي بدار القرآن في شعبان في التاريخ المتقدم[٢]....

(١) لا أثر لهذه الدار اليوم.

(٢) هناك دور قرآن في دمشق لم يذكرها النعيمي كدار القرآن العنبرية.

فصل

دور الحديث الشريف

- دار الحديث الأشرفية [الجوانية[1] ٦٣٠ هـ]:

جوار باب القلعة الشرقي، غربي العصرونية، وشمالي القيمازية الحنفية.

قال ابن كثير في تاريخه: وقد كانت دار الحديث الأشرفية داراً لهذا الأمير يعني صارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي واقف القيمازية، وله بها حمام، فاشترى ذلك الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل وبناها دار حديث، وأخرب الحمام وبناه سكناً للشيخ المدرّس بها.

وقال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام في سنة ثمان وعشرين وستمئة: وفيها أمر الملك الأشرف بعمل دار الأمير قايماز النجمي دار حديث، فتمَّت في سنتين، وجعل شيخها الشيخ تقي الدين بن الصلاح.

وذكر السبط في سنة ثلاثين وستمئة: في ليلة النصف من شعبان فُتحت دار الحديث الأشرفية، وأملى بها الشيخ تقي الدين بن الصلاح الحديث، ووقف عليها الملك الأشرف الأوقاف، وجعل بها نعل النبي ﷺ[2]....

---

(١) وهي قائمة ومشهورة اليوم في سوق العصرونية.

(٢) لما جاء الأمير عبد القادر الجزائري إلى دمشق سنة ١٢٦٥هـ، اشترى هذه الدار ورمَّمها، وجعلها وقفاً على الشيخ يوسف البيباني العالم المغربي المعروف وذريته.

- دار الحديث الأشرفية البرانية[1] [٦٣٤هـ]:

المقدسية بسفح جبل قاسيون، على حافة نهر يزيد تجاه تربة الوزير تقي الدين توبة بن علي التكريتي، وشرقي المدرسة المرشدية الحنفية، وغربي الأتابكية الشافعية.

بناء الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل، باني دار الحديث الأشرفية المتقدمة قبل هذه للحافظ ابن الحافظ جمال الدين عبد الله بن تقي الدين عبد الغني المقدسي....

- دار الحديث البهائية[2] [٧٢٢هـ]:

داخل باب توما.

قال الحافظ ابن كثير في تاريخه في سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة: شيخنا الجليل المسند المعمر الرحلة بهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الشيخ بدر الدين أبي غالب المظفر، إلى أن قال: ووقف آخر عمره داره المعروفة دار حديث....

- دار الحديث الحمصية [٧٠٠ هـ]:

المعروفه بحلقة صاحب حمص، لم نقف له على ترجمة[3]....

- دار الحديث الدوادارية والمدرسة والرباط[4] [٦٩٨هـ]:

قال ابن كثير في سنة ثمان وتسعين وستمئة: وفيها وقف الأمير علم الدين سنجر الدوادار رواقه داخل باب الفرج دار حديث ومدرسة، وولي

---

(١) لا تزال قائمة، وجُددت منذ سنوات، وجُعل القسم الأرضي مُصلًى، والقسم العلوي «مدرسة دار الحديث» الرسمية التابعة لوزارة الأوقاف.

(٢) لا أثر لهذه الدار اليوم.

(٣) وهذه لم تكن مدرسة مستقلة؛ وإنما حلقة علم في الجامع الأموي، وقد وهم كرد علي أنها هي المدرسة الحمصية نفسها.

(٤) كانت هذه المدرسة غربي العادلية الكبرى، بينما يرى بدران أنها كانت تقع في الزقاق الضيق المقابل لزقاق المدرسة العصرونية، وذكر أنه شاهد باباً هناك يشبه باب المدرسة.

مشيخته الشيخ علاء الدين بن العطار، وحضر عنده القضاة والأعيان، وعمل لهم ضيافة....

- دار الحديث السامرية[1] [٦٩٦هـ]:

وبها خانقاه، أوقفها الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامري بفتح الميم وتشديد الراء، نسبة إلى مدينة سر من رأى وهي بلدة على الدجلة، وينسَب إليها أيضاً بلفظ السرمري، وهي إلى جانب الكروسية بدمشق، وكانت داره التي يسكن فيها، فدُفن بها بعد أن وقفها دار حديث وخانقاه، وكان قد انتقل إلى دمشق وأقام بها بهذه الدار مدة، وكانت قديماً تعرف بدار ابن قوام، بناها من حجارة منحوتة كلها.

وكان السامري كثير الأموال حسن الأخلاق معظَّماً عند الدولة، جميل المعاشرة، له أشعار رائقة ومبتكرات فائقة، توفي رحمه الله تعالى يوم الإثنين ثامن عشر شعبان سنة ست وتسعين وستمئة، وقد كان له حظوة ببغداد عند الوزير ابن العلقمي، وامتدح المستعصم وخلع عليه خلعة سوداء سنية، ثم قدم دمشق في أيام الناصر صاحب حلب فحظي عنده أيضاً، فسعى فيه أهل الدولة، فصنَّف فيهم أرجوزة....

- دار الحديث السكرية[2] [٦٧٤ هـ]:

بالقصاعين، داخل باب الجابية، وبها خانقاه.

لم أقف لواقفها على ترجمة، وولي مشيختها الشيخ الإمام العالم الفقيه شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الخضر الحراني....

---

(١) لم يبق من هذه المدرسة إلا الأطلال، وهي تقع اليوم في زقاق السلمي في مأذنة الشحم.

(٢) لا أثر لهذه الدار اليوم.

- دار الحديث الشُّقَيْشَقِيَّة[1] [٦٥٦ هـ]:

بدرب البانياسي.

قال الذهبي في تاريخه فيمن مات سنة ست وخمسين وستمئة: وابن الشقيشقة المحدث نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العز مظفر بن عقيل الشيباني الدمشقي السفّار الشاهد، وُلِد بعد الثمانين وخمسمئة، وسمع من حنبل وابن طبرزد وخلق كثير، وروى مسند أحمد، وكان أديباً ظريفا مليح البزة، رماه أبو شامة بالكذب ورقة الدين، توفي في جمادى الآخرة، ووقف داره بدمشق دار حديث....

- دار الحديث العُرْوِيَّة[2] [٦١٧ هـ]:

بمشهد ابن عروة، بالجانب الشرقي من صحن الجامع الأموي، قبلي الحلبية، ويُعرف قديماً بمشهد علي رضي الله تعالى عنه.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه في سنة عشرين وستمئة: ابن عروة شرف الدين محمد بن عروة الموصلي المنسوب إليه مشهد ابن عروة بالجامع الأموي، لأنه أول من فتحه وكان مشحوناً بالحواصل الجامعية، وبنى فيه البركة، ووقف على الحديث دروساً، ووقف خزائن كتبه فيه، وكان مقيماً بالقدس الشريف، ولكنه كان من خواص أصحاب الملك المعظم، فانتقل إلى دمشق حين خُرِّب سور بيت المقدس، إلى أن توفي بها، وقبره عند قباب طغتكين قبلي المصلى.

وقال الصلاح الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات: المنسوب إليه المشهد محمد بن عروة شرف الدين الموصلي، إنما نُسب إليه لأنه كان يُخزّن فيه آلات تتعلق بالجامع، فعزّله وبيّضه وعمل له المحراب والخزانتين، ووقف فيهما كتباً، وجعله دار حديث، توفي رحمه الله تعالى سنة عشرين وستمئة....

---

(١) لا أثر لهذه الدار اليوم.

(٢) موقعها اليوم – على الأغلب – مكان الموضأ الغربي، وقد ذكر عدد من المؤرخين أنها في الجهة الشرقية للجامع، أي مكان متحف الجامع اليوم.

- دار الحديث الفاضلية[1] [٥٩٣ هـ]:

بالكلّاسة، كذا رأيته بخط الشيخ تقي الدين الأسدي، ورأيت في كتاب ابن شداد، قال زكرياء: في الجامع من حلق الحديث ميعاد بالكلّاسة للقاضي الفاضل.

وقال أبو شامة في كلامه على وفاة صلاح الدين: إن تربته جوار المكان الذي زاده الفاضل في المسجد.

قلت: والفاضل هو عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن الفرج بن أحمد، القاضي محيي الدين، وقيل مجير الدين أبو علي ابن القاضي الأشرف أبي الحسن اللخمي البيساني، عسقلاني المولد مصري المنشأ، صاحب العبارة والفصاحة والبلاغة والبراعة، وُلِد في جمادى الأولى سنة تسع بتقديم التاء وعشرين وخمسمئة.

وقال الأسدي في تاريخه سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة: انتهت إليه براعة الإنشاء وبلاغة الترسل، وله في ذلك معان مبتكرة لم يُسبق إليها مع كثرتها، اشتغل بصناعة الترسل على الموفق يوسف بن الخلال شيخ الإنشاء للمتأخرين، ثم إنه دخل ثغر الإسكندرية في سفينة وأقام بها مدة....

- دار الحديث القلانسية[2] [٧٢٠ هـ]:

وبها رباط ومأذنة، وتعرف الآن بالخانقاه غربي مدرسة أبي عمر رحمه الله تعالى وجامع الأسماء....

أنشأها الصاحب عز الدين أبو ليلى حمزة بن مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن عز الدين غالب بن المظفر ابن الوزير مؤيد الدين أبي المعالي أسعد ابن العميد أبي يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي بن

---

(١) لا أثر لهذه الدار اليوم، وكانت تقع بين جدار الجامع الأموي الشمالي والمدرسة العزيزية.

(٢) تقع في الحارة الواقعة على يسار الصاعد إلى جامع الشيخ محيي الدين، وتحولت اليوم إلى دار للسكن.

القلانسي، أحد رؤساء دمشق الكبار، وُلِد سنة تسع وأربعين وستمئة، وسمع الحديث من جماعة ورواه.

قال الحافظ ابن كثير في سنة تسع وعشرين وسبعمئة: وسمعنا عليه وله رئاسة باذخة وأصالة كبيرة وأملاك هائلة كافية لما يحتاج إليه من أمور الدنيا، ولم تزل معه صناعة الوظائف إلى أن أُلزم بوكالة بيت السلطان ثم بالوزارة في سنة عشر ثم عُزل، وقد صُودر في بعض الأحيان، وكانت له مكارم على الخواص والكبار، وله إحسان على الفقراء والمحتاجين، ولم يزل معظماً وجيهاً عند الدولة من النواب والملوك والأمراء وغيرهم إلى أن توفي ببستانه ليلة السبت سادس ذي الحجة، وصُلِّي عليه من الغد، ودُفن بتربته بسفح قاسيون، وله في الصالحية رباط حسن بمأذنة، وفيه دار حديث وبر وصدقة....

- دار الحديث القوصية[1] [٦٥٣ هـ]:

بالقرب من الرحبة.

ورأيت بخط الأسدي: دار الحديث القوصية، وبها قبر واقفها القوصي.

وستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى في القوصية في الجامع الأموي بمدارس الشافعية[2]....

- دار الحديث الكروسية[3] [٦٤١ هـ]:

غربي مأذنة الشحم[4].

قال الحافظ ابن كثير في سنة إحدى وأربعين وستمئة: واقف الكروسية محمد بن عقيل بن كروس جمال الدين محتسب دمشق، كان كيّساً متواضعاً،

---

(١) تقع اليوم شرقي الشاغور في جادة الإصلاح.
(٢) ويضاف إلى هاتين القوصيتين المدرسة القوصية في الصالحية.
(٣) بقاياها موجودة اليوم، ولكنها متروكة من غير اهتمام أو رعاية أو حماية.
(٤) في زقاق السلمي.

توفي بدمشق في شوال ودُفن بداره التي جعلها مدرسة، وستأتي في مدارس الشافعية، ثم قال: وله دار حديث.

وقال الصفدي في وافيه: المحتسب ابن كروس محمد بن عقيل بن عبد الواحد بن أحمد بن حمزة بن كروس بن جمال الدين أبو المكارم السلمي الدمشقي، سمع من بهاء الدين بن عساكر وابن حيوس، وكان رئيساً محتشماً قيِّماً بالحسبة، توفي سنة إحدى وأربعين وستمئة، ولم أقف على أحد ممن ولي مشيختها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

- دار الحديث النورية[1] [٥٦٦ هـ]:

قال ابن الأثير: وبنى نور الدين محمود دار الحديث بدمشق، وهو أول من بنى داراً للحديث[2]، وقيل واقفها عصمة التي قيل إنها كانت زوج صلاح الدين، وهو خلاف المعروف.

ونور الدين هذا هو الملك العادل أبو القاسم محمود بن أبي سعيد زنكي بن آق سنقر التركي الشهيد، قال الشيخ بدر الدين الأسدي في كتابه الكواكب الدرية في السيرة النورية: توفي رحمه الله تعالى يوم الأحد الحادي من شوال سنة تسع وستين وخمسمئة وقت طلوع الشمس عن ثمان وخمسين سنة، ووقفها قليل....

وقال أبو شامة في أول الروضتين في ترجمة نور الدين: وبنى بدمشق أيضاً دار الحديث، ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث

---

(١) في سوق العصرونية الشهير، وقد أصابها الحريق الذي أصاب المنطقة سنة ١٣١٠هـ، وللأسف فإن هناك من اغتصبها وغيّر من معالمها حتى تتطاول فطمس محرابها، وكاد أن يتمادى أكثر لولا أن تصدى له الشيخ أبو الفرج الخطيب الذي له الفضل في ردها إلى سيرتها الأولى، ومع عراقة هذه المدرسة وقيمتها التاريخية والآثارية الكبرى؛ فإنها اليوم مقفلة ومتروكة عرضة لكل شيء.

(٢) ذكر المؤرخون أنها أول دار للحديث بُنيت على وجه الأرض.

وقوفاً كثيرة، وهو أول من بنى دار حديث في ما علمناه، تولى مشيختها الحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر الدمشقي الشافعي، إمام أهل الحديث في زمانه وحامل لوائهم.

- دار الحديث النفيسية [٦٩٦هـ]:

بالرصيف قبلي المارستان الدقاقي وباب الزيادة، عن يمنة الخارج منه، شمالي غربي المدرسة الأمينية بالزقاق.

قال الذهبي في العبر في سنة ست وتسعين وستمئة: والنفيس إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحراني ثم الدمشقي، ناظر الأيتام وواقف النفيسية بالرصيف، روى عن مكرم القرشي، وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة منها أو ذي القعدة عن نحو سبعين سنة.

وقال تلميذه ابن كثير في سنة ست وتسعين وستمئة أيضاً: واقف النفيسية التي بالرصيف الرئيس نفيس الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلامة بن علي بن صدقة الحراني، كان أحد شهود الغيبة، وولي نظر الأيتام في وقت، وكان ذا ثروة من المال، وُلِد سنة ثمان وعشرين وستمئة، وسمع الحديث، ووقف داره دار حديث، توفي رحمه الله تعالى يوم السبت بعد الظهر الرابع من ذي القعدة، ودُفن بسفح قاسيون بكرة يوم الأحد بعدما صُلِّي عليه بالأموي....

- دار الحديث الناصرية[1] [٦٥٢ هـ]:

وبها رباط بمحلة الفواخير بسفح قاسيون، قبلي جامع الأفرم الذي أُنشئ سنة ست وسبعمئة، وخطب به شمس الدين بن العز، هذه هي الناصرية البرانية وستأتي الجوانية إن شاء الله تعالى، كلاهما إنشاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر

---

(١) كانت تقع في السوق المعروف بسوق الشراطيط، وقد زالت اليوم تماماً.

غياث الدين غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي فاتح بيت المقدس.

قال ابن كثير في سنة عشر وستمئة: وُلِد الملك العزيز للظاهر غازي وهو والد الملك الناصر صاحب دمشق واقف الناصريتين، وكان مولد الناصر هذا بحلب في سنة سبع وعشرين وستمئة، ولما توفي أبوه في سنة أربع وثلاثين وستمئة بويع بحلب بالسلطنة وعمره سبع سنين، وقام بتدبير مملكته جماعة من مماليك أبيه العزيز وكبيرهم الشمس لؤلؤ، وكان الأمر كله من رأي جدته أم أبيه ضيفة خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، ولهذا سكت الملك الكامل لأنها أخته، فلما توفيت سنة أربعين اشتد الناصر واشتغل عنه الكامل بعمه الصالح، ثم فتح عسكره له حمص سنة ست وأربعين، فوليها عشر سنين، وفي سنة اثنتين وخمسين دخل بابنة السلطان علاء الدين صاحب الروم، وهي بنت ابنة العزيز.

وكان حليماً جواداً موطأ الأكناف حسن الأخلاق حسن السيرة في الرعايا محبباً إليهم، كثير النفقات ولا سيما لما ملك دمشق مع حلب، فيه عدل في الجملة وقلة جور وفيه صفح، وكان الناس معه في عيشة هنية إلا وقت إدارة الخمور، وكان للشعراء دولة في أيامه، وكان مجلسه مجلس ندماء وأدباء، ثم خُدع وعُمل عليه حتى وقع في قبضة التتار، فذهبوا به إلى هولاكو فأكرمه، فلما بلغه كسرة جيشه على عين جالوت غضب وتنمر وأمر بقتله، فتذلل له وقال: ما ذنبي، فأمسك عن قتله، فلما بلغه كسرة بيدرا على حمص استشاط غضباً وأمر بقتله وقتل شقيقه الملك الظاهر علياً، فقُتِلا[1]....

---

(١) بعد أربعين سنة من بنائها تعرضت هذه المدرسة إلى التدمير على يد جنود غازان الذين دخلوا دمشق سنة ٦٩٩هـ.

فصل

دور القرآن والحديث معاً

- دار القرآن الحديث التنكزية[1] [٧٣٩هـ]:

وهي شرقي حمام نور الدين الشهيد بسوق البزورية، وتجاه دار الذهب.

كانت هذه الدار حمَّاماً يعرف بحمَّام سويد، فهدمه نائب السلطنة تنكز الملكي الناصري وجعله دار قرآن وحديث، وجاءت في غاية الحسن، ورتَّب فيها الطلبة والمشايخ، قاله ابن كثير في سنة ثمان وعشرين وسبعمئة، وقال: وفيها وفي شهر ربيع الأول توجه نائب السلطنة تنكز الملكي الناصري إلى الديار المصرية لزيارة السلطان، فأكرمه واحترمه، واشترى في هذه السفرة دار الفلوس التي بالقرب من البزوريين والجوزية وهي شرقيهما، وقد كان سوق البزوريين اليوم يسمى سوق القمح، فاشترى هذه الدار وعمَّرها داراً هائلة ليس بدمشق دار أحسن منها، وسمَّاها دار الذهب، واجتاز في رجوعه من مصر بالقدس الشريف وزاره، وأمر ببناء دار حديث أيضاً فيها خانقاه. ثم قال: فيها وفي سادس عشرين في ذي القعدة نقل تنكز حواصله وأمواله من دار الذهب داخل باب الفراديس إلى الدار التي أنشأها، وكانت تعرف بدار الفلوس فسُمِّيت دار الذهب.

---

(١) تقع شرقي سوق البزورية، وما تزال تحتفظ بواجهتها المملوكية المميزة، مع تحولها إلى مدرسة خاصة للأطفال !!.

- دار القرآن والحديث الصبابية[1] [٧٣٨هـ]:

قبلي العادلية الكبرى، وشمالي الطبرية.

قال السيد الحسيني شمس الدين في ذيله: الصدر الحنبلي شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن أبي العز الحراني ثم الدمشقي المعروف بابن الصبان[2]، وُلِد سنة أربع وسبعين وستمئة، وسمع من الشيخ شمس الدين بن أبي عمر وابن البخاري بدمشق.

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه في سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة: وفي شهر رمضان منها فُتحت الصبابية التي أنشأها شمس الدين بن تقي الدين بن الصبان التاجر دار قرآن وحديث، وكانت خربة شنيعة، ولم أقف على أحد ممن وليها أصلاً.

- دار القرآن والحديث المعبدية[3] [٧٣٥هـ]:

داخل بمشق، والمنقول أنها دار قرآن فقط.

قال السيد شمس الدين الحسيني الشريف في ذيل العبر: في سنة ست وأربعين وفي ذي القعدة مات بدمشق الأمير علاء الدين علي بن معبد البعلبكي، ودُفن إلى جانب داره.

ورأيت بخط الأسدي: ودُفن والده داخل دمشق بتربة أنشأها له وجعلها دار قرآن.

---

(١) ولا أثر لهذه المدرسة اليوم، وكانت تقع مكان الدكاكين القائمة على يمين المتوجه من المدرسة العادلية إلى باب البريد، وقد هُدم قسم من هذه المحلات عند افتتاح شارع القلعة سنة ١٤٠٤هـ.

(٢) وذكره مؤرخون آخرون بابن الصباب.

(٣) ولا أثر لها اليوم، وكانت تقع شمالي المدرسة العصرونية.

فصل

مدارس الشافعية

- المدرسة الأتابكية[1] [٦٤٠هـ]:

بصالحية دمشق، غربيها المرشدية ودار الحديث الأشرفية المقدسية.

قال القاضي عز الدين الحلبي: أنشأتها بنت نور الدين أرسلان بن أتابك صاحب الموصل.

والصواب أنها أخت أرسلان هذا كما قال الذهبي في العبر في سنة أربعين وستمئة: والحجة الأتابكية امرأة الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحبة المدرسة والتربة تركان يعني بالتاء أولاً خاتون بنت السلطان الملك عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود ابن أتابك زنكي بن آق سنقر.

قال أبو شامة: وفي ليلة وفاتها كان وقف مدرستها وتربتها بالجبل، ودُفنت بها رحمها الله تعالى وتقبل منها.

وقال الصفدي: توفيت في شهر ربيع الأول سنة أربعين وستمئة، ودُفنت بتربتها والمدرسة التي أنشأتها بقاسيون....

---

(١) تعرضت هذه المدرسة للكثير من الإهمال؛ وإنما لا تزال واجهتها بحالة جيدة، وتشكل اليوم مسجداً عامراً.

- المدرسة الأسعردية [٨١٧هـ]:

وبها تربته المعروفة بمدرسة الخواجا إبراهيم بالجسر الأبيض.

قال الشيخ تقي الدين بن قاضي شهبة في الذيل في جمادى الآخرة سنة ست عشرة وثمانمئة: وقد خرب في هذه السنة ثلاثة مساكن وهي أحسن مساكن بساتين دمشق: الدهيشة وبستان النشوة على حافة ثورا بالقرب من الربوة وبستان ابن جماعة بالمزة، ولكن هذا الثالث نُقلت آلته إلى مدرسة الخواجا إبراهيم الأسعردي وانتفع الناس بها. وقال في ذي الحجة سنة سبع عشرة: فرغت عمارة الخواجا إبراهيم الأسعردي بالجسر الأبيض، ومات وهي في غاية الحسن، ورتّب بها وظائف كثيرة. وقال في شهر رجب سنة ست عشرين وثمانمئة: وممن توفي فيه من الأعيان الخواجا الكبير برهان الدين إبراهيم بن مبارك شاه الأسعردي، كان والخواجا شمس الدين بن المزلق أكبر التجار بدمشق، وله المتاجر السائرة في البلدان، قد أعطاه الله تعالى المال والبنين، وكان عنده كرم وإحسان للفقراء، وعمَّر المدرسة المشهورة على الجسر الأبيض وتأنق في بنائها، وعمل بها تربة، ورتّب بها فقراء ومُقرِئة يقرؤون القرآن، وهي من أحسن عمائر دمشق، توفي في آخر نهار الجمعة....

- المدرسة الأسدية[1] [٥٦٠هـ]:

بالشرف القبلي ظاهر دمشق، وهي المطلة على الميدان الأخضر، وهي على الطائفتين الشافعية والحنفية.

قال أبو شامة: وقال القاضي عز الدين بن شداد في كتابه الأعلاق الخطيرة: المدرسة الأسدية على الفريقين، أنشأها أسد الدين شيركوه الكبير.

---

(١) كانت هذه المدرسة تقع في مكان القصر الأبلق الذي شيّده السلطان المملوكي الظاهر بيبرس، ثم حوّله السلطان العثماني سليمان القانوني إلى التكية السليمانية فيما بعد. ومنعاً للبس: هناك المدرسة الأسدية الجوانية، وهي حلقة علم في الجامع الأموي.

وقوله على الفريقين أي الشافعية والحنفية كما في الدماغية والعذراوية والظاهرية، فهذه مشتركة بيننا وبين الحنفية.....

[ترجمة أسد الدين شيركوه]

قال الذهبي في سنة أربع وستين وخمسمئة: شيركوه بن شادي بن مروان الملك المنصور أسد الدين... توفي بالقاهرة فجأة في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، ثم نُقل إلى مدينة النبي ﷺ، وكان بطلاً شجاعاً شديد البأس ممن يضرب بشجاعته المثل، له صيت بعيد، توفي شهيداً بخانوق عظيم قتله في ليلة وكان كثيراً ما يعتريه، وورثه ولده الملك القاهر ناصر الدين محمد صاحب حمص.

وقال الأسدي في تاريخه في سنة أربع وستين وخمسمئة: شيركوه بن شادي بن مروان بن يعقوب وقيل مروان بن محمد بن يعقوب، الملك المنصور أسد الدين، مولده بدوين بلدة من طرف أذربيجان، ونشأ بتكريت إذ كان أبوه متولياً قلعتها.

قال ابن الأثير: أصلهم من الأكراد الحدثانية، وأنكر جماعة من بني أيوب النسبة إلى الأكراد، وقالوا: إنما نحن عرب نزلنا عند الأكراد وتزوَّجنا منهم.

وأسد الدين هذا من أمراء نور الدين رحمه الله تعالى، سيَّره إلى مصر عوناً لشاور يعني الوزير السعدي، ولم يف له شاور فعاد إلى دمشق، وفي سنة ثنتين وستين عاد أسد الدين إلى مصر طامعاً في أخذها، فكانت تلك الوقعة عند الأشمونيين، وكسر عسكر مصر والفرنج، إلى أن قال: وولي أسد الدين وزارة مصر، فأقام خمسة وستين يوماً، وتوفي في جمادى الآخرة بالقاهرة، ثم نقل إلى المدينة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام بوصية منه رحمه الله تعالى، وكانت الفرنج تهابه وتخافه، وأقطعه نور الدين الرحبة وحمص مع ماله من الإقطاع، وإليه تُنسب المدرسة الأسدية بالشرف القبلي والخانقاه داخل باب الجابية....

- المدرسة الأصفهانية[1] [٦٧٠هـ]:

بحارة الغرباء[2]، وبالقرب من درب الشعارين، وكانت قبل ذلك تعرف بسكن شرف الدين إسماعيل بن التبي، بناها رجل من أصبهان تاجر....

- المدرسة الإقبالية[3] [٦٠٣هـ]:

داخل باب الفرج، وباب الفراديس بينهما، شمالي الجامع والظاهرية الجوانية، وشرقي الجاروخية والإقبالية الحنفية، وغربي التقوية بشمال.

أنشأها جمال الدين بن جمال الدولة إقبال عتيق ست الشام.

وقال ابن شداد: أنشأها خواجا إقبال خادم نور الدين الشهيد.

ورأيت بخط الأسدي على العبر: جمال الدين خادم السلطان صلاح الدين واقف الإقباليتين التي للحنفية والتي للشافعية بدمشق، توفي ببيت المقدس.

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه سنة ثلاث وستمئة: إقبال الخادم جمال الدولة، أحد خدام الملك صلاح الدين واقف الإقباليتين، وكانتا دارين فجعلهما مدرستين، ووقف عليهما وقفاً، الكبيرة للشافعية، والصغيرة للحنفية، وعليها ثلث الوقف، وكانت وفاته بالقدس الشريف. زاد الأسدي أنها في ذي القعدة.

فائدة: وقال ابن كثير في سنة ثمان وعشرين وستمئة: وفيها تكامل بناء المدرسة الإقبالية التي بسوق العجم من بغداد المنسوبة إلى إقبال الشرابي، وحضر بها الدرس، وكان يوماً مشهوداً، واجتمع فيها جميع المدرسين

---

(١) ولا أثر لهذه المدرسة اليوم، وقد زالت منطقتها إثر تعرضها لحريق نتيجة ضرب دمشق بالقنابل خلال الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥م.

(٢) وتقع مكان سوق الأروام اليوم على وجه التقريب.

(٣) تقع في حارة (السبع طوالع) مقابل حمام الملك الظاهر، وذكر لي العلبي - رحمه الله تعالى - افتتاح مدرسة في منطقة هذه المدرسة، ورجّح أنها أقيمت على بقايا الإقبالية، وسُميت باسم عبد الرحمن الشهبندر.

والمفتين ببغداد، وعمل بصحنها قباب الحلوى، فحُمل منها إلى جميع المدارس والرُبط، ورتّب فيها خمسة وعشرين فقيهاً لهم الجوامك الدارّة في كل شهر والطعام في كل يوم والحلوى في أوقات المواسم والفواكه في زمانها، وخلع على المدرسين والمعيدين والفقهاء يومئذ، وكان وقفاً حسناً تقبّل الله منه....

- المدرسة الأكزية[1] [٥٨٧هـ]:

قال ابن شداد في كلامه على المدرسة الشبلية الحنفية: إنها قبالة الأكزية، وقال في كلام عليها: بانيها أكز حاجب نور الدين محمود.

وهي غربي الطيبة والتنكزية وشرقي أم الصالح، وقد رُسم على عتبة بابها ما صورته: بعد البسملة، وقف هذه المدرسة على أصحاب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه الأمير أسد الدين أكز في ست وثمانين وخمسمئة، وتمّت عمارتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين والدنيا ومنقذ البيت المقدس من أيدي المشركين أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين، الدكان التي شرقيها وقف عليها، والثلث من طاحون اللوان، سنة سبع وثمانين وخمسمئة....

- المدرسة الأمجدية[2] [٦٢٩هـ]:

بالشرف الأعلى.

قال ابن شداد: بانيها ومنشئها الملك المظفر نور الدين عمر ابن الملك الأمجد، حين قُتل والده الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه ابن عز الدين فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب بدار السعادة، قتله مملوك له في صفر سنة تسع وعشرين وستمئة، وقيل شرع الملك المظفر في عمارة هذه المدرسة من مال وصية أوصى بها والده...

---

(١) وتقع اليوم في سوق زقاق المحكمة، وبسبب الإهمال الغريب تحولت إلى أطلال.

(٢) ما تزال هذه المدرسة قائمة إلى اليوم، وتقع شرقي قصر الضيافة.

وقال [ابن كثير] في سنة ثمان وعشرين وستمئة: الملك الأمجد واقف الأمجدية بالشرف، فيها كانت وفاة الأمجد بهرام شاه بن فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك بعده، ولم يزل بها حتى قدم الأشرف موسى بن العادل إلى دمشق فملكها في سنة ست وعشرين، فانتزع من يده بعلبك في سنة سبع وعشرين وأسكنه عنده بدمشق في دار أبيه. وقال في سنة خمس وثلاثين في وفاة الأشرف: إنه وقف دار فروخشاه التي يقال لها دار السعادة وبستانه بالنيرب على ابنه. ثم قال في سنة ثمان وعشرين وستمئة: فلما كان في شهر شوال من هذه السنة عدا عليه مملوك من مماليكه تركي فقتله ليلاً، وكان قد اتهمه بحيَّاصة[1] له وحبسه، فتغلب عليه بعض الليالي فقتله، وقُتل المملوك بعده، ودُفن الأمجد في تربته التي إلى جانب تربة أبيه في الشرف الشمالي، وقد كان شاعراً فاضلاً له ديوان شعر....

- المدرسة الأمينية[2] [٥١٤هـ]:

قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي المسمى قديماً بباب الساعات لأنه كان هناك بنكاب الساعات يعلم منها كل ساعة تمضي من النهار، عليها عصافير من نحاس ووجه حية من نحاس وغراب، فإذا تمَّت الساعة خرجت الحية وصفّرت العصافير، وصاح الغراب، وسقطت حصاة، قاله القاضي ابن زير كذا.

وهي شرقي المجاهدية، جوار قاسارية القواسين، بظهر سوق السلاح وكان به بابها، وتُعرف هذه المحلة قديماً بحارة القباب، وهناك دار مسلمة بن عبد الملك.

---

(١) حزام من ذهب.

(٢) كانت تقع في سوق الحرير قِبلي الجامع الأموي من الغرب، وتحولت اليوم إلى وكالة تجارية !!.

وقد حكى ابن عساكر في ترجمة محمد بن موسى أبي عبد الله البلاساغوني الحنفي القاضي المتوفى في سنة ست وخمسمئة: إنه كان قد عزم على نصب إمام حنفي بالجامع، فامتنع أهل دمشق من الصلاة خلفه وصلوا جميعهم في دار الخيل، وهي التي قبلي الجامع مكان المدرسة الأمينية وما يجاورها وحدها الطرقات الأربع، قيل إنها أول مدرسة بُنيت بدمشق للشافعية، بناها أتابك العساكر بدمشق، وكان يُقال له أمين الدولة.

وقال ابن شداد: بانيها أمين الدولة ربيع الإسلام.

وقال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام في سنة ثلاثين وخمسمئة: وفيها ولي أتابكية عسكر دمشق أمين الدين كمشتكين بن عبد الله الطغتكيني واقف الأمينية.

قلت: وهو نائب قلعة بصرى وقلعة صرخد، ولّاه على القلعتين الأتابك طغتكين، فامتدت أيامه فيهما إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: أمير جليل كثير الحرمة توفي سنة إحدى وأربعين وخمسمئة....

وقال الكتبي: توفي أمين الدين المذكور في سنة أربعين، وقيل في السنة التي بعدها، وكان وقف هذه المدرسة سنة أربع عشرة، ووقف عليها غالب ما حولها من سوق السلاح وقيسارية القواسين....

- المدرسة البادرائية[1] [٦٥٤هـ]:

داخل [بابي] الفراديس والسلامة، شمالي جيرون وشرقي الناصرية الجوانية، وكانت قبل ذلك داراً تُعرف بأسامة.

قال ابن كثير قي تاريخه في سنة تسع وستمئة: أسامة الجبلي أحد أكابر الأمراء، وكان بيده قلعة عجلون وكوكب، وكان شيخاً كبيراً قد أصابه النقرس،

---

(١) ما تزال هذه المدرسة قائمة، ويُعرف الحي باسمها.

اعتقله العادل ببلد الكرك واستولى على حواصله وأملاكه وأمواله؛ من ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة، وداره هي التي جعلها البادرائي مدرسة.

قال ابن شداد: المدرسة البادرائية، أنشأها الشيخ الإمام العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء محمد بن الحسن بن عبد الله بن عثمان البادرائي بالمعجمة البغدادي الفرضي، وُلِد سنة أربع وتسعين وخمسمئة، وسمع من جماعة وتفقَّه وبرع في المذهب، ودرَّس بالنظامية، وترسَّل عن الخلافة غير مرة، وحدَّث بحلب ودمشق ومصر وبغداد، وبنى بدمشق المدرسة الكبيرة المشهورة.

قال الذهبي: وكان فقيهاً عالماً ديناً صدراً محتشماً جليل القدر وافر الحرمة متواضعاً دمث الأخلاق منبسطاً، وقد ولي القضاء ببغداد على كُره منه، وتوفي رحمه الله تعالى بعد خمسة عشر يوماً في ذي القعدة سنة خمس وخمسين وستمئة، وعافاه الله تعالى من فتنة التتار الكائنة ببغداد في ذي الحجة منها....

- المدرسة البهنسية(١) [٦٢٨هـ]:

بجبل الصالحية.

أنشأها الوزير مجد الدين المعروف بأبي الأشبال الحارث بن مهلب، كان وزير الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب.

قال ابن كثير في تاريخه في سنة ثمان وعشرين وستمئة: المجد البهنسي وزير الملك الأشرف، ثم عزله وصادره، ولما توفي دُفن بتربته التي أنشأها بالسفح، وجعل كتبه بها وقفاً، وأجرى عليها أوقافاً جيدة دارَّة....

قال السبط: لم يقطع رزق أحد، وكان حسن المحاضرة عاقلاً، لم يكن فيه ما يعاب إلا استهتاره، ثم إن الأشرف نكبه وصادره وحبسه مدة....

---

(١) لا أثر لهذه المدرسة اليوم.

- المدرسة التقوية[1] [٥٧٤هـ]:

هي من أجلّ مدارس دمشق، داخل باب الفراديس، شمالي الجامع، شرقي الظاهرية والإقباليتين.

بانيها في سنة أربع وسبعين وخمسمئة الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وله بمصر المدرسة المعروفة بمنازل العز، بناها للعلّامة شهاب الدين أبي الفتح محمد بن محمود الطوسي الشافعي.

قال ابن كثير في تاريخه: وله بحماة مدرسة هائلة، وكذلك بدمشق مدرسة مشهورة، وعليها أوقاف كثيرة.

وقال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام في سنة سبع وثمانين وخمسمئة: وصاحب حماة المظفر تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين، توفي يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان، وكان بطلاً شجاعاً له مواقف مشهورة.

قال الأسدي في تاريخه في السنة المذكورة: وفيها أنعم السلطان صلاح الدين على ابن أخيه تقي الدين عمر بحماة والمعرة وأفامية ومنبج، فتسلّمها وبعث نوابه إليها، ثم توجه الملك المظفر تقي الدين وترتب في خدمته أميران كبيران: شمس الدين بن المقدم وسيف الدين بن المشطوب، وكانوا في مقابلة صاحب أنطاكية، وترتب بحمص ابن شيركوه في مقابلة المقومين، وفيها وقف السلطان تقي الدين عمر مدرسة بدمشق....

قال ابن واصل: كان المظفر عمر شجاعاً جواداً شديد البأس عظيم الهيبة، وكان من أركان البيت الأيوبي، وكان عنده فضل وأدب، وله شعر حسن، أُصيب السلطان صلاح الدين بموته، لأنه كان من أعظم أعوانه على الشدائد....

---

(١) تقع في حارة السبع طوالع، وأصبحت اليوم مستودعاً لتجّار العصرونية !!.

- المدرسة الجاروخية[1] [٥٣٨هـ]:

داخل بابي الفرج والفراديس، لصيقة الإقبالية الحنفية، شمالي الجامع الأموي والظاهرية الجوانية.

قال ابن شداد: بانيها جاروخ التركماني، يلقب بسيف الدين... بناها جاروخ برسم المدرّس العلّامة الإمام أبي القاسم محمود بن المبارك بن علي بن المبارك المعروف بالمجير الواسطي ثم البغدادي الشافعي، أحد العلماء الأذكياء والمحررين في المذهب....

- المدرسة الحمصية [٧٢٦هـ]:

تجاه الشامية البرانية[2].

قال ابن كثير في سنة ست وعشرين وسبعمئة: وفي يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة فُتحت المدرسة الحمصية تجاه الشامية البرانية، ودرّس بها العالم العلامة محيي الدين الطرابلسي، وكان رحمه الله تعالى قاضي حصن عكار، ويُلقب بأبي رياح، وحضر عنده الشيخ العالم القاضي الشافعي يعني جلال الدين القزويني.

---

(١) تقع هذه المدرسة في حارة درب الحمام أو السبع طوالع كما تسمى اليوم، وذكر العلبي - رحمه الله تعالى -أن هذه الحارة لم تتعرض لعمليات هدم منذ ذلك العصر، ولذلك من الراجح أن تكون آثار هذه المدرسة وآثار الإقباليتين والتقوية موجودة ضمن البيوت القائمة في تلك المنطقة.

(٢) من العلماء - بناء على تحقيق العلبي - من ذكر أنها تقع مقابل الشامية الجوانية وليس البرانية؛ أي غربي زقاق المحكمة اليوم، وليس في سوق ساروجة مقابل البرانية. وفي مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٨٥م مقال بعنوان: «ملاحظات حول بناء هدم مؤخراً في سوق ساروجة»، للباحثة إيرين لابيري، ذكرت فيه أنها عاينت في منطقة سوق ساروجة بقايا بناء، رجحت أنه المدرسة الحمصية.

- المدرسة الحلبية[1] [٧٩٠هـ]:

هي بخط السبعة، أُقيمت الجمعة فيها سنة ثلاث عشرة وثمانمئة.

قال ابن قاضي شهبة رحمه الله تعالى في صفر سنة أربع عشرة وثمانمئة، ثم قال: وفي رجب سنة خمس عشرة، وممن توفي فيها شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق، كان في أول أمره مغنياً يُعلِّم الجواري الغناء، ثم تاب عن ذلك، وكان ملازماً للصلاة، ووقف إلى جانب المدرسة الحلبية مسجداً[2]، وأضافه إلى المدرسة المذكورة، ووقف عليها وقفاً، ولم يخلِّف ولداً، ووقف ثلث قاعة على الزيت الذي يوقد في الحجرة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة وأتم السلام، والثلث على زوجته، والثلث الثالث على ابن أخيه، ووقف على قراءة البخاري بالحلبية، ومآل ذلك إلى الزيت على الحجرة المذكورة، توفي يوم الأحد مستهل الشهر المذكور، وكان شيخاً ديِّناً جداً....

- المدرسة الخبيصية[3] [٨٠٠هـ]:

قِبلي الزنجاري.

قال الأسدي في المحرم سنة أربع عشرة وثمانمئة: أقضى القضاة بدر الدين حسين المعروف بابن قاضي أذرعات، اشتغل في النحو على شرف الدين الأنطاكي حتى فضل في ذلك، وأخذ الفقه عن نجم الدين بن الجابي وشرف الدين بن الشريشي، واشتغل مع الفقهاء أي فقهاء البادرائية، وصحب القاضي سري الدين، ثم صحب قاضي القضاة علاء الدين، واختص به كثيراً وحصل له منه نفع ووظائف، وناب بعد الفتنة[4] لقاضي القضاة نجم الدين بن حجي ولقاضي القضاة الأخنائي ولشهاب الدين الباعوني، ثم ترك ذلك، وأشهد

---

(١) تقع هذه المدرسة شمالي باب توما، ولا أثر لها اليوم.

(٢) وهذا يدل على وجود المدرسة الحلبية قبله.

(٣) تقع على نهر باب توما، بين باب السلام وباب توما.

(٤) أي فتنة تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ.

عليه أنه تاب من ولاية القضاة، وكان يكتب خطاً حسناً سريعاً، نسخ بخطه أشياء كثيرة، وكان فصيح العبارة ذكياً، ولكنه كان قليل الاستحضار للفقه، وله تصدير بالجامع يشتغل فيه، وكان قليل الأذى بلسانه وفعاله، وكان آخر عمره خيّراً من أوله، وخُتم له بالشهادة فتوفي ليلة الأحد وقت المغرب سلخ الشهر بسكنه بأعلى مدرسة الخبيصية، ودُفن من الغد بتربه الشيخ أرسلان، وحضر جنازته خلق كثير، وخلّف ثلاثة بنين، وكتب جهاته وهي التصدير وإعادة العذراوية ومشيخة مدرسة الخبيصية وعمالة السميساطية ونصف خطابة الكرك والفقاهات باسم أولاده، ولم يكن بيده تدريس، وكان كريم النفس، وكان له أربعة عشر من فقهاء الشافعية المشهورين....

- المدرسة الخليلية[1] [٧٤٥هـ]:

بدمشق.

قال الشريف الحسيني في ذيل العبر سنة ست وأربعين وسبعمئة: مات بحمص نائبها الأمير سيف الدين بكتمر الخليلي صاحب مدرسة الخليلية بدمشق، ونُقل إليها في تابوت، فدفن بالقبيبات رحمه الله تعالى.

- المدرسة الدماغية[2] [٦٣٨هـ]:

داخل باب الفرج، غربي الباب الثاني الذي قبلي باب الطاحون، وهي قبلي وشرقي الطريق الآخذ إلى باب القلعة الشرقي، وهذه الطريق بينها وبين الخندق، وهي أيضاً شمالي العمادية منتصفة بين الشافعية والحنفية.

قال ابن شداد: المدرسة الدماغية على الفريقين، مُنشِئُها جدة فارس الدين بن الدماغ زوجة شجاع الدين بن الدماغ العادلي، في سنة ثمان وثلاثين وستمئة.

---

(١) تقع خارج باب الفرج، خلف سوق النحاسين، مقابل حمام المحتسب.

(٢) تقع أسفل سوق العصرونية، ومن المؤرخين من قال إن مكانها هو قاعة النشاء القائمة اليوم هناك.

قال ابن كثير في سنة أربع عشرة وستمئة: الشجاع محمود المعروف بابن الدماغ، كان من أصدقاء العادل يُضحكه، فحصّل أموالاً جزيلة، كانت داره داخل باب الفرج، فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية، ووقفت عليها أوقافاً....

قال أبو شامة: كان من أصدقاء العادل في زمن شبيبته، وبقي معه في زمن السلطنة مضحكاً له، وحصل له ثروة عظيمة، توفي بدمشق في ذي القعدة، وداره بدمشق جعلتها زوجته عائشة مدرسة للفريقين الشافعية والحنفية بحضرة باب الفرج....

- المدرسة الدولعية[1] [٦٢٠هـ]:

بجيرون، قِبلي المدرسة البادرائية بغرب.

أنشأها العلّامة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن زيد بن ياسين بن زيد الخطيب التغلبي الأرقمي الدولعي ثم الدمشقي خطيبها، وُلِد بالدولعية من قرى الموصل كما قاله الصفدي وغيره في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وخمسمئة، ورد دمشق شاباً، فتفقّه على عمه الشيخ ضياء الدين عبد الملك الدولعي خطيب دمشق، وسمع منه ومن جماعة، وولي الخطابة بعد عمه وطالت مدته في المنصب....

وقال ابن كثير في تاريخه: وكان مدرّساً بالغزالية مع الخطابة، وقد منعه المعظم في وقت عن الفتوى، فعاتبه السبط في ذلك، فاعتذر بأن شيوخ بلدهم أشاروا بذلك لكثرة أخطائه في فتاويه، وكان شديد المواظبة على الوظيفة لا يكاد يفارق بيت الخطابة، ولم يحج قط مع أنه كانت له أموال كثيرة، ووقف مدرسة بجيرون....

---

(١) تقع في زقاق الداغستاني إلى الشرق من الجامع الأموي، وبقي منها قبر الواقف فقط.

- المدرسة الركنية الجوانية الشافعية [٦٢٥هـ]:

قال ابن شداد: واقفها ركن الدين منكورس عتيق فلك الدين سليمان العادلي، وهو الذي بنى الركنية الحنفية البرانية، ثم قال: وليها شمس الدين ابن سني الدولة، ثم ولده قاضي القضاة صدر الدين من بعده، ثم نجم الدين ولد صدر الدين القاضي، ثم شمس الدين بن خلكان، وكان ينوب بها عنه الشيخ محيي الدين النووي، ثم بدر الدين محمد بن سني الدولة، وهو مستمر بها إلى الآن....

- المدرسة الرواحية [٦٠٠هـ]:

شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الأموي، ولصيقه شمالي جيرون، وغربي الدولعية، وقبلي الشريفية الحنبلية.

قال ابن شداد: بانيها زكي الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة.

وقال الذهبي في تاريخه العبر في من مات سنة اثنتين وعشرين وستمئة: الزكي بن رواحة هبة الله بن محمد الأنصاري التاجر المعدَّل واقف المدرسة الرواحية بدمشق وأخرى بحلب، توفي في شهر رجب بدمشق.

وقال ابن كثير في سنة ثلاث وعشرين وستمئة: واقف الرواحية بدمشق أبو القاسم هبة الله بن محمد المعروف بابن رواحة، كان أحد التجار ذوي الثروة، وهو من المعدَّلين بدمشق، وكان في غاية الطول والعرض، وقد ابتنى المدرسة الرواحية داخل باب الفراديس ووقفها على الشافعية، وفوَّض تدريسها ونظرها إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهرزوري، وله بحلب الشهباء مدرسة أخرى مثلها، وقد انقطع في آخر عمره في المدرسة التي بدمشق، وكان يسكن البيت الذي في إيوانها من الشرف، ورغب فيما بعد أن يُدفن فيه إذا مات، فلم يُمكَّن من ذلك، بل دُفن بمقابر الصوفية....

وقال الأسدي في تاريخه في سنة ثلاث وعشرين وستمئة: واقف الرواحية هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن رواحة زكي الدين أبو القاسم الأنصاري الحموي التاجر المعدّل، وكان في غاية الطول والعرض كثير الأموال محتشماً، أنشأ مدرسة بدمشق داخل باب الفراديس، وفوّض تدريسها ونظرها إلى ابن الصلاح المذكور، وله بحلب الشهباء أخرى مثلها، وحدَّث عن أبي الفرج بن كليب، وإنما قيل له ابن رواحة؛ لأنه ابن أخت أبي عبد الله الحسين بن عبد الله بن رواحة رحمه الله تعالى.

قال أبو المظفر: توفي في رجب ودُفن بمقابر الصوفية، وتبعه ابن كثير على أنه توفي هذه السنة.

وقال الذهبي: إنه توفي في شهر رجب سنة اثنتين، قال: وغلط من قال إنه مات في سنة ثلاث. قال الذهبي: وشرط على الفقهاء والمدرس شروطاً صعبة لا يمكن القيام ببعضها....

- المدرسة الخضرية[1] [٦٥٠هـ]:

بمقصورة الخضر عليه السلام، غربي الجامع الأموي بدمشق.

والذي حقق من مدرسيها: الشيخ عماد الدين، ثم من بعده جمال الدين بن الحموي، وكان يذكر هناك الدرس عماد الدين عبد العزيز بن محمد بن الصائغ ثم توفي، قاله ابن شداد.

وقال ابن قاضي شهبة في صفر سنة أربع وثلاثين وثمانمئة: وممن توفي فيها بهاء الدين محمد... قرأ التنبيه في صغره، ودرّس بالنجيبية البرانية والحلقة الخضرية بالجامع [الأموي]....

---

(١) وتسمى أيضاً الزاوية الخضراء.

- المدرسة الساوجية[(١)] [٦٦٥هـ]:

قال ابن شداد: أنشأها جمال الدين الساوجي، كان تاجراً، وقفها على الشريف كمال الدين حمزة الطوسي، وهو مستمر بها إلى الآن.

- المدرسة الشامية البرانية [٥٨٢هـ]:

بالعقيبة، قال ابن كثير: بمحلة العوينة.

وقال ابن شداد: بانيها والدة الملك الصالح إسماعيل... ثم قال في موضع: باني المدرسة الشامية البرانية، أنشأتها ست الشام ابنة نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان أخت الملك الناصر صلاح الدين، وهي من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقهاء وأكثرها أوقافاً.

قال الذهبي في تاريخه الصغير فيمن مات سنة ست عشرة وستمئة: وست الشام الخاتون أخت الملك الناصر صلاح الدين والعادل، توفيت في ذي القعدة، ودُفنت بتربتها التي بمدرستها الشامية.

وقال ابن كثير في تاريخه [في] السنة المذكورة: واقفة المدرستين الخاتون الجليلة ست الشام بنت أيوب بن شادي يعني ابن يعقوب، كذا رأيته بخط البرزالي في وفاة الملك المؤيد صاحب حماة، أخت الملوك وعمة أولادهم، وكان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكاً، منهم شقيقها الملك المعظم توران شاه بن أيوب صاحب اليمن، وهو مدفون عندها في تربتها في القبر القبلي من الثلاثة وفي الأوسط منها زوجها، وكانت قد تزوجته بعد أبي ابنها حسام الدين عمر المدفون في القبر الثالث، وهي في الذي يلي مكان الدرس، ويقال للتربة والمدرسة الحسامية نسبة إلى ابنها هذا حسام الدين عمر بن لاجين، وكانت من أكثر النساء صدقة وإحساناً إلى الفقراء والمحاويج، وتعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب أشربة وأدوية وعقاقير وغير ذلك، فيُفرق على الناس، وكانت

---

(١) لم يُعرف عن هذه المدرسة سوى أنها كانت خارج السور.

وفاتها يوم الجمعة آخر النهار سادس عشرين ذي القعدة من هذه السنة في دارها التي جعلتها مدرسة عند المارستان وهي الشامية الجوانية، ونُقلت منها إلى تربتها بالشامية البرانية، وكانت جنازتها عظيمة حافلة....

- المدرسة الشامية الجوانية[١] [٦٢٨هـ]:

قِبلي المارستان النوري.

قال ابن شداد: إنشاء ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان.

وقد تقدمت ترجمتها في الشامية قبل هذه، وكانت هذه المدرسة داراً جعلتها بعدها مدرسة، وفيها توفيت ونُقلت إلى تربتها بالشامية البرانية، ويقال لها الحسامية أيضاً كما تقدم فيها.

وقال شيخ الإسلام تقي الدين السبكي في فتاويه الكبرى - فصل - قال الشيخ الإمام مختصر كتاب الشامية الجوانية: هذا ما وقفه فخر الدين أبو بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن علي بن أحمد الأنصاري ما يأتي ذكره: فمن ذلك جميع الدار بدمشق، ومنه بظاهر دمشق ضيعة تعرف ببزينة، وحصة مبلغها أحد عشر سهماً ونصف سهم من أربعة وعشرين سهماً تعرف بجرمانا من بيت لهيا، ومنها أربعة عشر سهماً وسبع من أربعة وعشرين سهماً من ضيعة تعرف بالتينة من جبة عسال، ومنه جميع الضيعة المعروفة بمجيدل القرية، ومنه نصف ضيعة تعرف بمجيدل السويدة، وقفاً على الخاتون ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادي، ثم على بنت ابنها زمرد خاتون بنت حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، ثم على أولادها للذكر مثل حظ الأنثيين، ثم على أولاد أولادها، ثم على أنسالهم كذلك، فإذا انقرضوا ولم يوجدوا عاد على الجهات التي يأتي ذكرها، فالدار مدرسة على الفقهاء والمتفقهة الشفعوية المشتغلين بها....

---

(١) تقع في المدخل الغربي لزقاق المحكمة، وقد دُمرت هذه المدرسة سنة ٨٠٣هـ في حملة تيمورلنك، ثم أُعيد بناؤها، ثم احترقت ثانية سنة ١٣٤٤هـ وبقي قسم منها.

- المدرسة الشاهينية [٨٠٥هـ]:

هي وظيفة تصدير[١] بجامع التوبة بالعقيبة.

جددها الأمير شاهين الشجاعي داودار شيخ.

قال الشيخ شهاب الدين بن حجي: كان من أعظم أعوان أستاذه في الفتن، وعمَّر بجامع التوبة بعد حريقه بالفتنة[٢] من ماله، توفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة ست عشرة وثمانمئة بطريق مصر، وأسف عليه كثير من الناس، وقالوا: هو كان سعد أستاذه....

- المدرسة الشومانية[٣] [٦٦٠هـ]:

أنشأتها خاتون بنت ظهير الدين شومان. أخبرني أخونا القاضي برهان الدين إبراهيم بن محمد بن برهان الدين الشهير بابن المعتمد أن هذه المدرسة المسماة الآن بالطيبة سمّوها بذلك تيمناً....

- المدرسة الشريفية[٤] [٦٥٠هـ]:

التي عند حارة الغرباء.

وقال الشيخ تقي الدين الأسدي: الشريفية بدرب الشعارين، لم أعرف واقفها، درَّس بها سيدنا الشيخ نجم الدين الدمشقي رحمه الله تعالى في سنة تسعين وستمئة، ولم أعرف من درَّس بها غيره، والله أعلم بذلك.

---

(١) أي حلقة تدريس.

(٢) أي فتنة تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ، كما أشرنا قبل صفحات.

(٣) كانت تقع قبلي المدرسة النورية، تعرّضت للتدمير سنة ٨٠٣ هـ في فتنة تيمورلنك، وتم تحويلها اليوم إلى محلات تجارية !!.

(٤) هُدمت عام ١٩٤٢م.

- المدرسة الصالحية[1] [٦٤٠هـ]:

بتربة أم الصالح الملك، غربي الطيبة والجوهرية الحنفية، وقبلي الشامية الجوانية بشرق.

قال ابن كثير في سنة ثمان وأربعين وستمئة: الصالح أبو الجيش إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر، وهو واقف تربة أم الصالح، وقد كان الصالح ملكاً عادلاً عاقلاً حازماً، تقلّبت به الأحوال لطواراً كثيرة، وقد كان الأشرف موسى أوصى له بدمشق من بعده، فملكها شهوراً ثم انتزعها منه أخوه الكامل ثم ملكها من الصالح خديعة ومكراً، فاستمر بها أزيد من أربع سنين، ثم استعادها منه الصالح أيوب عام الخوارزمية سنة ثلاث وأربعين وستمئة، واستقرت بيده بعلبك وبصرى، ثم أخذنا منه، ولم يبق له بلد يأوي إليه، فلجأ إلى المملكة الحلبية في جوار الناصر يوسف صاحب حلب الشهباء، فلما كان في هذه السنة - كما ذكرنا - عُدم بالديار المصرية فلا يُدرى ما فُعل الله به، والله سبحانه وتعالى أعلم، وهو واقف التربة والمدرسة ودار الحديث والإقراء بدمشق....

- المدرسة الصارمية[2] [٦٢٢هـ]:

داخل [بابي] النصر والجابية، قبلي العذراوية بشرق.

قال القاضي عز الدين: بانيها صارم الدين أزبك مملوك قايماز النجمي.

ورأيت[3] مرسوماً بعتبتها ما صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا المكان المبارك إنشاء الطواشي الأجل صارم الدين جوهر بن عبد الله الحر،

---

(١) كانت تقع في زقاق المحكمة الغربي، وقد أُزيلت المدرسة والمنطقة حولها، وفُتحت مكانها أبنية تجارية !!.

(٢) كانت تقع في وسط منطقة الحريقة اليوم، وقد تهدّمت المنطقة من جرّاء القصف الفرنسي لدمشق سنة ١٩٢٥م.

(٣) والرؤية هنا للنعيمي، مما يرجح أن باني هذه المدرسة هو صارم الدين جوهر بن عبد الله، وليس صارم الدين أزبك.

عتيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذراء ابنة شاهنشاه رحمها الله تعالى، وهو وقف محرم وحبس مؤبد على الطواشي المسمى أعلاه مدة حياته، ثم من بعد حياته على المتفقهة من أصحاب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، والنظر في هذا المكان والوقف عليه للطواشي جوهر المسمى أعلاه مدة حياته على ما دون في كتاب الوقف، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ الآية[1]، كتب سنة اثنتين وعشرين وستمئة....

- المدرسة الصلاحية[2] [٥٦٧هـ]:

بالقرب من البيمارستان النوري[3].

بانيها نور الدين محمود بن زنكي الشهيد، ونُسبت إلى الملك الناصر صلاح الدين فاتح بيت المقدس.

قال الذهبي في العبر في سنة تسع وستين وخمسمئة: السلطان نور الدين محمود العادل أبو القاسم ابن أتابك زنكي بن آق سنقر التركي، تملّك حلب بعد أبيه، ثم أخذ دمشق فملكها عشرين سنة، وكان مولده في سنة إحدى عشرة وخمسمئة، وكان أجل ملوك زمانه وأعدلهم وأكثرهم أدباً وجهاداً وأسعدهم في دنياه وآخرته، وهزم الفرنج غير مرة وأخافهم وجرَّعهم المر، ومحاسنه في الجملة أبين من الشمس والقمر، وكان أسمر طويلاً مليحاً تركي اللحية نقي الخد، شديد المهابة، حسن التواضع، طاهر اللسان، كامل العقل والرأي، سليماً من التكبر خائفاً من الله تعالى، قلَّ أن يوجد في

---

(١) يقصد قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة، الآية ١٨١، وهي الآية التي كانت تختتم بها جميع كتب الوقف.

(٢) ولا أثر لها اليوم، إلا ما عاينته بنفسي؛ إذ رأيت مقابل البيمارستان النوري فوق أحد المحلات التجارية لوحة مطموسة بالطين عن قصد، وأغلب الظن أنها اللوحة التأسيسية لهذه المدرسة.

(٣) وبعبارة أدق: مقابل البيمارستان النوري.

الصلحاء الكبار مثله فضلاً عن الملوك، ختم الله تعالى له بالشهادة ونوّله الحسنى إن شاء الله تعالى وزيادة، فمات رحمه الله تعالى بداء الخوانيق في حادي عشر شوال، وعهد بالملك إلى ولده الصالح إسماعيل، وعمره إحدى عشرة سنة....

- المدرسة التقطائية[1] [٧٤٨هـ]:

ورأيت في قائمة بكشف الأوقاف سنة عشرين وثمانمئة: التقطائية بالتاء المثناة الفوقية، من المدارس الشافعية، عمّر بعضها وهي داخل الباب الصغير بنحو مئة ذراع شرقيه بشام غربي بيت الخواجا الناصري قبلي منارة الشحم لها منارة صغيرة....

ورأيت في الوافي لصلاح الدين الصفدي في حرف الطاء المهملة ذكر اثنين، أحدهما: طقطاي السلطان صاحب القبجاق بن منكو تمر بن سابر خان الطاغية الأكبر جنكيز خان المغلي، توفي سنة ثلاثة عشر وسبعمئة، وثانيهما: طقطاي الأمير عز الدين داوادار الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي، كان ممن حمل راية السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وإنما أعطاه ليلبغا، فعمله دواداراً، وكان يقول عنه: هذا قرابتي وهو حدث، وكان قد سلّم قياده إليه وهو النائب وحديث الناس معه في سائر الأمور، ولم يكن يقول شيئاً فيخالفه، وهو حسن الوجه عاقل كثير الإطراق قليل الكلام ساكن كثير الخير، عديم الشر لم يؤذ أحداً ولا تتطلع إلى مال أحد، نعم إن أهدى الناس إليه شيئاً قبله ورعى له خدمة، وكان ينفع أصحابه كثيراً....

---

(١) أو الطقطائية، كانت تقع داخل دمشق، شمالي الباب الصغير إلى الشرق، جنوبي مأذنة الشحم، وذكر العلبي - رحمه الله تعالى - أن في تلك المنطقة يقوم اليوم مسجد صغير يقال له «مسجد الطفطافية» بالفاء، ونرجح أنه هو المدرسة المذكورة؛ لأن الصفات تنطبق عليه تماماً، والله أعلم.

- المدرسة الطبرية[1] [٧١٥هـ]:

بباب البريد.

وقْفُها برأس العين، وحوانيت بالنورية داخل دمشق.

درَّس بها الشيخ الإمام العالم الأصيل شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أُله بفتح الهمزة وضم اللام وإسكان الهاء، ومعناه بالعربي: العقاب، الأصفهاني الأصل الدمشقي المعروف بابن الشرف حسين، ميلاده في المحرم سنة سبع بتقديم السين وخمسين وستمئة، وسمع جماعة واشتغل وأفتى، وكتب بخطة الحسن كثيراً من الكتب... توفي في شهر رجب سنة تسع وثلاثين وسبعمئة....

- المدرسة الطيبة[2] [القرن السابع أو الثامن الهجري]:

قبلي النورية الحنفية، وشرقي تربة زوجة تنكز، بقرب الخواصين داخل دمشق....

قال الصفدي في حرف الطاء المهملة: باني الطيبة العابر علي بن أبي بكر... درَّس بها الخطيب أبو العباس الفزاري، وقد تقدمت ترجمته في دار الحديث الناصرية.

وقال ابن كثير في سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة: شيخنا العلَّامة الزاهد الورع بقية السلف ركن الدين أبو يحيى زكريا بن يوسف بن سليمان بن حامد البجلي الشافعي، نائب الخطابة ومدرِّس الطيبة والأسدية....

---

(١) ولا أثر لهذه المدرسة اليوم.

(٢) تقدم أنها المسماة بالشومانية، وغُيِّر اسمها تيمناً.

- المدرسة الظبيانية[1] [٧٥١هـ]:

قبلي المدرسة الشامية الجوانية، وغربي المدرسة الصالحية التي غربي مدرسة الطيبة.

من وقفها: المزرعة بقرية يعقوبا، والمحاكرات حول الخندق قبلي سور دمشق وشمالي مقبرة باب الصغير، درَّس بها في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وسبعمئة الحافظ شهاب الدين بن حجي....

- المدرسة الظاهرية البرانية[2] [٦٠٠هـ]:

خارج باب النصر بمحلة المنيبع، شرقي الخاتونية الحنفية، وغربي الخانقاه الحسامية، بين نهري القنوات وبانياس، على الميدان بالشرف القبلي.

بناها الملك الظاهري غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب....

[ترجمة الظاهر غازي]

قال الأسدي في تاريخه في سنة عشر وستمئة:... الملك الظاهر غازي صاحب حلب بن يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان، السلطان الملك الظاهر غياث الدين أبو منصور ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب، وُلِد بمصر في شهر رمضان سنة ثمان وستين، وسمع بالإسكندرية من ابن عوف وبمصر من ابن بري وبدمشق من الفضل البانياسي، وحدَّث بحلب، وولي سلطنتها ثلاثين سنة.

قال الموفق بن عبد اللطيف: كان جميل الصورة رائع الملاحة موصوفاً بالجمال في صغره وفي كبره، وله غور ذكاء ودهاء ومكر، وأعظم دليل على دهائه مفاوضته لعمه العادل، وكان لا يخليه يوماً من شغل قلب وخوف، وكان

---

(١) كانت تقع في الزاوية الشمالية الغربية لزقاق المحكمة، ولا أثر لهذه المدرسة اليوم.

(٢) كانت تقع في منطقة الحلبوني.ورئاسة جامعة دمشق، ولا أثر لهذه المدرسة اليوم.

يُصادق ملوك الأطراف ويباطنهم ويلاطفهم ويوهمهم أنه لولاه لكان العادل يقصدهم، ويُوهم عمه أنه لولاه لم يطعه أحد من الملوك ولكاشفوه بالشقاق، فكان بهذا التدبير يستولي على الجهتين ويستعبد الفريقين ويشغل بعضهم ببعض، وكان كريماً معطياً يغمر الملوك بالتحف والشعراء والقُصَّاد بالصلات، وتزوج بنت العادل وماتت معه، ثم تزوج أختها فكان له عرس مشهور، وجاءت منه بالملك العزيز في أول سنة عشرة، وأظهر السرور بولادته، وبقيت حلب مزينة شهرين، والناس في الأكل والشرب، ولم يبق صنف من أصناف الناس إلا أفاض عليهم النعم ووصلهم بالإحسان، وسيَّر إلى المدارس والخوانق الغنم والذهب، وأمرهم أن يعملوا الولائم، ثم فعل ذلك مع الأجناد والغلمان والخدم، وكان عنده من أولاد أبيه وأولاد أولادهم مئة وخمسة وعشرون نفساً، وزوَّج الذكور منهم بالإناث، وعقد في يوم واحد خمسة وعشرين عقداً بينهم، ثم صار كل ليلة يعمل عرساً ويحتفل به.

وقال أبو المظفر بن الجوزي: كان مهيباً، له سياسة وفطنة ودولة معمورة بالفضلاء والعلماء مزينة بالملوك والأمراء، وكان محسناً إلى رعيته وإلى الوافدين عليه، حضر معظم غزوات أبيه، وانضم إليه إخوته وأقاربه، وكان يزور الصالحين ويتفقدهم، وكان يتوقد ذكاء وفطنة....

- المدرسة الظاهرية الجوانية[1] [٦٧٨هـ]:

داخل بابي الفرج والفراديس، بينهما، جوار الجامع، شمالي باب البريد، وقبلي الإقباليتين والجاروخية، وشرقي العادلية الكبرى، بابهما متواجهان بينهما الطريق، بُنيت مكان دار العقيقي، وهي كانت دار أيوب والد صلاح الدين.

---

(١) تشغل اليوم ما يُعرف بالمكتبة الظاهرية، وللمناسبة نذكر أنه في سنة ١٢٩٥هـ، أمر والي دمشق مدحت باشا أن تضمَّ في هذه المدرسة الكتبُ المبعثرة في مدارس دمشق الأخرى، فجُمعت تحت القبة بهمّة الشيخ طاهر الجزائري، وقد هُدمت هذه المدرسة سنة ٢٠١١م وتم بناؤها على الأسس القديمة، ولم يبق من البناء القديم إلا الواجهة والقبة وما حولهما، وتحول الباقي إلى بناء إسمنتي على الطراز الحديث !!.

قال ابن كثير في سنة ست وسبعين وستمئة: وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى شُرع في بناء الدار التي تعرف بدار العقيقي تجاه العادلية، لتُجعل مدرسة وتربة الملك الظاهر، ولم تكن قبل ذلك إلا داراً أيضاً للعقيقي، وهي المجاورة لحمام العقيقي تجاه العادلية، وأُسس أساس التربة في خامس جمادى الآخرة، وأُسست المدرسة أيضاً.

وقال ابن قاضي شهبة في سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة: العقيقي صاحب الحمام بباب البريد، أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي العقيقي، توفي في جمادى الأولى من هذه السنة، وحضر جنازته بكجور نائب البلد وأصحابه، ودُفن خارج باب الصغير، وقد اشترى الملك الظاهر بيبرس داره وبناها مدرسة ودار حديث وتربة، وذلك في حدود سنة سبعين وستمئة.

[ترجمة الظاهر بيبرس]

والملك الظاهر هذا هو السلطان ركن الدين أبو الفتوح بيبرس التركي البندقداري الصالحي النجمي، صاحب مصر والشام، ميلاده في حدود العشرين وستمئة، اشتراه الأمير علاء الدين البندقداري، فقبض الملك الصالح على البندقداري وأخذ ركن الدين المذكور، فكان من جملة مماليكه، وطلع شجاعاً ضارياً، شهد وقعة المنصورة، وكان أميراً في الدولة المعزية، ثم صار من أعيان البحرية، وولي السلطنة في سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمئة، وله فتوحات مشهورة ومواقف مشهودة، ولولا ظلمه وجبروته في بعض الأحايين لعُد من الملوك العادلين، توفي يوم الخميس بعد الظهر ثامن عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستمئة بقصره الأبلق بدمشق، وخلّف من الأولاد الملك السعيد محمد والخضر وسلامش، وسبع بنات، ودُفن بتربة أنشأها ابنه الملك السعيد وبيلبك الخازندار الظاهري نائب سلطنة مولاه، وكان بيلبك المذكور قد أخفى موت الملك الظاهر، وخرج من دمشق إلى مصر بمحفة يُوهم أن السلطان فيها

مريض، إلى أن دخل مصر فسلطن الملك السعيد ناصر الدين أبا المعالي محمد، ميلاده في حدود سنة ثمان وخمسين وستمئة بظاهر القاهرة، وتملَّك بعد أبيه في صفر سنة ست وسبعين وستمئة....

- المدرسة العادلية الكبرى[1] [٦١٩هـ]:

داخل دمشق، شمالي الجامع بغرب، وشرقي الخانفاه الشهابية، وقبلي الجاروخية بغرب، وتجاه باب الظاهرية يفصل بينهما الطريق.

وقال ابن شداد: أول من أنشأها نور الدين محمود بن زنكي، وتوفي ولم تتم، فاستمرت كذلك، ثم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين، ثم توفي ولم تتم أيضاً، فتمَّمها ولده الملك المعظم، وأوقف عليها الأوقاف التي منها إلى الآن جميع قرية الدريج وجميع قرية ركيس...[2].

- المدرسة العادلية الصغرى [٦٥٦هـ[3]]:

داخل باب الفرج، شرقي باب القلعة الشرقي، قبلي الدماغية والعمادية.

قال ابن شداد: العادلية الصغرى، مُنشئها زهرة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب.

وقال الأسدي في سنة تسع وستمئة: عبدان الفلكي الأمير عز الدين صاحب الدار والحمار المنسوبين بعده لابن موسك مقابل دار الحديث النورية، قاله أبو شامة، وداره هي العادلية الصغرى.

ورأيت بخط شيخنا بدر الدين بن قاضي شهبة ما صورته: العادلية الصغرى، كانت داراً تعرف بابن موسك، ملكتها الخاتون عصمة الدين زهرة

---

(١) تقابل اليوم المكتبة الظاهرية تماماً.

(٢) ستأتي ترجمة العادل مطولة لاحقاً.

(٣) تمَّت سنة ٦٥٦هـ بحسب النقش المدوَّن على بابها، والذي أورده سوفاجيه.

ابنة الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، ثم ملكت الخاتون زهرة لابنة عم أبيها الخاتون بابا خاتون ابنة أسد الدين شيركوه الدار المذكورة وقرية كامد والحصة من قرية برقوم من أعمال حلب والحصة من قرية بيت الدير من الأصغار والحمام والمعروف بابن موسك، فوقفت بابا خاتون ذلك جميعه على زهرة خاتون الملكة، ومن بعدها تكون مدفناً ومدرسة ومواضع للسكنى، وشرطت للمدرسة مدرساً معيداً وإماماً ومؤذناً وبواباً وقيّماً وعشرين فقيهاً، ووقفت الجهات المذكورة منها ما هو على مصالح المدرسة ومصارفها، وبعضها على أقاربها ومعتقيها، وذلك في مستهل شهر رمضان سنة خمس وخمسين وستمئة....

- المدرسة العذراوية[١] [٥٨٠هـ]:

بحارة الغرباء، داخل باب النصر المسمى الآن بباب دار السعادة، وفيها باب ينفذ إليها، وهي وقف على الشافعية والحنفية.

قال ابن شداد: أنشأتها الست عذراء بنت أخي صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس رحمه الله تعالى ورحمنا به في الدنيا والآخرة، في شهور سنة ثمانين وخمسمئة، داخل باب النصر في حارة الغرباء.

وقال ابن كثير في سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة: وفيها توفيت الست عذراء بنت أخي صلاح الدين شاهنشاه بن أيوب، ودُفنت بمدرستها.

وقال الصفدي: عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب بن شادي، الخاتون الجليلة صاحبة المدرسة العذراوية التي داخل باب النصر، وهي أخت عز الدين فروخ شاه، وعمة الملك الأمجد، توفيت سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة، ودفنت بالمدرسة التي أنشأتها....

---

(١) كانت تقع في منطقة سوق الأروام كما يُسمى اليوم، ولا أثر لها حالياً.

- المدرسة العزيزية[1] [٥٩٣هـ]:

شرقي التربة الصلاحية، وغربي التربة الأشرفية، وشمالي الفاضلية، بالكلّاسة لصيق الجامع الأموي.

قال ابن شداد: ولما مات السلطان صلاح الدين بن أيوب، بنى ولده الملك العزيز عثمان مدرسة إلى جنب الكلّاسة بالجامع، ونقل إليها والده في قبة في جوارها. وقال في آخر: المدرسة العزيزية جوار الكلّاسة، أول من أسسها الملك الأفضل، ثم أتمها الملك العزيز عثمان.

وقال الذهبي في العبر... في سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة: وفيها قدم العزيز دمشق مرة ثالثة ومعه عمه العادل، فحاصر دمشق مدة أيضاً، ثم خامر جند الأفضل عليه، ففتحوا لهما ودخلا في شهر رجب، وزال مُلك الأفضل وأُنزل في صرخد ورُد العزيز وبقي العادل بدمشق، وخُطب بها للعزيز قليلاً، وكانت دار الأمير أسامة بجنب تربة صلاح الدين، فأمر العزيزُ القاضيَ محيي الدين بن الزكي أن يبنيها له مدرسة، ففعل.

وقال في سنة خمس وتسعين وخمسمئة: وفيها مات العزيز... وقال فيه: فيها الملك العزيز أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر، توفي في المحرم عن ثمان وعشرين سنة، وكان شاباً مليحاً ظريف الشمائل قوياً ذا بطش وكرم وحياء وعفة، بلغ من كرمه أنه لم يبق له خزانة، وبلغ من عفته أنه كان له غلام بألف دينار، فحلّ لباسه ووقف، فتركه وأسرع إلى سرية له فافتضها وخرج وأمر الغلام بالتستر، وأقيم بعده ابنه وهو مراهق....

---

(١) كانت تقع بجوار الأموي عند باب الكلّاسة، ولم يبق منها إلا المحراب وقوس في المدخل الشرقي لها، وهو الذي أصبح حديقة. ويرقد في المدرسة اليوم بعض الطيّارين الأتراك والسيد ياسين الهاشمي وعبد الرحمن الشهبندر.

- المدرسة العصرونية[1] [٥٧٥هـ]:

داخل بابي الفرج والنصر، شرقي القلعة، وغربي الجامع، بمحلة حجر الذهب. قال ابن كثير: عند سويقة باب البريد، قبالة داره بينهما عرض الطريق.

قلت: صارت داره الآن قيسارية لعمارة الغير، والأرض لذريته لا للمدرسة، وبقي الآن آثار عمارته خراباً.

ومن وقف المدرسة عشرة قراريط ونصف قيراط في قرية هريرة، ومنه ببعلبك مزرعتان معروفتان الآن بدير النيط وقدريهما عشرة قراريط شركة الخانقاه السميساطية، ومنه مزرعة تعرف بالجلدية نحو أربعة عشر قيراطاً يزرعها أهل الجعيدية، ومنه في قرية حمارا بالمج الشمالي قيراط ونصف وربع قيراط، ومنه بالثابتية خارج باب الجابية بدمشق بستان يعرف بالسنبوسكي.

وشرط ألا يُزاد في عدة فقهائها على عشرين فقيهاً على الشافعية وغيرهم، وأن التدريس لذريته، ويستتاب عن غير المتأهل، وأن يدرِّس بها من تصانيف الواقف الآتي ذكره: الانتصار وغيره لا من تصانيف الشريف، فإن تعذَّر من تصانيفه فيدرِّس بها في الخلاف، وأن يكون لكل من أرباب وظائفها كذا وكذا من القراطيس، كذا أخبرني به أقضى القضاة نور الدين بن منعة الحنفي زوج بنتٍ من ذرية الواقف تُسمى زينب، توفيت بمكة المشرفة في سنة عشرين، ولها بنت اسمها بركة عن كتاب وقفها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) كانت تقع في سوق العصرونية الشهير، وتحولت اليوم إلى محلات تجارية، في أحدها يرقد ابن أبي عصرون.

[ترجمة ابن أبي عصرون]

أنشأها العلامة قاضي القضاة فقيه الشام شرف الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن علي بن أبي عصرون بن أبي السري التميمي الحديثي ثم الموصلي ثم الدمشقي، أحد الأعلام، وكان من الصالحين والعلماء العاملين كما قاله الذهبي، وُلِد بالموصل في شهر ربيع الأول سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين وأربعمئة، وقدم بغداد... ودخل حلب... فأقبل عليه صاحبها السلطان نور الدين، فلما أخذ دمشق سنة تسع وأربعين قدم معه، درَّس بالغزالية وولي نظر الأوقاف، ثم ارتحل إلى حلب، وولي قضاء سنجار وحران وديار بكر، وتفقه عليه جماعة، ومن أكبر تلامذته فيه الفخر بن عساكر، ثم عاد إلى دمشق في سنة سبعين فولي القضاء سنة ثلاث وسبعين بعد أن استعفى ضياء الدين ابن أخي القاضي كمال الدين الشهرزوري، وأضرَّ قبل وفاته بعشر سنين، ففوض السلطان القضاء إلى ابنه أبي حامد، وأقام معظّماً بداره إلى أن توفي، وقد صنَّف التصانيف، وانتفع به خلق كثير، وانتهت إليه رئاسة المذهب.

قال ابن الصلاح: وكان من أفقه أهل عصره واليه المنتهى في الفتاوى والأحكام، توفي في شهر رمضان وقد بلغ ثلاثاً وتسعين سنة، ودُفن بمدرسته قبالة داره، وقد بنى له نور الدين المدارس بحلب وحماة وحمص وبعلبك، وبني لنفسه مدرسة بحلب وأخرى بدمشق....

- المدرسة العمادية[1] [٥٤٩هـ]:

داخل بابي الفرج والفراديس، لصيق المدرسة الدماغية من قبلة.

وقال ابن شداد: المدرسة العمادية الصلاحية، بانيها عماد الدين إسماعيل بن نور الدين، والواقف عليها صلاح الدين... وإنما بناها نور الدين

---

(١) لا أثر للعمادية اليوم بعد أن تحولت منطقتها إلى محلات تجارية.

محمود بن زنكي الشهيد رحمه الله تعالى برسم خطيب دمشق أبي البركات بن عبد الحارثي، وهو أول من درَّس بها.

قال الذهبي فيمن مات سنة اثنتين وستين وخمسمئة: وفيها توفي خطيب دمشق أبو البركات الخضر بن شبل بن عبد الحارثي الدمشقي الفقيه الشافعي، درَّس بالغزالية والمجاهدية، وبنى له نور الدين محمود رحمه الله تعالى مدرسته التي عند باب الفرج، فدرَّس بها، وتُعرف الآن بالعمادية.

- المدرسة الغزالية[1] [٤٨٢هـ]:

في الزاوية الشمالية الغربية شمالي مشهد عثمان المعروف الآن بمشهد النائب من الجامع الأموي.

قال ابن شداد في ذكر ما في الجامع من المدارس: المدرسة الغزالية، وتُعرف بالشيخ نصر المقدسي. قال في موضع آخر؛ الزوايا بالجامع: الزاوية الغزالية منسوبة إلى الشيخ نصر المقدسي وتُنسب إلى الغزالي رحمهما الله تعالى؛ لكون الغزالي رحمه الله تعالى دخل إلى دمشق المحروسة وقصد الخانقاه السميساطية ليدخل إليها فمنعه الصوفية من ذلك لعدم معرفتهم به، فعدل عنها وأقام بهذه الزاوية بالجامع، إلى أن عُلم مكانه وعُرفت منزلته، فحضر الصوفية بأسرهم إليه واعتذروا له، ثم أدخلوه الخانقاه السميساطية فعُرفت الزاوية به، وإنما تنسب إلى الشيخ نصر المقدسي بعده.

---

(١) للعلبي رأي معتبر عن هذه المدرسة؛ إذ يرى إن صح أنها مدرسة، فإنها تكون بذلك أقدم مدرسة تحمل هذا الاسم بدمشق؛ لأن الصادرية بُنيت سنة ٤٩١هـ، وتكون بذلك ثالث دار للعلم في دمشق بعد دار القرآن الرشائية وخانقاه دويرة حمد. وفي سنة ١٤١٠هـ، تم تجديدها وترميمها على يد الشيخ عبد الرزاق الحلبي رحمه الله مدير الجامع، وتقررت فيها الدروس من جديد.

وقال ابن كثير في... سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة: وفي صفر من هذه السنة وقف السلطان الملك الناصر قرية حزم على الزاوية الغزالية ومن يشتغل بها بالعلوم الشرعية أو ما يحتاج الفقيه إليه، ونظرها جعله لقطب الدين النيسابوري....

وأصل ذلك في كلام أبي شامة في الروضتين؛ حيث قال في صفر سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة: وفيها وقف السلطان قرية حزم باللوي من حوران على الجماعة الذين يشتغلون بعلم الشريعة أو بعلم يحتاج إليه الفقيه، والحضور لسماع الدرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق المعروفة بالفقيه الزاهد نصر المقدسي رحمه الله تعالى، وعلى من هو مُدرِّسهم بهذا الموضع من أصحاب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، وجعل النظر للشيخ قطب الدين النيسابوري رحمه الله تعالى.

ورأيت كتاب الوقف وعليه علامة السلطان: الحمد لله وبه توفيقي....

- المدرسة الفارسية[1] [٨٠٢هـ]:

والتربة بها غربي الجوزية الحنبلية، تجاه الخارج من باب الزيادة.

واقفها الأمير سيف الدين فارس الدوادار التنمي في سنة ثمان وثمانمئة في وقفه الجديد، واقف قرية صحنايا وغيرها على مدرسين وعشرة فقهاء وعشرة مقرئة، ويُقرئ خمسة عشر يتيماً إذا حفظ أحدهم القرآن يخرج ويقرر غيره، وتفرقة خبز في كل جمعة زنة ربع قنطار، ومقرئَين آخرَين فيها أيضاً غير العشرة المذكورة يحضران عقب الظهر والعصر.

قال الحافظ شهاب الدين بن حجي السعدي في سنة إحدى عشرة من تاريخه: في العشر الأول من شوال من هذه السنة حضرت الدرس بالمدرسة الفارسية قبلي الجامع التي أنشأها الأمير سيف الدين فارس التنمي دوادار تنم

---

(١) كانت تقع قبلي سوق السلاح، فيما بينه وبين سوق البزورية، وقد أُنجزت سنة ٨٠٢هـ كما ذكر الأسدي، وهي قائمة اليوم وإنما تحولت إلى مسجد صغير يصلي فيها تجار البزورية.

في حياة أستاذه، وكان وقف عليها حوانيت إلى جانبها لها وقفاً على إمام وغيره، ثم اشترى قرية صحنايا في سنة ثمان وثمانمئة بإذن السلطان بمصر، وكنت إذ ذاك هناك في المحرم، ثم وقفها على جهات بها على شيخين مدرّسين للعلم. قال: ويقرأ عليهما أنواع العلوم من المذاهب الأربعة، وجعل لكل شيخ ثمانين درهماً، وللطلبة كل شهر خمسة وأربعون، وجعل عددهم عشرة، وكذلك المقرئة لكل منهم خمسة عشر درهماً.

قال الأسدي في تاريخه في شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمانمئة:... وفي شرط الوقف في الشهر لكل مدرّس ثمانون درهماً، ولكل مقرئ خمسة عشر درهماً، وشرط للحرمين جملة وغير ذلك، وجعل الفاضل بعد ذلك لذريته، واستقر فيها فقهاء نواب القاضي وأعيان الطلبة، وصرف لهم معلوم سنة عند تقريرهم في السنة الماضية....

- المدرسة الفتحية[1] [٦٠٠هـ]:

أنشأها الملك الغالب فتح الدين صاحب بارين نسيب صاحب حماة.

قال بعضهم: وبها قبر الواقف، ووُقفُها بالديار المصرية، وجُعل نظر التدريس فيها إلى القاضي عماد الدين الحرستاني، ثم من بعده ولده محيي الدين، ثم أُخذت منه سنة تسع وستمئة وأُعطيت لعز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل الأنصاري، وهو مستمر بها إلى الآن....

- المدرسة الفخرية[2] [٨٢١هـ]:

بين السورين.

قال الحافظ ابن حجي في تاريخه في سنة إحدى وعشرين وثمانمئة: وفي شهر رمضان تكاملت عمارة الفخرية، وقُررت فيها الصوفية، وفُوضت

(١) كانت تقع في رحبة خالد داخل باب توما، ولا أثر لها اليوم.

(٢) كانت تقع بين باب الفراديس وباب الفرج في زقاق بين السورين، ولا أثر لها اليوم.

مشيختها للشيخ شمس الدين البرماوي، ودرس الحنفية للقاضي شمس الدين الديري، ودرس المالكية للقاضي جمال الدين المالكي، ودرس الحنابلة للقاضي عز الدين البغدادي ثم المقدسي الذي ولي عن قريب تدريس الحنابلة بالمؤيدية، ولم يستطع فخر الدين الأستاذ الحضور عند المدرسين لشدة مرضه، وتمادى به الأمر إلى أن مات في سادس شوال، ودُفن فيها في فسقية اتُخذت له بعد موته.

تنبيه: لنا مدرستان فخريتان إحداهما بالقدس الشريف....

- المدرسة الفلكية[١] [٥٩٩هـ]:

غربي المدرسة الركنية الجوانية، بحارة الأفتريس، داخل بابي الفراديس والفرج[٢].

أنشأها فلك الدين سليمان أخو الملك العادل سيف الدين أبي بكر لأمه.

قال ابن شداد: وقال ابن كثير في تاريخه في سنة ست وتسعين وخمسمئة: وفي شوال رجع إلى دمشق الأمير فلك الدين أبو منصور سليمان بن شروة بن خلدك، وهو أخو الملك العادل لأمه، وهو واقف المدرسة الفكلية داخل باب الفراديس، وبها قبره، فأقام بها محترماً معظّماً إلى أن توفي رحمه الله تعالى. وقال في سنة تسع وتسعين وخمسمئة: وممن توفي فيها من الأعيان الأمير فلك الدين أبو منصور سليمان بن شروة بن خلدك أخو الملك العادل لأمه، وكانت وفاته في السابع والعشرين من المحرم، ودُفن بداره التي جعلها مدرسة داخل باب الفراديس في محلة الأفتريس، وقف عليها الجمان بكمالها، تقبّل الله منه....

---

(١) في منطقة هذه المدرسة اليوم آثار أبنية قديمة، وفي أحدها قبر الواقف.

(٢) في زقاق العمارة.

- المدرسة القليجية[1] [٦٣٠هـ]:

داخل البابين الشرقي وباب توما، شرقي المسمارية، وغربي المحراب التربة، وكذا شرقيها، بحجر مزي منحوت قد طمست، كذا ظهر لي أنها هي.

وقال عز الدين بن شداد: المدرسة القليجية المجاهدية، بانيها مجاهد الدين بن قليج محمد بن شمس الدين محمود، وهي في موضع يعرف بقصر ابن أبي الحديد....

- المدرسة القواسية[2] [٧٣٤هـ]:

بالعقيبة الصغرى، بحارة السليماني، بالقرب من مسجد الزيتونة.

قال الشيخ عماد الدين في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة: الأمير عز الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن القواس، كان مباشراً للسر في بعض الجهات السلطانية، وله دار حسنة بالعقيبة الصغرى، فلما حضرته الوفاة أوصى أن تُجعل مدرسة، ووقف عليها أوقافاً دارّة، وجعل تدريسها للشيخ عماد الدين الكردي الشافعي، توفي يوم الأربعاء العشرين من ذي الحجة....

- المدرسة القوصية[3] [٦٥٠هـ]:

وهي الحلقة بالجامع الأموي.

قال ابن شداد: الزاوية القوصية، لم يُعلم لها واقف، والذي تحقّق ممن ذكر الدرس بها شهاب الدين القوصي إلى أن توفي، وذكره بعده عز الدين الإربلي وهو بها الآن.

قلت: هي تجاه البرادة. وقال جماعة: إن واقفها جمال الإسلام، وعرفت بالقوصي المذكور. وقال آخرون: إن واقفها مدرِّسها القوصي، وهو الشيخ الفقيه

---

(١) كانت تقع في شارع القيمرية، ولا أثر لها اليوم.

(٢) كانت تقع في العقيبة الصغرى شمالي سوق النحاس، ولا أثر لها اليوم.

(٣) زالت هذه الزاوية لأنه لم يبق من زوايا الجامع الأموي إلا الزاوية الغزالية.

المدرس الأخباري الأديب الرئيس شهاب الدين أبو المحامد وأبو طاهر وأبو العز إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن بن المرجان المرحل الأنصاري الخزرجي، وكيل بيت المال بالشام، وُلِد بقوص في المحرم سنة أربع وسبعين وخمسمئة، وقدم القاهرة في سنة تسعين، ثم قدم الشام سنة إحدى وتسعين واستوطنها، وسمع الكثير ببلاد متعددة، واتصل بالصاحب صفي الدين بن شكر، وترسل إلى البلاد، وولي وكالة ببيت المال، وتقدم عند الملوك، ودرَّس بحلقته، وكان يلازم لبس الطيلسان المحيك والبزة الجميلة ويركب البغلة.

قال الذهبي: كان فقيهاً فاضلاً مدرساً أديباً أخبارياً، حافظاً للأشعار فصيحاً مفوهاً بصيراً بالفقه، روى عن... خلق كثير، وخرَّج لنفسه معجماً في أربع مجلدات كبار ما قصَّر فيه، ويقال فيه غلط كثير مع ذلك وأوهام عجيبة.

ووصفه في مختصر تاريخ الإسلام: بالمحدث المفتي. وقال في العبر في سنة ثلاث وخمسين وستمئة: وفيها توفي القوصي شهاب الدين في شهر الأول، ودُفن في داره التي وقفها دار حديث.

- المدرسة القيمرية [الكبرى[1] ٦٥٠هـ]:

بالحريميين.

قال ابن شداد: المدرسة القيمرية، مُنشِئُها الأمير ناصر الدين الحسين بن علي، وقفها على القاضي شمس الدين علي الشهرزوري، وهو مستمر بها إلى الآن.

وقال الذهبي في عبره سنة خمس وستين وستمئة: والقيمري الإمام مقدم الجيوش ناصر الدين حسين بن عبد العزيز الذي أنشأ المدرسة بسوق الحريميين، كان بطلاً شجاعاً رئيساً عادلاً جواداً، وهو الذي ملك دمشق للناصر، توفي مرابطاً بالساحل في شهر ربيع الأول. وقال في مختصر تاريخ

---

(١) تقع في سوق الحريميين، ولم يبق من بنائها القديم اليوم سوى الواجهة الجنوبية وبعض الجُدر الداخلية.

الإسلام في هذه السنة: ومات واقف المدرسة القيمرية مقدم الجيوش ناصر الدين حسين بن عبد العزيز القيمري.

وقال تلميذه ابن كثير في هذه السنة أيضاً: واقف القيمرية الأمير الكبير ناصر الدين أبو المعالي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الفوارس القيمري الكردي، كان من أعظم الأمراء مكانة عند الملوك، وهو الذي سلّم الشام إلى الملك الناصر صاحب حلب حين قُتل ثوران شاه بن الصالح أيوب بمصر، وهو واقف المدرسة القيمرية عند مأذنة فيروز، وعمل على بابها الساعات التي لم يُسبق إلى مثلها ولا عُمل على شكلها، يقال: إنه غرم عليها أربعين ألف درهم.

وقال الصفدي: حسين بن عبد العزيز أبي الفوارس الأمير ناصر الدين أبو المعالي القيمري، صاحب المدرسة القيمرية الكبرى التي بسوق الحريميين، كان من أعظم الناس وجاهة وإقطاعاً، وكان بطلاً شجاعاً، وهو الذي ملّك الناصر دمشق، وكان أبوه شمس الدين من أجلّ الأمراء، وتوفي مرابطاً بالساحل سنة خمس وستين وستمئة، وكان الظاهر قد أقطعه إقطاعاً جيداً، وجعله مقدم العساكر بالساحل، فمات به، وعمل عزاه بالجامع، وكان يضاهي الملوك في مركبه وتجمّله وغلمانه وحاشيته، وقيل: إنه غرم على الساعات التي على باب مدرسته ما يزيد على أربعين ألف درهم....

- [المدرسة] القيمرية الصغرى[1] [٦٥٣هـ]:

بالقباقبية العتيقة[2]، غربي المقدمية الحنفية، وشمالي الحنبلية، وهي بين القيمرية الكبيرة المارة التي عند سوق الحريميين وسوق الصناديق، وغير القيميرية التي هي بطريق الشبلي التي هي قبلي الحافظية.

(١) لا تزال واجهة هذه المدرسة الحجرية الضخمة قائمة إلى اليوم في الجهة القبلية، وقد بقي منها مسجد صغير يقال له مسجد القحفي والديناري.

(٢) في منطقة العمارة الجوانية اليوم، واقفها الأمير أبو الحسن يوسف ابن أبي الفوارس بن موسك سيف الدين القيمري الذي توفي سنة ٦٥٤هـ، على خلاف ما ذكر الذهبي أنه توفي سنة ٦٥٣هـ.

نزل عنها بهاء الدين بن جمال الدين الباعوني سنة اثنتين وتسعين وثمانمئة، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

- المدرسة الكروسية[1] [٦٤١ هـ]:

التي إلى جانب السامرية الشافعية.

قال الحافظ ابن كثير في سنة إحدى وأربعين وستمئة: واقف الكروسية محمد بن عقيل بن كروس بن جمال الدين، محتسب دمشق، كان كيِّساً متواضعاً، توفي بدمشق في شوال، ودُفن بداره التي جعلها مدرسة، وله دار حديث.

وقال الصفدي في وافيه: المحتسب بن كروس محمد بن عقيل بن عبد الواحد بن أحمد بن حمزة بن كروس، المحتسب جمال الدين أبو المكارم السلمي الدمشقي، سمع من بهاء الدين بن عساكر وابن حيوس، وكان رئيساً محتشماً قيِّماً بالحسبة، وتوفي سنة إحدى وأربعين وستمئة....

- مدرسة الكلّاسة[2] [٥٥٥هـ]:

لصيق الجامع الأموي من شمالي، ولها باب إليه.

عمَّرها نور الدين الشهيد في سنة خمس وخمسين وخمسمئة، وأُحرقت هي ومأذنة العروس في المحرم سنة سبعين وخمسمئة، وسُميت هذا الإسم لأنها كانت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع، وجُعلت زيادة لما ضاق الجامع بالناس.

وفي تاسع عشر شهر ربيع الأول ملك صلاح الدين بن أيوب دمشق؛ فأمر بتجديد عمارة الكلّاسة في سنة خمس وسبعين وخمسمئة....

---

(١) تقدم الحديث عنها في دور الحديث.

(٢) تحولت اليوم إلى بيوت وساحة، وأُلحق قسم منها بالجامع الأموي.

وقال ابن قاضي شهبة في ذيله في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وثمانمئة: وفيه شُرِع في تعزيل التراب من المدرسة الكلّاسة من الإيوان الشرقي، وسبب ذلك أن النائب جقمق فتح لتربته شبابيك إلى الكلّاسة من الإيوان، فأراد عمارتها، فطلب العامل على المدرسة المذكورة، وسأل عن مالها، فقال: أخذه المدرّس والناظر وبعض الفقهاء، فحسب ما أخذه فكان أزيد من خمسة آلاف، فرسم بأن تُسترجع ويُعمَّر بها، فقيل له: إن هذا الوقف ليس هو وقف الكلّاسة؛ وإنما هو وقف على من درَّس بها، فلم يسمع، ورسم على تقي الدين صهر الغزي شهاب الدين المدرِّس والعامل بدار السعادة أكثر من شهر، ثم أُطلقا على أن يشرعا في العمارة.

- المدرسة المجاهدية الجوانية [٥٢٩هـ[1]]:

بالقرب من باب الخواصين[2].

واقفها الأمير الكبير مجاهد الدين أبو الفوارس بزّان بن يامين بن علي بن محمد الجلالي الكردي، أحد مقدمي الجيش بالشام في دولة نور الدين....

ورأيت في الروضتين لأبي شامة ما صورته: ثم دخلت سنة خمس وخمسين، قال الرئيس أبو يعلى - يعني القلانسي - في صفر توفي الأمير مجاهد الدين بزّان بن يامين أحد مقدمي أمراء الأكراد، وهو من ذوي الوجاهة في الدولة، موصوف بالشجاعة والبسالة والسماحة، مثابر على بث الصلات والصدقات في المساكين والضعفاء والفقراء مع الزمان في كل عصر يمضي وأوان، جميل المحيا حسن البشر في اللقاء، وحل من داره بباب الفراديس إلى الجامع للصلاة عليه، ثم إلى المدرسة المشهورة باسمه يعني المجاهدية التي عند باب الفراديس، فدُفن فيها في اليوم في الصفة الشامية، ولم يخل من باك عليه ومُرث له ومتأسف على فقده، لجميل فعاله وحميد خِلاله.

---

(١) وقفها هذه السنة حسب النقش الذي وُجد على بابها.

(٢) وصار سوق الخياطين اليوم.

قلت: وله أوقاف على أبواب البر؛ منها المدرستان المنسوبتان إليه، إحداهما التي دُفن بها وهي لصيق باب الفراديس المجدد، والأخرى قبالة باب دار سيف الغزي في صف مدرسة نور الدين رحمه الله تعالى، وله وقف على من يقرأ السبع كل يوم بمقصورة الخضر بجامع دمشق، وغير ذلك، وقد مدحه عرقلة الدمشقي الشاعر وغيره....

- المدرسة المجاهدية البرانية(١) [٥٣٨هـ]:

بين بابي الفراديس.

واقفها الأمير مجاهد الدين [أبو الفوارس]، وقد مرَّت ترجمته في المدرسة التي قبلها، وبها دُفن....

- المدرسة المسرورية(٢) [٦٠٤هـ]:

قال ابن شداد: بباب البريد.

أنشأها الطواشي شمس الدين الخواص مسرور، وكان من خُدَّام الخلفاء المصريين، وهو صاحب خان مسرور بالقاهرة.

وقال الشيخ تقي الدين الأسدي: ورأيت بخط شيخنا أنها منسوبة إلى الأمير فخر الدين مسرور الملكي الناصري العادلي، وقفها عليه شبل الدولة كافور الحسامي واقف الشبلية، ووقفت على كتابها الثاني الذي زاد فيه زيادات على الواقف الأول تاريخه سابع صفر سنة أربع وستمئة، وهو متصل الثبوت بالقاضي الدمشقي بقاض بعد قاض إلى آخر وقت، وأول من درَّس بهذه المدرسة بشرط الواقف الفقيه العالم ناصح الدين أبو الحسن علي بن مرتفع بن أفتكين الجميزي المصري الدمشقي العدلي، وشرط الواقف أن له أن يباشر

---

(١) صارت تعرف اليوم بجامع السادات.

(٢) لا أثر لهذه المدرسة اليوم.

ذلك بنفسه ويستنيب فيه من أراد ممن هو أهل لذلك، لما علم من دينه وأهليته للتدريس بها واستجماع شرائط الواقف، وجعل التدريس فيها لذريته إذا كان فيهم من هو أهل، قال: ولا أعلم وقت وفاته....

- المدرسة المنكلائية[1] [٦٣٠هـ]:

قال الصفدي في حرف السين المهملة في ترجمة سنجر الأمير الكبير علم الدين الشجاعي المنصوري ما عبارته: وكان قد رُبِّي أولاً بدمشق عند امرأة تعرف بست قجا جوار المدرسة المنكلائية.

- المدرسة الناصرية الجوانية[2] [٦٥٤هـ]:

داخل باب الفراديس، شمالي الجامع الأموي والرواحية بشرق وغربي بشمال، وشرقي القيمرية الصغرى والمقدمية الجوانية.

إنشاء الملك الناصر يوسف بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد مرت ترجمته في دار الحديث الناصرية، وتُعرف بالناصرية البرانية.

قال ابن شداد: وكانت هذه المدرسة تعرف بدار الزكي المعظَّم، وفرغ من عمارتها في أواخر سنة ثلاث وخمسين وستمئة، أول من درَّس بها قاضي القضاة صدر الدين بن سني الدولة، ومن بعده ولده نجم الدين، ثم القاضي شمس الدين بن خلكان، ثم من بعده الشيخ رشيد الدين الفارقي، وهو مستمر بها إلى الآن.

---

(١) هذه المدرسة قائمة اليوم في أقصى القيمرية شرقاً، وتُنسب للشيخ عبد الله المنكلائي المدفون فيها.

(٢) افتُتحت سنة ٦٥٤هـ، لم يبق من هذه المدرسة اليوم سوى جدارها الشمالي، أما داخلها فتحول إلى مكان للتبوّل والزبائل، ودخلنا إليها بصعوبة لشدة الروائح الكريهة المنبعثة منها !!. وذكر بدران أن العوام في عهده كانوا يسمُّونها حبس الأموات، إذ كان يُحبس فيها المدين المتوفى، حتى يتطوع الناس لدفع دَيْنِه.

قلت: وكان شروع قاضي القضاة صدر الدين بن سني الدولة في تدريسها في سابع المحرم سنة أربع وخمسين بحضرة الواقف وحضرة الأمراء والدوادار نجم الدين البادرائي وأعيان الشام. قال ابن كثير: وجمهور أهل الحل والعقد بدمشق....

- المدرسة المجنونية(١) [٦٣٥هـ]:

شرقي الشامية البرانية، بالعقيبة.

لم يقع لنا من مدرّسيها إلا القاضي شهاب الدين الظاهري، وقد مرت ترجمته في المدرسة الأمجدية، والمدرسة المجنونية أنشأها شرف الدين بن الزراري المعروف بالسبع مجانين بعد الثلاثين وستمئة....

- المدرسة النجيبية(٢) [٦٧٧هـ]:

لصيق المدرسة النورية وضريح نور الدين الشهيد من جهة الشمال.

قال الذهبي في تاريخه في سنة سبع وسبعين وستمئة: والنجيبي جمال الدين آقوش الصالحي النجمي استادار الملك الصالح، وولي أيضاً للملك الظاهر الأستادارية ثم نيابة دمشق تسعة أعوام، وعُزل بعز الدين أيدمر، ثم بقي بالقاهرة مدة بطّالاً، ولحقه فالج قبل موته بأربع سنين، وكان محباً للعلماء كثير الصدقة، لديه فضيلة وخبرة، عاش بضعاً وستين سنة، وتوفي في شهر ربيع الآخر، وله بدمشق خانقاه وخان ومدرسة، ولم يُخلّف ولداً.

قلت: داره هذه هي التي جُعلت مدرسة للشافعية، وقفها الأمير جمال الدين آقوش النجيبي تقبل الله تعالى منه، وبها إقامتنا، جعلها الله داراً تعقبها دار القرار في الفوز العظيم....

---

(١) تقع بالقرب من سوق الهال، ولم يبق منها سوى تربة الواقف وبعض أحجار الواجهة الشمالية ونقش التأسيس.

(٢) لم يبق منها اليوم سوى القبة والواجهة الشرقية نتيجة شق شارع هناك.

وقال [ابن كثير] في سنة سبع وسبعين: وممن توفي فيها من الأعيان آقوش بن عبد الله الأمير الكبير جمال الدين النجيبي أبو سعد الصالحي، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل وجعله من أكابر الأمراء، ولّاه استداريته، ثم استنابه بالشام تسع سنين، فاتخذ فيها المدرسة النجيبية ووقف عليها أوقافاً دارَّة واسعة، لكن لم يُقدَّر للمستحقين قدراً يناسب ما وقفه عليهم، ثم عزله السلطان واستدعاه إلى مصر، فأقام بها مدة بطّالاً، ثم مرض بالفالج أربع سنين، وقد عاده في بعضها الملك الظاهر، ولم يزل به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بالقاهرة بداره بدرب الملوخية، ودُفن يوم الجمعة قبل الصلاة بتربته التي أنشأها بالقرافة الصغرى، وقد كان بنى لنفسه تربة النجيبية وفتح لها شبابيك إلى الطريق، فلم يُقدَّر دفنه بها، وكان كثير الصدقة محباً للعلماء محسناً إليهم، حسن الاعتقاد، شافعي المذهب، متغالياً في السنة ومحبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم... ومن جملة أوقافه الحسان البستان والأراضي التي وقفها على الجسورة التي قبلي جامع كريم الدين اليوم، وعلى ذلك أوقاف كثيرة، وجعل النظر في أوقافه لابن خلكان. وقال فيها: وفي العشر الأول من ذي القعدة فُتحت المدرسة النجيبية، وحضر تدريسها قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى، وفُتحت الخانقاه النجيبية، وقد كانت أوقافهما تحت الحوطة إلى الآن....

فصل

مدارس الحنفية

- المدرسة الأسدية [٥٦٠هـ]:

وقد تقدم ذكر محلها، وأنها على الفريقين الحنفية والشافعية، وترجمة واقفها...

- المدرسة الإقبالية [٦٠٣هـ]:

قد تقدم ذكر محلها إشارة عند ذكر المدرسة الإقبالية الشافعية، وذكر واقفها.

والذي رأيت مرسوماً بعتبة بابها: بعد البسملة، وقف هذه المدرسة المباركة الأمير الأجل جمال الدين إقبال، عتيق الخاتون الأجلة ست الشام ابنة أيوب رحمه الله، على الفقهاء من أصحاب الإمام سراج الأمة الشريفة النعمان أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وأوقف عليها الثمن من الضيعة المعروفة بالمسوقة، والثلث من مزرعة الأفتريس، والثلث من مزرعة في الحديثة، وقيراط من مليحة زرع ما حاط بطريق سالكة من زرع إلى بصرى، وذلك في الرابع عشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وستمئة، عظّم الله أجره....

- المدرسة الآمدية[1] [٧٢٠هـ]:

بالصالحية العتيقة، جوار الميطورية من الغرب، ولهذا قال الشيخ تقي الدين الأسدي في تاريخه في سنة إحدى وعشرين وثمانمئة ما صورته:

---

(١) لا أثر لهذه المدرسة اليوم.

وغربي الميطورية مدرسة للحنفية يقال لها الآمدية، حكى لي من شاهدها وهي عامرة وعلى بابها طواشية.

وقال لي ناظرها الآن قاضي القضاة - يعني الحنفية - محب الدين بن القصيف: إنها تربة، والله أعلم.

- المدرسة البدرية(١) [القرن السادس أو السابع الهجري(٢)]:

قبالة الشبلية التي بالجبل عند جسر كحيل، قاله السيد وابن كثير، ويُعرف الآن بجسر الشبلية.

قال ابن شداد: بانيها الأمير بدر الدين المعروف بلالا، في سنة ثمان وثلاثين وستمئة.

وقال ابن كثير في تاريخه في سنة خمس عشرة وستمئة: وفيها فوّض الملك المعظم النظر في التربة البدرية تجاه مدرسة الشبلية عند الجسر الذي على ثورا، ويقال له جسر كحيل، وهي منسوبة إلى بدر الدين حسن بن الداية، كان هو وإخوته من أكابر أمراء نور الدين محمود بن زنكي.

قلت: وقد جُعلت في حدود الأربعين وستمئة جامعاً فيه خطبة يوم الجمعة ولله الحمد، ووقفها نصف الحمام بقرية مسنون، والبستان بقرب جسر كحيل، كذا رأيته مكتوباً بأعلى عتبتها....

---

(١) تقع اليوم عند دوار الميسات على حافة نهر ثورا.

(٢) تحديد تاريخ بنائها مُشكل، فابن شداد قال: إنها بنيت سنة ٦٣٨هـ، وذكر سبط ابن الجوزي أنها كانت موجودة قبل سنة ٦٢٠هـ؛ لأنه كان مقيماً بها، وذكر ابن كثير في حوادث سنة ٦١٥هـ أنه فُوّض إلى الملك المعظم النظر في التربة البدرية تجاه الشبلية.

- المدرسة البلخية[1] [٥٣٦هـ]:

كانت تعرف قديماً بخربة الكنيسة، وتعرف أيضاً بدار أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه.

أنشأها الأمير ككز الدقاقي بعد سنة خمس وعشرين وخمسمئة للشيخ برهان الدين أبي الحسن علي البلخي، قاله ابن شداد.

وقال الذهبي في العبر في سنة ثمان وأربعين وخمسمئة: وأبو الحسن البلخي علي بن الحسن الحنفي الواعظ الزاهد، درَّس بالصادرية، ثم جُعلت له دار الأمير طرخان مدرسة، وقام عليه الحنابلة؛ لأنه تكلم فيهم، وكان يُلقب برهان الدين، وكان زاهداً معرضاً عن الدنيا، وهو الذي قام في إبطال: حي على خير العمل، من حلب، وكان معظّماً مفخّماً في الدولة، درَّس أيضا بمسجد خاتون، ومدرسته داخل الصادرية.

قلت: وبابها الآن إليها، وكان بابها عند الحمام بباب البريد.

وقال الذهبي أيضاً في مختصر تاريخ الإسلام في سنة ثمان وأربعين المذكورة: وشيخ الحنفية برهان الدين علي بن الحسن البلخي الواعظ مدرس الصادرية، وإليه تُنسب المدرسة البلخية.

- المدرسة التاجية[2] [٥٨٩هـ[3]]:

بزاوية الجامع الأموي الشرقية، غربي دار الحديث العروية.

قال عز الدين محمد بن عمر الأنصاري: في الأيام المعظّمية جُددت المقصورة التاجية المعروفة بابن سنان قديماً والآن بالسلارية، في سنة أربع وعشرين وستمئة.

---

(١) وكانت تقع بجانب المدرسة الصادرية، وأُزيلتا معاً عند إزالة المناطق المحيطة بالأموي سنة ١٤٠٤هـ.

(٢) وقد زالت هذه الزاوية، وأشرنا سابقاً أنه لم يبق من زوايا الجامع الأموي سوى الزاوية الغزالية.

(٣) كان وقفها سنة ٥٨٩هـ حسب كتابات كانت مدونة فيها.

وقال الذهبي في العبر في سنة ثلاث عشرة وستمئة: وفيها توفي العلّامة تاج الدين الكندي أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن البغدادي النحوي اللغوي المقرئ، شيخ الحنفية والقرّاء والنحاة بالشام ومسند العصر، وُلِد سنة عشرين وخمسمئة، وأكمل القراءات العشر وله عشرة أعوام، وهذا ما لا أعلمه تهيَّأ لأحد سواه... وأتقن العربية على جماعة، ونال الجاه الوافر، وقال الشعر الجيد، وكان الملك المعظم مديماً للاشتغال عليه، وكان ينزل إليه من القلعة... ثم قال: توفي الكندي رحمه الله تعالى في سادس شوال، ونزل الناس بموته درجة في القراءات وفي الحديث؛ لأنه آخر من سمع من القاضي أبي بكر، والقاضي آخر من سمع من أبي محمد الجوهري، والجوهري آخر من روى عن القطيعي، والقطيعي آخر من روى عن الكدمي، وجماعة.

وقال ابن كثير في سنة ثلاث عشرة المذكورة: الشيخ العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندي الحنبلي ثم النحوي الحنفي اللغوي المفنن، وكانت داره بدرب العجم، ووفاته رحمه الله تعالى يوم الإثنين سادس شوال من هذه السنة، وله ثلاث وتسعون سنة وشهر وستة عشر يوماً، وصلِّي عليه بجامع دمشق، ثم حُمل إلى الصالحية فدُفن بها، وكان قد وقف كتباً نفيسة وهي سبعمئة وإحدى وستون مجلداً على معتقه نجيب الدين ياقوت، ثم على ولده من بعده، ثم على العلماء في الحديث والفقه وغير ذلك، وجُعلت في خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحلبية المجاورة لمشهد علي زين العابدين رضي الله تعالى عنه، ثم إن هذه الكتب تفرقت وبيع كثير منها، ولم يبق في الخزانة المشار إليها إلا القليل، وهي بمقصورة الحلبية، وكانت قديماً يقال لها مقصورة ابن سنان....

- المدرسة التاشية[1] [٥٥٥هـ]:

قال ابن شداد: مدرسة التاشي، وتعرف بمسجد التاشي، أنشئ في شهور سنة نيف وخمسين وخمسمئة، بانيه الأمير التاشي الدقاقي أول من درّس بها،

---

(١) كانت تقع في منطقة الكلّاسة، ولا أثر لها اليوم.

قلَّ أن تُعلم أنها مدرسة، ثم عُلمت بعد ذلك في الأيام العادلية السيفية القاضي عز الدين أبو عبد الله محمد الحنفي، واستمر إلى أن انتقل عنها إلى المدرسة البلخية، ثم وليها بعده جماعة لم يُتحقق منهم إلا أوحد الدين بن الكعكي إلى أن توفي، ثم من بعده تاج الدين بن الأرشد إلى أن سافر إلى الديار المصرية وأقام بها إلى أن توفي....

- **المدرسة الجلالية[١] [٧٤٥هـ]:**

بدمشق، والتربة بها لصيق البيمارستان النوري بشامة، وستأتي ترجمة واقفها في المدرسة الخاتونية، ومن وقفه فدان ونصف في القرية الساهلية.

- **المدرسة الجمالية[٢] [٦٤٨هـ]:**

بسفح قاسيون، رحم الله واقفها الأمير جمال الدين يوسف، ولم أقف له على ترجمة، ولا وقفت لها على وقف.

- **المدرسة الجقمقية[٣] [٨٢٤هـ]:**

وبها التربة، وتجاهها من الشمال خانقاهها، يفصل بينهما الطريق الآخذ إلى المدرستين الظاهرية والعادلية من جهة الغرب والآخذ إلى الجامع الأموي وغيره من جهة الشرق....

وقال الأسدي في تاريخه في شعبان سنة أربع عشرة وثمانمئة ما صورته: وهذه التربة كان قد أسسها المعلم سنجر الهلالي وابنه شمس الدين

---

(١) تقع هذه المدرسة شمالي البيمارستان النوري في الطريق المعروف بالسليمانية، وقد تحول معظمها إلى محلات تجارية، ولم يبق منها سوى قبر الواقف وغرفة صغيرة !!.

(٢) لا أثر لها اليوم.

(٣) تشغل اليوم متحف الخط العربي، وهي من أجمل الأبنية والآثار المملوكية بدمشق.

الصائغ، فانتزعها الملك الناصر حسن في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وسبعمئة لما صادرهما... ثم إن السلطان أمر بعمارتها، فبنوا فوق الأساسات، وجعلوا لها شبابيك من شرقيها، وبنوا حائطها بالحجارة البيض والسود، وجاءت في غاية الحسن، وكان السلطان قد رسم بأن تُجعل مكتباً للأيتام، فلم يتم أمرها، حتى قُتل في جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمئة، وقد درَّس بها الشيخ عز الدين بن شيخ السلامية الحنبلي في المحرم سنة تسع وستين وسبعمئة، ثم إنها صارت خانقاه بعد ذلك، ولها وقف يسير جداً، إلى ان احترقت في الفتنة.

قال الأسدي أيضاً في تاريخه: وتولى سيف الدين جقمق المذكور نيابة دمشق في شوال سنة اثنتين وعشرين وثمانمئة، ودخلها في ذي القعدة منهما، وكان له همة في عمارة دمشق بنفسه وبإلزام الناس بذلك وبالنقلة إلى داخلها، وشرع في عمارة الطيوريين والفسقار وعمارة التربة بباب الناطفانيين، وفرغها وجاءت في غاية الحسن والزخرفة، وقيل إنه ليس بدمشق ولا مصر نظيرها، ووسَّعها من جهة القبلة، وجعل لها شبابيك إلى الكلَّاسة ومن جهة الشمال، وبنى مقابلها خانقاهاً للصوفية، ورتَّب بها شيخاً وصوفيه، ورتَّب بالتربة المذكورة ميعاداً بعد صلاة الجمعة، وجعل في قبلة التربة مكتباً للأيتام، وقد كان في هذا المكان مكتب للأيتام قبل الفتنة، ووقف السوق الذي عمَّره داخل باب الجابية، وطاحون الأعجام التي أنشأها بالوادي، والخان شمالي المصلى، والبعض على التربة والبعض على نفسه وأولاده والبعض على غير ذلك، وهذه التربة كان قد أسسها المعلم سنجر، وعصى جقمق في أول سنة أربع وعشرين، وأخذ قلعة دمشق، ثم قام عليه القوشي وأخرجه في جمادى الأولى منها ثامن شهر ربيع، ثم أُعيد ثانية إلى دمشق مكانه تنبك ميق في سادس جماي الأولى المذكورة.

- المدرسة الجركسية[1] [٦٠٨هـ]:

ويقال لها الجهاركسية[2]، بالصالحية.

مشتركة بين الحنفية والشافعية، ويؤيد هذا أنه ذكر الدرس بها القاضي تقي الدين أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف السبكي الشافعي... ثم أخبرني قاضي الحنفية محب الدين محمد الشهير بابن القصيف أنه وقف على كتاب وقفها وأنها على الحنفية فقط، وواقفها فخر الدين شركس الصلاحي.

قال الذهبي في العبر في سنة ثمان وستمئة: وجهاركس الأمير الكبير فخر الدين الصلاحي، أعطاه العادل بانياس والشقيف، فأقام هناك مدة، توفي في شهر رجب، ودُفن بتربته بقاسيون.

وقال ابن كثير في تاريخه في سنة ثمان وستمئة: الأمير فخر الدين شركس، ويقال له جهاركس، أحد أمراء الدولة الصلاحية، وإليه تُنسب قباب شركس بالسفح تجاه تربة خاتون، وبها قبره.

قال القاضي ابن خلكان: وهو الذي بنى القيسارية الكبرى بالقاهرة المنسوبة إليه، وبنى في أعلاها مسجداً معلقاً وربعاً، وقد ذكر جماعة من التجار أنهم لم يروا لها نظيراً في سائر البلدان في حسنها وعظمها وإحكام بنائها... وتوفي سنة ثمان وستمئة بدمشق، ودُفن بجبل الصالحية، وتربته مشهور هناك... وجهاركس بكسر الجيم، قال ابن خلكان: ومعناه بالعربي أربعة أنفس، وهو لفظ أعجمي[3] معربه إستار والإستار أربع أواق.

وقال في المرآة: جهاركس معناه اشترى بأربعمئة دينار....

قلت: ومن وقفها الحصة من قرية بيت سوى، ومبلغها النصف والثلث، وحصة أخرى مبلغها اثنا عشر سهماً، والثلث من المزرعة.

---

(١) وهي قائمة اليوم في الصالحية شمالي جامع الجديد وحمام المقدم، في الجادة التي تحمل اسم (الشركسية).

(٢) ويقال لها أيضاً الشركسية.

(٣) فارسي.

- المدرسة الجوهرية[1] [٦٨٠هـ]:

شرقي تربة أم الصالح، داخل دمشق بحارة بلاطة[2].

وكانت داراً للأمير الكبير ممدوح، وداراً للست عذراء.

أنشأها الصدر نجم الدين أبو بكر محمد بن عياش التميمي الجوهري.

قال الذهبي في العبر في سنة أربع وتسعين وستمئة: والجوهري الصدر نجم الدين أبو بكر بن محمد بن عياش التميمي، صاحب المدرسة الجوهرية الحنفية بدمشق، توفي في شوال، ودُفن بمدرسته عن سن عالية.

ورأيت قد رسم على عتبة بابها: بعد البسملة، هذه المدرسة المباركة وقف العبد الفقير إلى الله تعالى أبو بكر بن محمد بن أبي طاهر بن عياش بن أبي المكارم التميمي الجوهري، على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وكان الفراغ من عمارتها والتدريس بها في سنة ست وسبعين وستمئة.

وقال ابن كثير في سنة ثمانين وستمئة: وفي يوم الأحد سابع شهر رمضان فُتحت المدرسة الجوهرية بدمشق في حياة منشئها وواقفها الشيخ نجم الدين محمد بن عياش بن أبي المكارم التميمي الجوهري، ودرَّس بها قاضي الحنفية حسام الدين الرازي. وقال في سنة أربع وتسعين وستمئة: واقف الجوهرية، توفي ليلة الثلاثاء تاسع شوال، ودُفن بمدرسته، وقد جاوز الثمانين، وكان له خدم على الملوك فمن دونهم....

- المدرسة الحاجبية[3] [٨٧٠هـ]:

والخانقاه بها، قبلي المدرسة العمرية، بصالحية دمشق.

أنشأها الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير مبارك الإينالي دوادار سودون النوروزي، كان قد توجه في حياة مخدومه هذا إلى مصر، فبعد توجهه بثلاثة أيام

---

(١) هُدمت سنة ١٣٧٥هـ.

(٢) في زقاق المحكمة.

(٣) لم يبق لهذه المدرسة من أثر اليوم؛ وإنما بُني مكانها جامع عرف باسمها أي جامع الحاجبية.

مات مخدومه سودون المذكور، وكان صحبته من للسلطان تقدمة كثيرة، ثم عاد إلى دمشق وقد استقر حاجباً صغيراً بها وأمير التركمان، وشرع في تجهيز الأغنام الشامية إلى مصر، ثم خرج إلى البلاد الشمالية واستخرج عدد الأغنام، فكانت عدة ستة عشر ألف رأس غنم، واشترى نائب القلعة سودون عدة عشرين ألف رأس غنم، وجهزاها إلى مصر، ففتحت عيون المصريين إلى حضور الغنم إليهم، فصارت سنة قبيحة، وكانت العادة أن أعداد الأغنام تُذبح وتباع بدمشق، فحصل للناس بسبب ذلك غلاء في اللحم، حتى صار الرطل يباع بستة دراهم. وفي سنة ثلاث وخمسين وثمانمئة استقر في نيابة البيرة، واستهلت سنة سبع وخمسين وهو الحاجب الكبير بدمشق، وفي ثاني عشرين جمادى الأولى منها عُزل عنها، وفي يوم تاسع جمادى الآخرة منها أُلبس التشريف بإمرة التركمان والأكاريد، وفي يوم الجمعة تاسع عشرين شهر ربيع الآخر سنة ثمان عاد من مصر إلى دمشق وكان له مدة بمصر، وقد استقر أحد الألوف بدمشق مع إمرة التركمان والأكاريد، فأقام أياماً قلائل ثم سافر إلى البلاد الشمالية لجمع أعداد الأغنام وإرسالها إلى مصر... ثم في أوائل سنة اثنتين وسبعين ورد إليه مرسوم بتجهيز الأغنام على العادة، ومن مضمونه أن يشتري مئة فرس ويجهزها إلى الاصطبلات الشريفة، فشرع في ذلك.

وقال شيخنا الجمال بن المبرد في الرياض: ولِي نيابة طرابلس وحماة، وعنده معرفة ومشاركة، توفي سنة ثمان وسبعين وثمانمئة، ودُفن بتربته بالقرب من تربة السبكيين تحت كهف جبل جبريل بسفح قاسيون.

- المدرسة الخاتونية البرانية [٥٢٦هـ]:

مسجد خاتون على الشرف القبلي، عند مكان يُسمى صنعاء الشام المطل على وادي الشقراء، وهو مشهور بدمشق[١].

واقفته الست خاتون أم شمس الملوك أخت الملك دقاق، قاله ابن شداد.

(١) يشكل هذا المكان اليوم مباني كلية الهندسة.

وقال الحافظ في العبر في سنة سبع وخمسين وخمسمئة: المحترمة صفوة الملوك زمرد خاتون ابنة الأمير جاولي أخت دقاق لأمه وزوجة تاج الملوك بوري وأم ولديه شمس الملوك إسماعيل ومحمود، سمعت الحديث من أبي الحسن علي بن قبيس، واستنسخت الكتب، وحفظت القرآن الكريم، وبنت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق، ثم تزوجها أتابك زنكي، فبقيت معه تسع سنين، فلما قُتل حجَّت وجاورت بالمدينة المنورة، فماتت ودُفنت هناك بالبقيع، وأما خاتون بنت أنر زوجة الملك نور الدين فتأخرت، ولها مدرسة بدمشق وخانقاه معروفة على نهر بانياس.

وقال ابن كثير في سنة إحدى وثمانين وخمسمئة عقب ذكر خاتون عصمة الدين الآتية: فأما الخاتونية البرانية التي على القنوات بمحلة صنعاء دمشق، ويعرف ذلك المكان الذي هي فيه بتل الثعالب؛ فهي من إنشاء الست زمرد خاتون ابنة جاولي، وهي أخت الملك دقاق لأمه، وكانت زوجة زنكي والد نور الدين صاحب حلب، وقد ماتت قبل هذا الحين كما تقدم....

- المدرسة الخاتونية الجوانية(١) [٥٧٠هـ]:

بمحلة حجر الذهب.

أنشأتها خاتون بنت معين الدين أنر، زوجة الشهيد نور الدين محمود بن زنكي، تُنسب إليها، وقَفَها سعد الدين أخوها عليها ثم من بعدها على عقبها ونسلها، وماتت ولم تُعقب، قاله عز الدين.

وقال الذهبي في العبر في سنة إحدى وثمانين وخمسمئة: وعصمة الدين الخاتون بنت الأمير معين الدين أنر، زوجة نور الدين ثم صلاح الدين، واقفة المدرسة التي بدمشق للحنفية والخانقاه التي بظاهر دمشق، توفيت في ذي الحجة ودُفنت بتربتها التي هي تجاه قبة جركس بالجبل....

---

(١) بالقرب من البيمارستان النوري.

[ترجمة عصمة الدين خاتون]

وقال ابن كثير في تاريخه في سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة: وفي صفر منها تزوج السلطان صلاح الدين بالست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أنر، وكانت زوجة الملك نور الدين، فأقامت مدة في القلعة محترمة مكرمة معظمة، وولي تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين مسعود بن أنر، وحضر القاضي ابن أبي عصرون العقد ومعه جماعة من العدول، وبات السلطان عندها تلك الليلة والتي بعدها، ثم سافر إلى مصر بعد يومين من الدخول بها. وقال في سنة إحدى وثمانين وخمسمئة: الست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين نائب دمشق وأتابك عساكرها قبل نور الدين كما تقدم، وقد كانت زوجة نور الدين ثم خلق عليها من بعده صلاح الدين، وكانت من أحسن النساء وأعفهن وأكثرهن خدمة، وهي واقفة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب، وخانقاه خاتون ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس، ودُفنت بتربتها في سفح قاسيون قريباً من قباب الجركسية، ولها أوقاف كثيرة غير ذلك.

وقال الأسدي في تاريخه في سنة إحدى وثمانين وخمسمئة: عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أنر زوجة السلطان صلاح الدين، تزوجها سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة، وكانت قبله زوجة نور الدين محمود، وكانت من أعف النساء وأكرمهن وأحزمهن، ولها صدقات كثيرة وبر عظيم، بنت بدمشق مدرسة لأصحاب أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه في محلة حجر الذهب، وبنت للصوفية خانقاهاً خارج باب النصر على بانياس، وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد مقابل تربة جركس، ووقفت على هذه الأماكن أوقافاً كثيرة، وكانت وفاتها في شهر رجب، كذا قال في المرآة.

وقال الذهبي: توفيت رحمها الله تعالى في ذي القعدة، ودُفنت بتربتها، وبلغ السلطان وفاتها وهو مريض بحران، فتزايد مرضه وحزن عليها وتأسف، وكان يصدر عن رأيها....

- المدرسة الدماغية [٦٣٣هـ]:

قد تقدم محلها، وأنها على الفريقين الحنفية والشافعية، وترجمة واقفها....

- المدرسة الركنية البرانية[١] [٦٢٥هـ]:

بالصالحية.

قال القاضي عز الدين: منشئها الأمير ركن الدين منكورس الفلكي في سنة نيِّف وعشرين وستمئة.

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه في سنة إحدى وثلاثين وستمئة: واقف الركنية الحنفية الأمير الكبير ركن الدين منكورس الحنفي الفلكي، غلام فلك الدين أخي الملك العادل لأمه، واقف الفلكية كما تقدم، وكان هذا الرجل من خيار الأمراء، ينزل في كل ليلة وقت السحر إلى الجامع وحده بطوّافة، ويواظب على حضور الصلوات فيه مع الجماعة، وكان قليل الكلام كثير الصدقات، وقد بنى المدرسة الركنية بسفح قاسيون، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة، وعمل عندها تربة، وحين توفي بقرية جرود حُمل إليها رحمه الله.

قال الأسدي في تاريخه في سنة خمس وعشرين وستمئة: وفيها نجزت مدرسة ركن الدين الفلكي بالسفح....

- المدرسة الريحانية[٢] [٥٧٥هـ]:

قال القاضي عز الدين: جوار المدرسة النورية لغرب، منشئها خواجا ريحان الطواشي خادم نور الدين الشهيد محمود بن زنكي في سنة خمس وستين وخمسمئة[٣]، ووقف عليها أوقافاً معلومة مشهورة.

---

(١) قائمة اليوم في حي ركن الدين عند ساحة شمدين، وهي بحالة جيدة.

(٢) تهدّمت وزالت.

(٣) والصحيح: سنة خمس وسبعين وخمسمئة، كما هو على نقش باب هذه المدرسة.

وقال أبو شامة في كلامه على سلطنة ولد نور الدين: وحضر جمال الدين ريحان وهو أكبر الخدم، هذه عبارته، وقال بعد ذلك: وجمال الدين ريحان والي القلعة والسجن من قبله، والأمر إليه بتفصيله وجمله، ثم قال: فلما دخل صلاح الدين لأخذ دمشق بقي جمال الدين ريحان الخادم في القلعة على تأبيه، فراسله حتى استماله وأغزر له نواله، وتملَّك المدينة والقلعة.

ورأيت قد رُسم على عتبة بابها: بعد البسملة، وقف هذه المدرسة المباركة الأمير جمال الدين ريحان بن عبد الله، على المتفقهة على مذهب الإمام سراج الأمة أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه، ووقف عليها جميع البستان الخراجي المعروف بأرض الحواري، والأرض المعروفة بدف العناب، والقرماوي بدف القطايع، والجورتين البرانية والجوانية بأرض الخامس، والنصف والثلث من الريحانية، ومن الإصطبل المعروف بعمارية ببستان بقر الوحش، وذلك معروف مشهور، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾[1] الآية، وذلك في شعبان سنة خمس وسبعين وخمسمئة....

– المدرسة الزنجارية[2] [٥٨٣هـ]:

قال القاضي عز الدين: المدرسة الزنجارية، خارج باب توما وباب السلامة، ويقال لها الزنجيلي بالسبعة تجاه دار الأطعمة، وبها تربة جامع بخطبة بمعلوم على الجامع الأموي، وهي من أحسن المدارس.

ثم رأيت في تاريخ ابن كثير في سنه سبع وسبعين وخمسمئة: وأما نائب عدن فخر الدين عثمان بن الزنجيلي؛ فإنه خرج من اليمن قبل قدوم طغتكين إليها، فسكن الشام، وله أوقاف مشهورة باليمن ومكة، وإليه تُنسب المدرسة الزنجيلية خارج باب توما تجاه دار الطعم، وكان قد حصَّل من اليمن أموالاً عظيمة جداً.

---

(١) أشرنا سابقاً أن كتب الوقف كانت تُختتم بهذه الآية.

(٢) زالت هذه المدرسة نتيجة الإهمال وضعف الرقابة على الأبنية الأثرية التاريخية.

وقال في المرآة: له مدرسة بمكة المشرفة، وله رباط بالمدينة المنورة على الحال بها أفضل الصلاة وأتم السلام. وتبعهما الأسدي في تاريخه.

وقال أبو شامة في الروضتين: ولهذا الأمير أوقاف وصدقات بمكة واليمن ودمشق، وإليه تنسب المدرسة والرباط المتقابلان بباب العمرة بمكة المشرفة، والمدرسة التي خارج باب توما بدمشق، رحمه الله.

ثم قال القاضي عز الدين: أنشئت في سنة ست وعشرين وستمئة[1]، أنشأها الأمير عز الدين أبو عمرو عثمان بن علي الزنجيلي، وكان صاحب اليمن، وانتقل إلى الشام في زمن الملك العادل سيف الدين أبي بكر.

وبها دُفن، والذي وُجد من وقفها في سنة عشرين وثمانمئة: حانوتان جوارها، ولها طاحون بالقرب منها، وبجوار الطاحون حانوت، كذا رأيته في كشف مشد الأوقاف سيدي محمد بن منجك الناصري في السنة المذكورة....

- المدرسة السفينية[2] [٦٥٠هـ]:

قال الغزي الحلبي: المدرسة السفينية بجامع دمشق [الأموي]، لم يُعلم لها واقف، ذكر من علم ممن ذكر بها الدرس ركن الدين بن سلطان، إلى أن توفي، وتولى بعده صدر الدين بن عقبة إلى أن تولى القضاء بحلب المحروسة وسافر إليها، فتولى بعده محيي الدين، ثم انتزعها من يده القاضي تاج الدين عبد القادر بن السنجاري، وبقي بها إلى أن عاد من حلب المأنوسة بعد عزله عنها، فسأل من كان بها متولياً وهو القاضي تاج الدين عبد القادر المذكور بحضور جماعة من العلماء والفقهاء من جملتهم عماد الدين بن الشجاع، وسألوه أن ينزل عنها لصدر الدين المذكور، ثم عُزل عنها وتولى بعده الشيخ عماد الدين بن الشماع، وهو شيخ عالم فاضل متعبد، وهو مستمر بها إلى الآن، يشتغل بها جماعة من العلماء والفقهاء....

---

(١) سهو من ابن شداد؛ لأن الواقف دخل دمشق سنة ٥٨٠هـ، وتوفي سنة ٥٨٣هـ.

(٢) كانت حلقة علم في الجامع الأموي.

- المدرسة السيبائية[1] [٩٢٠هـ]:

خارج باب الجابية، وشمالي بئر الصارم، والتربة بها والزاوية بها أيضاً.

هي إنشاء نائب الشام الذي كان أمير السلاح بمدينة مصر المحروسة، رحمه الله تعالى، واسمه سيباي[2].

- المدرسة الشبلية البرانية [٦٢٣هـ]:

قال ابن شداد في المدارس الخارجة عن البلد: المدرسة الشبلية الحسامية بسفح جبل قاسيون بالقرب من جسر ثورا، بانيها الطواشي شبل الدولة الحسامي في سنة ست وعشرين وستمئة[3].

قال الذهبي في تاريخه العبر فيمن مات سنة ثلاث وعشرين وستمئة: وكافور شبل الدولة الحسامي طواشي حسامِ الدين محمد بن لاجين، ولَد [الخاتون] ست الشام، وله فوق جسر ثورا المدرسة والتربة والخانقاه، وكان ديِّناً وافر الحشمة، روى عن الخشوعي.

وقال ابن الأثير في تاريخه في سنة ثلاث وعشرين وستمئة: واقف الشبلية التي بطريق الصالحية، شبل الدولة كافور الحسامي نسبة إلى حسام الدين محمد بن لاجين، ولَد ست الشام، وهو الذي بنى الشبلية الحنفية والخانقاه على الصوفية إلى جانبها، وكانت منزله، وأوقف القناة والمصنع والساباط وفتح للناس طريقاً من عند المقبرة غربي الشامية البرانية إلى طريق عين الكرش، ولم يكن للناس طريق إلى الجبل من هناك؛ إنما كانوا يسلكون من

---

(١) بناها سيباي بن بختجا، آخر نواب المماليك في الشام سنة ٩٢٠هـ، وتحولّت اليوم إلى تربة ضمن حديقة.

(٢) هو آخر نواب المماليك في الشام.

(٣) سهو آخر من ابن شداد؛ لأن بانيها توفي سنة ٦٢٣هـ.

عند مسجد الصفي بالعقيبة، وكانت وفاته رحمة الله تعالى في شهر رجب، ودُفن في تربته التي كانت مدرسة....

وقال الصفدي في حرف الباء من كتابه الوافي: بشباك الشبلي الحسامي الكاتب مولى شبل الدولة صاحب المدرسة والخانقاه عند ثورا بدمشق، سمع من مولاه وحنبل وابن طبرزد وغيرهما، وروى عنه الدمياطي والأبرقوهي وجماعة، وهو رومي الجنس، وهو من أولاد بشارة المشهورين بدمشق، وكان يكتب خطاً جيداً، وذريته يدَّعون النظر على المدرسة والخانقاه المنسوبة إلى شبل الدولة المذكور، وتوفي سنة أربع وخمسين وستمئة.

وقال الأسدي في سنة ثلاث وعشرين وستمئة: شبل الدولة الحسامي كافور بن عبد الله الطواشي الكبير، خادم الأمير حسام الدين محمد بن لاجين، ولد الخاتون ست الشام، يقال: إنه كان من خُدَّام القصر بالقاهرة، وكان ديِّناً صالحاً عاقلاً مهيباً، ذا حرمة وافرة ومنزلة عند الملوك، وعليه اعتمدت مولاته في بناء الشامية البرانية، وقد سمع من الخشوعي والكندي، روى عنه البرزالي والأبرقوهي.

- المدرسة الشبلية الجوانية[1] [٦٢٠هـ]:

قال ابن شداد: قبالة الأكزية أي الشافعية، أنشأها شبل الدولة كافور المعظمي. وقد مرت ترجمته في المدرسة قبلها....

- المدرسة الصادرية[2] [٤٩١هـ]:

داخل باب البريد.

---

(١) كانت تقع في رأس حارة بلاطة، ولا أثر لها اليوم.

(٢) وقد أزيلت ولم يبق منها إلا جزء من قوس يُشعر بالحسرة عليها.

قال القاضي عز الدين: هي داخل دمشق بباب البريد، على باب الجامع الأموي الغربي، أنشأها شجاع الدولة صادر بن عبد الله، وهي أول مدرسة أُنشئت بدمشق سنة إحدى وتسعين وأربعمئة[1]....

- المدرسة الطرخانية [٥٢٥هـ]:

قبلي البادرائية.

قال ابن شداد: بجيرون، أنشأها الحاج ناصر الدولة طرخان. وقال في تعداد مساجد دمشق: مسجد في المدرسة المعروفة بدار طرخان، وهي كانت قديماً للشريف أبي عبد الله بن أبي الحسن، فوقفها سنقر الموصلي وجعلها مدرسة لأصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

وقال الذهبي في العبر في سنة ثمان وأربعين وخمسمئة: وأبو الحسن البلخي علي بن الحسن الحنفي الواعظ الزاهد، درّس بالصادرية، ثم جُعلت له دار الأمير طرخان مدرسة. وقد مرت ترجمته في المدرسة البلخية.

وقال الصفدي في حرف الطاء من وافيه: طرخان بن محمود الشيباني، أحد الأمراء الكبار بدمشق، صاحب المدرسة التي بجيرون، توفي في حدود الخمسمئة وعشرين.

ثم قال ابن شداد: أُنشئت للشيخ برهان الدين أبي الحسن علي البلخي في سنة خمس وعشرين وخمسمئة، وهو أول من درّس بها، وبعده جماعة....

---

(١) إذا قصدنا الدقة فإنها أول مدرسة فقهية حنفية في دمشق، وهي ليست أقدم مدرسة في دمشق، لأن الرشائية أقدم منها بأكثر من تسعين عاماً، وكذلك خانقاه دويرة حمد، وعلى ذلك فهي ثالث صرح تعليمي مستقل، وأول مدرسة تحمل هذا الاسم، وهذا ما أكّد عليه العلبي، وسيأتي الحديث عن الرشائية ودويرة حمد.

- المدرسة الطومانية[1] [القرن السادس أو السابع الهجري]:

تجاه دار الحديث الأشرفية الدمشقية، غربي الشريفية والفقاعية[2].

لم أقف على ترجمة واقفها، وقفُها نصف قرية قصيفة غربي المغونس وقبلي لاهتة من اللجاة، وحوانيت جوارها خراب.

ورأيت في تاريخ ابن قاضي شهبة في جمادى الأولى سنة سبع عشرة: وفي يوم الأربعاء سابعه حضرت الدرس بالشامية البرانية، ثم حضر قاضي القضاة في مُدَارسة، وحضر القاضي الحنبلي - يعني شمس الدين بن عبادة - فحكم بها، وكان من حين دخلوا إلى المدينة من بعد الوقعة إلى الآن يحكم بالطومانية الحنفية، فلما كان في هذا الحصار احترق بعضها، فانتقل إلى الفارسية، ودخل نواب الحنفي إلى دار الحديث النورية، وكانوا قبل يحكمون ببيت القاضي الحنفي بالقرب من السبعة. ولعل واقفها طومان النوري.

قال الأسدي في تاريخه في سنة خمس وثمانين وخمسمئة: طومان بن ملاعب بن عبد الله الأنصاري الخزرجي النوري، حسام الدين نجم الدولة الأمير الكبير الكامل الفاضل صاحب الرقة، كان شجاعاً جواداً محباً للخير كثير الصدقات، مائلاً إلى العلماء والفقهاء، بنى بحلب المحروسة مدرسة للحنفية، وكان السلطان يحبه ويعتمد عليه، وكان من شجعان المسلمين، وأكبر أمراء نور الدين، رحمه الله تعالى، توفي رحمه الله تعالى مع السلطان ليلة النصف من شعبان، وقد جاوزت سنّه المئة، بمكان يقال له تل العاصية من مدينة صور، وقبره بها يزار رحمه الله تعالى، وقد بنى الخان المعروف به بطريق حلب المحروسة....

---

(١) لا أثر لهذه المدرسة اليوم.

(٢) مقابل باب القلعة الشرقي.

- المدرسة الظاهرية الجوانية [٦٧٨هـ]:

البيبرسية الصالحية، قد تقدم محلها، وأنها على الفريقين الحنفية والشافعية، وترجمة واقفها....

- المدرسة العذراوية [٥٨٠هـ]:

قد مر محلها، وأنها على الحنفية والشافعية، وترجمة واقفها....

- المدرسة العزيزية [البرانية[١] ٦٢٥هـ]:

جوار المدرسة المعظمية بالصالحية.

وقال ابن شداد: المدرسة المعظمية والمدرسة العزيزية مجاورة لها، أُنشئت المعظمية بالصالحية في سنة إحدى وعشرين وستمئة.

قال ابن كثير في سنة ثلاثين وستمئة: والملك العزيز عثمان ابن الملك العادل، وهو شقيق الملك المعظم، وكان صاحب بانياس وتلك الحصون التي هناك، وهو الذي بنى الصبيبة، وكان عاقلاً قليل الكلام مطيعاً لأخيه المعظم، ودُفن عنده، وكانت وفاته يوم الإثنين عاشر شهر رمضان ببستانه [في] الناعمة من بيت لهيا، سامحه الله تعالى.

وقال الذهبي في العبر في السنة المذكورة: الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل أخو الملك المعظم لأبويه، هو الذي بنى قلعة الصبيبة بين بانياس وتبنين وهونين، اتفق موته بالناعمة وهو بستان له ببيت لهيا في عاشر رمضان....

- المدرسة العزية البرانية[٢] [٦٢٦هـ]:

فوق الوراقة.

---

(١) كانت تقع في أسفل مقبرة المهاجرين شمالي العفيف، ولا أثر لها اليوم.

(٢) تقع هذه المدرسة اليوم عند الزاوية الجنوبية الشرقية لثانوية جودت الهاشمي، وكانت على وشك أن تنهار، ثم تم تجديدها في الآونة الأخيرة.

وقفُها بالشرف الأعلى شمالي ميدان القصر خارج دمشق.

قال القاضي الحلبي: مدرسة الأمير عز الدين استادار المعظمي المعروف بصاحب صرخد، منشئها الأمير عز الدين المذكور في سنة ست وعشرين وستمئة.

قال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام في سنة خمس وأربعين وستمئة: وفيها توفي صاحب صرخد عز الدين أيبك، ونُقل في تابوت فدُفن بتربته المشرفة على الميدان.

وقال ابن كثير في تاريخه في السنة المذكورة: واقف العزية الأمير عز الدين أيبك استادار المعظم، وكان من العقلاء الأجواد الأمجاد، استنابه الملك على صرخد فظهرت منه نهضة وكفاية، واقف العزيتين البرانية والجوانية، ولما أخذ منه الصالح أيوب صرخد عوَّضه عنها، وأقام بدمشق، ثم وُشِي به بأنه يُكاتب الصالح إسماعيل، فاحتيط عليه وعلى أمواله وحواصله، فمرض وسقط إلى الأرض، وقال: هذا آخر عهدي، ثم لم يتكلم حتى مات، ودُفن بباب النصر بمصر، ثم نُقل إلى تربته التي فوق الوراقة؛ وإنما أرَّخ السبط وفاته في سنة سبع وأربعين، فالله سبحانه تعالى أعلم....

- المدرسة العزية الجوانية[1] [٦٢٠هـ]:

قال ابن شداد: بالكشك، تعرف هذه المدرسة بدار ابن منقذ، منشئها الأمير أيبك المعظمي استادار الملك المعظم. وقد مرت ترجمته في المدرسة قبلها.

وقال ابن كثير في سنة أربع وخمسين وستمئة في ترجمة مدرِّسها شمس الدين سبط ابن الجوزي: ودرَّس بالعزية البرانية التي بناها الأمير عز

(١) تضاربت أقوال المؤرخين حول موقعها، وقد رجّح العلبي - رحمه الله تعالى - أنها لصيق الفلكية في دخلة بني مفلح، التي يقال لها اليوم دخلة عبد الهادي وإلى الشرق منها، وفي الدخلة نفسها تقع الركنية الجوانية.

الدين أيبك المعظمي استادار الملك المعظم، وهو واقف العزية الجوانية التي بالكشك أيضاً، وكانت قديماً تُعرف بدُور ابن منقذ....

- المدرسة العزية الحنفية[١] [٦٢٦هـ]:

قال عز الدين الحلبي: بجامع دمشق، واقفها عز الدين أيبك المعظمي استادار الملك المعظم، وشرط وقفها أنه بنى مدرسة بالقدس الشريف على أنه متى كان القدس بيد المسلمين يكون الوقف على المكان المذكور، وإن تعطل أي تعطل القدس كان على مدرسته بالجامع الأموي المعمور جوار مشهد علي، وهو الذي أنشأ المدرستين قبل هذه، وقد مرت ترجمته في أولاهما....

- المدرسة العلمية[٢] [٦٢٨هـ]:

شرقي جبل الصالحية، وغربي الميطورية.

قال عز الدين الحلبي: بانيها الأمير علم الدين سنجر المعظمي، في شهور سنة ثمان وعشرين وستمئة....

- المدرسة الفتحية[٣] [٦٢٦هـ]:

قال ابن شداد: هي برحيبة خالد[٤]، منشئها الملك الغالب فتح الدين صاحب بارين نسيب صاحب حماة، ولها أوقاف بالديار المصرية، في سنة ست وعشرين وستمئة....

قال الصلاح في ترجمة خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد أبي الهيثم البجلي القسري أمير مكة المشرفة للوليد وسليمان أمير العراقين؛ قال

---

(١) وذكرنا عدة مرات أن القائم من مدارس الأموي هي المدرسة الغزالية فقط.

(٢) كانت تقع في ركن الدين قرب جسر النحاس، ولا أثر لها اليوم.

(٣) ولا أثر لها اليوم.

(٤) في منطقة باب توما.

الحافظ ابن عساكر: وداره بدمشق هي الدار الكبيرة التي في مربعة القز بقرب القدم بدار الشريف المزيدي، وإليه يُنسب الحمَّام الذي مقابل قنطرة سنان بباب توما، وهو الذي قتل جعد بن درهم، وكان جواداً سخياً ممدحاً فصيحاً، إلا أنه كان رجل سوء... مات في المحرم سنة ست وعشرين ومئة....

- المدرسة الفرّخشاهية[1] [٥٧٨هـ]:

قال عز الدين الحلبي: تُعرف بعز الدين فرخشاه، واقفتها حظ الخير خاتون ابنة إبراهيم بن عبد الله والدة عز الدين فرخشاه، وهي زوجة شاهنشاه بن أيوب أخي صلاح الدين، وذلك في سنة ثمان وسبعين وخمسمئة.

وقال الذهبي في العبر فيمن مات في سنة ثمان وسبعين وخمسمئة: وفرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي عز الدين، صاحب بعلبك وأبو صاحبها الملك الأمجد ونائب دمشق لعمه صلاح الدين، كان ذا معروف وبر وتواضع وأدب، وكان للتاج الكندي به اختصاص، توفي بدمشق ودُفن بقبته التي بمدرسته على الشرف الشمالي في جمادى الأولى، وهو أخو صاحب حماة تقي الدين....

وقال ابن كثير في السنة المذكورة في تاريخه: فصل في وفاة المنصور عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك ونائب دمشق لعمه الملك صلاح الدين، وهو والد الملك الأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك أيضاً بعد أبيه المذكور، وإليه تُنسب المدرسة الفرخشاهية بالشرف الشمالي، وإلى جانبها التربة الأمجدية لولده، هما وقف على الحنفية والشافعية، وقد كان فرخشاه شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً ذكياً فاضلاً كريماً ممدحاً، امتدحته الشعراء لفضله وجوده وإحسانه....

---

(١) أو الفروخشاهية، وتقع شرقي قصر الضيافة، وهي اليوم شبه متهدّمة.

- المدرسة القجماسية [٨٩١هـ]:

داخل باب النصر وباب السعادة[١].

أنشأها نائب الشام قجماس الإسحاقي الشركسي، كفل دمشق سبع سنين وثمانية شهور، ورتَّب فيها أربعين مقرئاً بعد العصر، كل يوم يقرأ كل منهم جزءاً من الربعة، وشيخاً ومجاورين وشيخاً لهم، وأوقافاً دارَّة، وفي يوم الأربعاء وهو حادي عشرين أيلول كان يوم عيد الفطر من سنة اثنتين وتسعين وثمانمئة، وشاع عند الناس أنه على خطر، وكان متمرضاً ببيت ابن دلامة بالصالحية، وأُتي به ليلة الإثنين قبل العيد بيومين في محفة إلى إصطبل دار السعادة، وعِيد به، ودُفن بالتربة التي أنشأها بالمدرسة المذكورة عند بيته....

- المدرسة القصاعية [٥٩٣هـ]:

بحارة القصاعين[٢].

أنشأتها خطبلسي خاتون بنت ككجا في سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة.

قال عز الدين: والذي رأيته مكتوباً بنقر في صخرة فوق بابها أن اسمها فاطمة بنت الأمير كوكجا، وكذا هو في كتاب وقفها كما أخبرني عاملها القاضي بهاء الدين الحجيني، وشرط الواقف فيها إذا تعذر الحضور بالمدرسة يجبر بالجامع بالرواق الشمالي، وأن شرْط المدرِّس بها أن يكون أعلم الحنفية بالأصلين....

- المدرسة القاهرية بالصالحية [٦٣١هـ]:

على حافة يزيد، لصيق دار الحديث القلانسية المشهور الآن بالخانقاه، يفصل بينمها الطريق وغربي المدرسة العمرية.

---

(١) في منتصف سوق الحميدية اليوم.

(٢) لذلك أطلق عليها البعض اسم مدرسة القصاعين.

- المدرسة القُلَيْجيَّة[1] [٦٤٥هـ]:

قال ابن شداد: الموصي بوقفها الأمير سيف الدين علي بن قليج النوري إلى قاضي القضاة صدر الدين بن سني الدولة الشافعي، وعمّرها بعد وفاة الموصي في سنة خمس وأربعين وستمئة.

وقال الشيخ تقي الدين الأسدي: وبها قبر الواقف.

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه في سنة ثلاث وأربعين وستمئة: وفيها وفاة واقف القليجية الحنفية، وهو الأمير سيف الدين بن قليج، ودُفن بتربته التي بمدرسته المذكورة التي كانت سكنه بدار الفلوس....

- المدرسة القيمازية[2] [٥٨٠هـ]:

قال عز الدين: داخل بابي النصر والفرج[3].

ومنشئها صارم الدين قايماز النجمي.

قال أبو شامة في الروضتين في سنة ست وتسعين وخمسمئة: فصل في وفاة جماعة من الأعيان في هذه السنة، قال العماد: وفيها ثالث عشر جمادى الأولى توفي في داره بدمشق الأمير صارم الدين قايماز النجمي، وكان يتولى أسباب صلاح الدين - رحمه الله تعالى - في مخيّمه وبيوته، ويعمل عمل أستاذ الدار، وإذا فتح بلداً سلّمه إليه واستأمنه عليه، فيكون أول من افتض عذرته وشام ديمته، وحصل له من بلد آمد عند فتحها ومن ديار مصر عند فتح عاضدها أموال عظيمة، وتصدّق في يوم واحد بسبعة آلاف دينار مصرية عيناً، وأظهر أنه قضى من حقوق الله في ذمته ديناً، وهو بالعرف معروف وبالخير موصوف، يحب اقتفاء المفاخر ببناء الربط والقناطر، ومن جملتها رباط خسفين ورباط

---

(١) تقع في درب الريحان شرقي حمام نور الدين الشهيد، وهي الآن عرضة للتخريب، وتحتاج إلى ترميم وتجديد.

(٢) لا أثر لها اليوم، وبُني على أرضها محال تجارية !!.

(٣) أي إلى الشرق من قلعة دمشق.

نوى، وله مدرسة مجاورة داره، ولقد كفى الله دمشق الحصر، نهض وراء العادل إلى مصر، فرده إلى دمشق ليلازم خدمة المعظم ولده، وأن يكون من أقوى عُدده وأوفى عَدده، وكان في خلقه رغادة وكانت حصافته مستعادة.

قال: ولما دُفن نُبشت أمواله وفُتّشت رِحاله، وحضر أمناء القاضي وضمناء الوالي، وأخرجوا خبايا الزوايا، وسموط النقود وخطوط النسايا، وغيَّروا رسوم المنزل ومعالمه، واستنبطوا دنانيره ودراهمه، وحفروا أماكن في الدار وبركة الحمام في الجوار، فحملوا أوقاراً من النضار، وظهروا على الكنوز المخفية والدفائن الألفية، فقيل زادت على مئة ألف دينار، وهو قليل في جنب مايحرز به من كذا وكذا قنطاراً، واستقل ما حواه الحزن وأخفاه الدفن، وقيل كان يكنز في صحاري ضياعه ومفازات إقطاعه، واتهم بعده جماعة بأن له عندهم ودائع، وتأذى بذلك منهم المتأبي والطائع، وداره بدمشق هي التي بناها الملك الأشرف أبو الفتح موسى بن العادل داراً للحديث في سنة ثلاثين وستمئة، وأخرب الحمام الذي كان مجاوراً لها وأدخله في ربعها، وذلك في جوار قلعة دمشق بينهما الخندق والطريق، وثم مدرسته المعروفة بالقيمازية.

وقال ابن كثير في تاريخه في سنة ست وتسعين وخمسمئة: والأمير صارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي، من أكابر الدولة الصلاحية، وكان عند الملك صلاح الدين بمنزلة أستاذدار، وهو الذي تسلَّم القصر حين مات العاضد بمصر، فحصل له أموال جزيلة جداً، وكان كثير الصدقات والأوقاف، وقد تصدَّق في يوم بسبعة آلاف دينار، وهو واقف المدرسة القيمازية شرقي القلعة المنصورة، وقد كانت دار الحديث الأشرفية داراً لهذا الأمير، وله بها حمَّام، فاشترى ذلك الملك الأشرف فيما بعد موسى بن العادل، وبناها دار حديث، وأخرب الحمام وبناه مسكناً للشيخ المدرِّس بها، ولما توفي ودُفن في قبره، نُبشت دوره وحواصله، وكان متهماً بمال جزيل، وقد كان متحصل ما جمع من ذلك مئة ألف دينار، وكان يُظن أن عنده أكثر من ذلك، ولكن كان يدفن أمواله في الخراب من أراضي ضياعه وقراياه، فسامحه الله وبلَّ بالرحمة ثراه....

- المدرسة المرشدية[1] [٦٥٠هـ]:

بالصالحية على نهر يزيد، جوار دار الحديث الأشرفية[2].

قال ابن شداد: منشئتها بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل، في سنة أربع وخمسين وستمئة[3]....

- المدرسة المعظَّميَّة[4] [٦٢١هـ]:

بالصالحية بسفح قاسيون الغربي، جوار المدرسة العزيزية[5].

قال الغزي الحلبي: المدرسة المعظمية والمدرسة العزيزية مجاورة لها، أُنشئت المدرسة المعظمية في سنة إحدى وعشرين وستمئة، والمدرسة العزيزية في سنة خمس وثلاثين وستمئة.

[ترجمة المعظم عيسى الأيوبي]

وقال الذهبي في العبر في سنة أربع وعشرين وستمئة: والملك المعظم سلطان الشام شرف الدين عيسى بن العادل، الفقيه الأديب، وُلِد بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمئة، وحفظ القرآن الكريم، وبرع في الفقه، وشرح الجامع الكبير في عدة مجلدات بإعانة غيره، ولازم الاشتغال زماناً، وسمع المسند كله لابن حنبل، وله شعر كثير، وكان عديم الالتفات إلى النواميس وأنفة الملوك، ويركب وحده مراراً ثم تتلاحق مماليكه بعده، توفي في سلخ ذي القعدة، وكان فيه خير وشر كثير، سامحه الله، تملَّك بعد أبيه.

---

(١) رُممت حديثاً.

(٢) في جادة المدارس.

(٣) قد يُتوهم أن هذا التاريخ (٦٥٤هـ) هو تاريخ بناء هذه المدرسة؛ وإنما هو تاريخ وفاة الواقفة، وقد أثبت سوفاجيه نص وقفها، وهو سنة ٦٥٠هـ.

(٤) أزيلت وأصبح مكانها بيوت سكنية.

(٥) شمالي العفيف.

وقال ابن كثير في سنة أربع وعشرين وستمئة: السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، ملك دمشق والشام، وكانت وفاته يوم الجمعة سلخ ذي القعدة من هذه السنة، وكان استقلاله بملك دمشق لما توفي أبوه سنة خمس عشرة وستمئة، وكان شجاعاً عاقلاً فاضلاً، اشتغل في الفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، على الحصيري رحمه الله تعالى مدرّس النورية، فقرأ عليه الجامع وغيره، وفي اللغة والنحو على الشيخ تاج الدين الكندي، وكان محفوظه مفصل الزمخشري، وكان يصل من يحفظه بثلاثين ديناراً، وكان [قد] أمر أن يُجمع له كتاب في اللغة يشتمل على صحاح الجوهري والجمهرة لابن دريد والتهذيب للأزهري وغير ذلك، وأمر أن يُرتب له مسند أحمد، وكان يحب العلماء ويكرمهم ويجتهد في متابعة الخير، ويقول: أنا على عقيدة الطحاوي.

وأمر عند وفاته ألا يُكفّن إلا في البياض، وأن يُلتحد له ويُدفن في الصحراء ولا يُبنى عليه، وكان يقول: واقعة دمياط أدَّخرها عند الله تعالى، وأرجو أن يرحمني بها - يعني أنه أبلى فيها بلاء حسناً رحمه الله تعالى - وقد جُمع له بين الشجاعة والسماحة والبراعة والعلم ومحبة أهله، وكان يجيء في كل يوم جمعة إلى تربة والده، فيجلس قليلاً، ثم إذا ذكّر المؤذنون ينطلق إلى تربة عمه صلاح الدين فيصلي فيها الجمعة، وكان قليل التعاظم، ويركب في بعض الأحيان وحده، ثم يلحقه بعض غلمانه شوقاً....

- المدرسة المعينية [٥٢٤هـ]:

بالطريق الآخذ إلى باب المدرسة العصرونية الشافعية.

قال عز الدين: بحصن الثقفيين، أنشأها معين الدين أنر، كان أتابك مجير الدين ابن صاحب دمشق، في شهور خمس وخمسين وخمسمئة[1].

---

(١) أخطأ ابن شداد هنا، فنقش تأسيس هذه المدرسة لا يزال على بابها، وأثبت فيه أنها بُنيت سنة ٥٢٤هـ.

وقال الذهبي في العبر في سنة أربع وأربعين وخمسمئة: والأمير معين الدين أنر بن عبد الله الطغتكيني، مقدم عسكر دمشق ومدبر الدولة، كان عاقلاً سايساً مدبراً، حسن الرئاسة ظاهر الشجاعة كثير الصدقات، وهو مدفون بقبته التي بين دار البطيخ والشامية، توفي في شهر ربيع الآخر، وله مدرسة بالبلد....

وقال أبو شامة في الروضتين في كلامه على محق معين الدين أنر: تنصّل من عسكره بحوران، ووصل إلى دمشق في أواخر شهر ربيع الآخر لأمر أوجب ذلك ودعاه إليه، وأمعن في الأكل، فلحقه عقب ذلك انطلاق وتأذّى به، وتولّد معه مرض في الكبد، فأوجب الحال عوده إلى دمشق في محفة لمداواته، وقضى نحبه في ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر، ودُفن في إيوان الدار الأتابكية التي كان يسكنها، ثم نُقل بعد ذلك إلى المدرسة التي عمّرها.

قلت: قبره في قبة بمقابر العوينة شمالي دار البطيخ الآن، واسمه مكتوب على بابها، فلعله نُقل من ثم إليها....

- المدرسة الماردانية(١) [٦١٠هـ]:

على حافة نهر ثورا، لصيق الجسر الأبيض بالصالحية.

قال: القاضي عز الدين الحلبي: أنشأتها عزيزة الدين أخشا خاتون بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين، وهي زوجة السلطان الملك المعظم في سنة عشر وستمئة، ووقفتها سنة أربع وعشرين وستمئة. وأظن قطب الدين مودود بن أتابك زنكي أخو نور الدين الشهيد هو والدها، والله سبحانه وتعالى أعلم، والذي وُجد من وقفها في سنة عشرين وثمانمئة بكشف سيدي محمد بن منجك النصاري: بستان جوار الجسر الأبيض، وبستان آخر جوار المدرسة المذكورة، وعدة ثلاثة حوانيت بالجسر المذكور، والأحكار جوارها أيضاً. ومن شرط واقفها [في] مدرّسها ألا يكون مدرّساً بغيرها....

---

(١) وهي قائمة اليوم، وجُددت عدة مرات.

- المدرسة المقدمية الجوانية[1] [٥٧٥هـ]:

داخل باب الفراديس الجديد.

قال عز الدين: منشئها الأمير شمس الدين محمد بن المقدم في الأيام الصلاحية.

وقال الذهبي في العبر في سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة: وابن المقدم الأمير الكبير شمس الدين محمد بن عبد الملك، كان من أعيان أمراء الدولتين، وهو الذي سلَّم سنجار إلى نور الدين، ثم تملَّك بعلبك وعصى على صلاح الدين مرة، فحاصره ثم صالحه، وناب له بدمشق، وكان بطلاً شجاعاً محتشماً عاقلاً، شهد في هذا العام الفتوحات، وحجّ فلما حلَّ بعرفات رفع علم السلطان صلاح الدين وضرب الكوسات، فأنكر عليه أمير ركب العراق طاشتكين، فلم يلتفت، وركب في طلبه، وركب طاشتكين، فالتقوا وقُتل جماعة من الفريقين، وأصاب ابن المقدم سهم في عينه فخرَّ صريعاً، وأخذ طاشتكين بن المقدم، فمات من الغد بمنى.

وقال ابن كثير: الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم، أحد نواب الملك صلاح الدين، لما فتح بيت المقدس أحرم جماعة في زمن الحج منه إلى المسجد الحرام، وكان أمير الحج تلك السنة، فلما كان بعرفة ضرب الدبادب ونشر الألوية وأظهر علم السلطان صلاح الدين، فغضب طاشتكين أمير الحاج من جهة الخليفة، فزجره عن ذلك، فلم يسمع، فاقتتلا، فجُرح ابن المقدم ومات في اليوم الثاني بمنى رحمه الله تعالى، ودُفن هناك، وجرت خطوب كثيرة، ولِيم طاشتكين على ما فعل، وعُزل من منصبه.

وقال الصفدي في المحمدين من تاريخه:... وكان بطلاً شجاعاً، حضر وقعة حطين وعكا والقدس والسواحل، وتوجه إلى الحج، فلما بلغ عرفات ضرب الكوسات ورفع علم صلاح الدين، وكان أمير الركب العراقي

---

(١) تلاشت هذه المدرسة وأُقيم مكانها مقام.

طاشتكين، فتقاتلا وجُرح ابن المقدم، وخيط جرحه فتوفي من الغد بمنى سنة أربع وثمانين وخمسمئة، ولما بلغ السلطان صلاح الدين بكى عليه وتأسف، وله دار كبيرة بدمشق إلى جانب المدرسة المقدمية، ولما صارت لصاحب حماة ثم صارت لقرا سنقر المنصوري ثم للسلطان الملك الناصر، وله تربة ومسجد وخان، كل ذلك مشهور جوار باب الفراديس بدمشق....

- المدرسة المقدمية البرانية [القرن السادس الهجري]:

بحارة الركنية بسفح قاسيون، شرقي الصالحية، وهي غير تربة ابن المقدم، فإن هذه بانيها فخر الدين ابن الأمير شمس الدين بن المقدم المتقدم ذكره في المدرسة قبلها.

قال الشيخ تقي الدين الأسدي: وأما المقدمية البرانية بمرجة الدحداح، وتعرف بتربة المقدم، فأنشأها الأمير فخر الدين إبراهيم، توفي في سنة سبع وتسعين وخمسمئة، ودفن بتربته المذكورة. وقال في هذه السنة المذكورة: إبراهيم بن محمد بن عبد الملك فخر الدين بن المقدم، كان شجاعاً عاقلاً، ولي قلعة بارين وعدة حصون، وله بها نواب، فمد عينه إليها الملك الظاهر غازي، فأخذها، وبقيت له بارين، توفي بدمشق ودُفن بمدرسته خارج باب الفراديس....

- المدرسة المنجكية الحنفية(١) [٧٧٢هـ]:

بالخلخال(٢)، قبلي الصوفية وغربيها.

إنشاء الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري، أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، وتنقّلت به الأحوال إلى أن صار أميراً بمصر، وولي حجوبة الحجاب بدمشق في سنة ثمان وأربعين وسبعمئة مدة يسيرة، ثم توجّه إلى مصر وصار مقدماً وولي الوزارة، ثم قُبض عليه وسُجن، ثم أُطلق عند زوال

---

(١) ظلّت قائمة حتى أوائل العصر العثماني.

(٢) غربي دمشق عند مشافي الجامعة ومباني كلية الطب.

دولة الناصر حسن، ثم ولي نيابة طرابلس في شوال سنة خمس وخمسين، ثم نُقل في صفر سنة سبع وخمسين إلى نيابة حلب، ثم نُقل إلى نيابة دمشق في جمادى الأولى من السنة المذكورة، ثم نُقل إلى نيابة صفد في ذي الحجة من السنة المذكورة، ثم طُلب إلى مصر بعد شهر، فهرب من الطريق واختفى نحو سنة، ثم ظفر به نائب الشام وأرسله إلى مصر، ولما وصل أُكرم إكراماً عظيماً، وأُطلق وأقام بالقدس الشريف، وحينئذ عمَّر الخانقاة والمدرسة بالقدس الشريف، ولما عصى نائب الشام بيدمر وقد قتل مع الملك الناصر حسن، دخل مع الأمير سيف الدين منجك المذكور، ثم قبض عليهما وسُجنا، ثم أُطلق معه، ثم في أواخر سنة ست وستين أُعطي نيابة طرسوس، ثم نُقل إلى طرابلس سنة ثمان وستين، ثم نُقل في صفر من السنة الآتية إلى نيابة دمشق عوضاً عن بيدمر بعد قتل يلبغا، واستمر مدة سبع سنين إلا أربعة أشهر، ثم طُلب في شوال سنة خمس وسبعين إلى مصر، فتولى نيابتها، واستمر إلى أن توفي رحمه الله بالقاهرة في ذي الحجة سنة ست وسبعين وسبعمئة على الصحيح، ودُفن بتربته التي أنشأها عند جامع بالقرب من قلعة الجبل عن سبع وستين سنة....

قال الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب المشتبه:... وأوقف على المدرسة المذكورة حمَّامه المعروف والفرن إلى جانبه والربع فوقه....

- المدرسة الميطورية[1] [٦٢٩هـ]:

قال ابن شداد: بجبل الصالحية من شرقيه.

واقفتها الست فاطمة خاتون بنت السلار، في سنة تسع وعشرين وستمئة.

قال الشيخ تقي الدين الأسدي في تاريخه في سنة إحدى وعشرين وثمانمئة: ومن عجيب ما وقع أن المدرسة الميطورية بين الصالحية

---

(١) لا أثر لهذه المدرسة اليوم، وكانت منطقة الميطور تمتد من جسر النحاس في ركن الدين حتى مستشفى ابن النفيس بمحاذاة نهر يزيد، ومعنى ميطور: ماء الجبل.

والقابون سلمت إلي بعد الوقعة، فهُدمت وأُخذت آلتها، وحصل بسببها تشنيع كثير على الفقهاء، وقيل إنه يُشترى مكان بالصالحية ويُجعل مدرسة. قلت: اشتُري مكان بالزقاق قدام باب الجامع المظفري من الغرب بالقرب من التربة الصارمية.

ثم قال ابن شداد: والميطور كان مزرعة ليحيى بن أحمد بن يزيد بن الحكم، وكان يسكن أرزونا[1] وهو الميطور الشرقي، وهذا الميطور هو وقف المدرسة المذكورة....

- المدرسة المقصورة الحنفية[2] [٥٨٩هـ]:

قال ابن شداد بعد أن ذكر المدارس المشتركة بين الحنفية والشافعية؛ وهن العذراوية والدماغية والأسدية: والمقصورة الحنفية بالجامع ذكرناها مع المشتركة لكونها مدرسته وإقامته.

وفيه أمور منها أنه أهمل من المشترك أيضا الظاهرية، ولم يذكر الظاهرية البرانية الشافعية، وعدة مدارس أُخَر كالجوهرية الحنفية.

قال ابن كثير في تاريخه في سنة أربع وستين وستمئة: وفيها توفي العفيف بن الدرجي إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع دمشق.

وقال الذهبي في العبر في سنة أربع وستين وستمئة: وفيها توفي الشيخ أحمد بن سالم المصري النحوي نزيل دمشق، فقير متزهِّد، محقق للعربية، اشتغل بالناصرية وبمقصورة الحنفية مدة، وتوفي في شوال.

وذكر البرزالي في تاريخه في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمئة في ترجمة الشيخ رضي الدين المنطيقي مدرِّس القيمازية: إنه كان إماماً بمقصورة الحنفية الشمالية....

---

(١) كانت منطقة أرزونا تمتد من مشفى ابن النفيس اليوم تقريباً حتى القابون.

(٢) وتقع عند الجدار الشرقي للجامع الأموي.

- المدرسة النورية الكبرى[1] [٥٦٧هـ]:

قال ابن شداد: وهي بخط الخواصين[2]، أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وستين وخمسمئة.

وفيه نظر؛ إنما أنشأها ولده الملك الصالح إسماعيل[3]، ثم نقله من القلعة بعد فراغها ودفنه بها، وهي بعض دار هشام بن عبد الملك بن مروان، وكانت قديماً دار معاوية بن أبي سفيان، وكان لمعاوية رضي الله تعالى عنه دار أخرى بباب الفراديس تحت السقيفة، يقال إنها الدار المعروفة الآن بابن المقدم.

قال الذهبي في العبر في سنة خمس وعشرين ومئة: وفيها مات في ربيع الآخر الخليفة أبو الوليد هشام بن عبد الملك الأموي، وكانت داره عند الخواصين بدمشق، فعمل منها مدرسة السلطان نور الدين. وقال في المختصر: وكانت داره عند الخواصين، وهي اليوم تربة الملك العادل نور الدين الشهيد ومدرسته رحمه الله تعالى.

[ترجمة نور الدين محمود بن زنكي]

وقال الأسدي في سنة تسع وستين وخمسمئة: محمود بن أبي سعيد زنكي بن آقسنقر التركي، الملك العادل نور الدين أبو القاسم، وُلِد بحلب في شوال سنة إحدى عشرة وخمسمئة، ودخل قلعة حلب بعد قتل علي صغير في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وله ثلاثون سنة، وكان أعدل ملوك زمانه بالإجماع، وأكثرهم جهاداً، وأحرصهم على فعل الخير، وأدينهم وأتقاهم لله تعالى، قصده الإبرنس صاحب أنطاكية فواقعه، فكسره نور الدين رحمه الله تعالى وقتله وقتل ثلاثة آلاف من الفرنج.

---

(١) هي من أشهر مدارس دمشق، وما تزال قائمة، ولكنها عرضة للتشويه بعد أن اقتُطع جزء من صحنها الشمالي لتوسعة الطريق، ثم جُعل حديقة، ثم أُعيد هذا الجزء إلى المسجد.

(٢) أي الخياطين اليوم.

(٣) وكلام النعيمي هنا يُخالف ما ذُكر بنص الوقف الذي لا يزال قائماً على باب المدرسة، وفيه أن نور الدين بانيها، وهو المشهور، وفيه أيضاً أن عمارتها تمّت سنة ٥٦٧هـ.

وأظهر السنة بحلب وغيَّر البدعة... وبنى بها المساجد والمدارس، ووسّع في أسواقها، ومنع من أخذ ما كان يؤخذ منهم من المغارم بدار البطيخ ودار الغنم وضمان الشهر والكيالة، وأبطل الخمر.

وكان في الحرب رابط الجأش ثابت القدم حسن الرمي، وكان يعرّض نفسه للشهادة ويسألها، ولقد أحسن إلى العلماء وأكرمهم، وبنى دور العدل وحضرها بنفسه، ووقف على المرضى وأدر على الضعفاء والأيتام وعلى المجاورين، وأمر بإكمال سور المدينة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، واستخرج العين التي بأحد، وكانت [قد] دفنتها السيول، وفتح سبيل الحاج من الشام.

وعمَّر الرُبط والخوانق والبيمارستانات في بلاده، وبنى الجسور والطرق والخانات، ووقف كتباً كثيرة على أهل العلم. وكسر الفرنج وكسر الأرمن على حارم، وكان العدو ثلاثين ألفاً، فلم يفلت منهم إلا القليل، وقبلها كسر الفرنج على بانياس، وأرسل جيوشه إلى مصر مرات، إلى أن استولوا عليها... وأعادوا الخطبة العباسية.

قال ابن عساكر: وكان حسن الخط، حريصاً على تحصيل الكتب الصحاح والسنن، كثير المطالعة للفقه والحديث، مواظباً على الصلوات في جماعة، كثير التلاوة والصيام والنسخ، عفيفاً متحرياً في المطعم والمشرب، عرياً عن التكبر، وكان ذا عقل متين ورأي رصين، مقتدياً بسيرة السلف الصالح، متشبّهاً بالعلماء والصلحاء. وروى الحديث وأسمعه بالإجازة، وكان من رآه شاهد من جلالة السلطنة وهيبة الملك ما يبهره، وإذا فاوضه رأى من لطافته وتواضعه ما يحيِّره.

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: ولي الشام سنين، وجاهد الثغور، وانتزع من أيدي الكفار نيِّفاً وخمسين مدينة وحصناً، وبنى مارستاناً بالشام، وبنى بالموصل جامعاً غرم عليه سبعين ألف دينار، ثم أثنى عليه.

وقال ابن شداد بل ابن الجوزي رحمهما الله تعالى: ما شذ عن طاعة الخلافة، وكان يميل إلى التواضع ومحبة العلماء والصلحاء، وعاهد صاحب

طرابلس - وقد كان في قبضته أسيراً - على أن يطلقه على ثلاثمئة ألف دينار وخمسمئة حصان وخمسمئة زردية ومثلها أتراس إفرنجية ومثلها قنطاريات وخمسمئة أسير مسلم، وبألا يُغِير على بلاد المسلمين سبع سنين وسبعة أشهر، وأخذ منه في قبضته على الوفاء بذلك نيابة عن أولاد الفرنج وبطارقهم، فإن نكث أراق دماءهم. وعزم على فتح بيت المقدس فتوفي رحمه الله تعالى.

وقال الموفق عبد اللطيف: كان نور الدين له بمنزلة كسير من الجهاد، وكان يأكل من عمل يده، ينسج تارة ويعمل علاباً تارة، ويلبس الصوف ويلازم السجادة والمصحف، وكان حنفياً ويراعي مذهب الشافعي ومالك رضي الله تعالى عنهم.

وقال ابن خلكان: كان زاهداً عابداً متمسكاً بالشريعة مجاهداً، كثير البر والأوقاف، وبنى بالموصل الجامع النوري، وله من المناقب ما يستغرق الوصف، توفي رحمه الله تعالى بقلعة دمشق بالخوانيق، وأشاروا عليه بالفصد فامتنع، وكان مهيباً فما رُوجع، وكان أسمر طويلاً ليس له لحية إلا في حنكه، وكان واسع الجبهة حسن الصورة حلو العينين، وقد طالعت السِيَر فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أحسن من سيريته، ولا أكثر تحرياً للعدل، وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف في الذي يخصه إلا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه في الغنيمة ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين، ولقد طلبت منه زوجته فأعطاها ثلاثة دكاكين بحمص كراها[1] نحو عشرين ديناراً في السنة، فاستقلّتها، فقال ليس لي إلا هذا وجميع ما أنا فيه خازن المسلمين.

وهو أول من بنى دار الحديث، وكان رحمه الله تعالى يصلي كثيراً بالليل، وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، ولم يترك في بلاده على سعته مكساً. إلى أن قال في أوقافه على أنواع البر: سمعت أن حاصل وقفه في الشهر تسعة آلاف دينار صوري.

---

(١) أجْرها.

وقال له القطب النيسابوري مرة: بالله لا تخاطر بنفسك، فإن أصبت في معركة لم يبق للمسلمين أحد إلا أخذه الشر، فقال له: ومن محمود حتى يُقال له ذلك، من حفظ البلاد قبل ذلك غير الذي لا إله إلا هو.

ولأسامة بن منقذ فيه:

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا	له فكل عن الخيرات منكمش
أيامه مثل شهر الصوم طاهرة	من المعاصي وفيها الجوع والعطش

وقال مجد الدين بن الأثير في تاريخ الموصل: لم يلبس حريراً قط ولا ذهباً ولا فضة، ومنع من بيع الخمر في بلاده، وكان كثير الصيام، وله أوراد في الليل والنهار، وكان كثير اللعب بالكرة، فكتب إليه بعض الصالحين ينكر عليه ويقول: تُتعب الخيل في غير فائدة، فكتب إليه بخطه: والله ما أقصد اللعب؛ وإنما نحن في تعب، فربما وقع الصوت لتكون الخيل قد أدمنت الكر والفر.

وكان رحمه الله تعالى عارفاً بمذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، ليس عنده تعصب والمذاهب عنده سواء. قال: وكان يلعب يوماً في ميدان دمشق، وجاءه رجل وطلبه إلى الشرع، فجاء معه إلى مجلس القاضي كمال الدين بن الشهرزوري، وتقدم الحاجب يقول للقاضي: قد قال لك لا تزعج، واسلك معه ما تسلكه مع آحاد الناس، فلما حضر سوَّى بينه وبين خصمه، فتحاكما، فلم يثبت للرجل عليه حق، وكان يدَّعي مُلكاً في يد نور الدين، فقال نور الدين: هل ثبت له حق، فقالوا: لا، قال: فاشهدوا علي أني قد وهبت له الملك، وإنما حضرت معه لئلا يقال عني: دُعيت إلى الشرع فأبيت. قال: ودخل يوماً فرأى مالاً كثيراً، فقالوا: بعث هذا القاضي كمال الدين من فائض الأوقاف، فقال: ردوه وقولوا إنما رقبتي رقيقة لا أقدر على حمله غداً وأنت رقبتك غليظة تقدر على حمله. ولما قدم أمراؤه دمشق اقتنوا الأملاك واستطالوا على الناس خصوصاً أسد الدين شيركوه، ولم يقدر القاضي كمال الدين على الانتصار من شيركوه، فأمر نور الدين ببناء دار العدل في

الأسبوع، فقال شيركوه: إن نور الدين الدين ما بنى هذه الدار إلا بسببي، وإلا فمن يمتنع على القاضي كمال الدين؟ وقال لنوابه: والله إن حضرت إلى دار العدل بسبب واحد منكم لأصلبنّه، فإن كان بينكم وبين أحد منازعة فأرضوه مهما أمكن، ولو أتى على جميع مالي.

وكان نور الدين يقف عند دار العدل في الأسبوع أربع مرات، ويحضر عنده العلماء والفقهاء، ويأمر بإزالة الحجَّاب والبوَّابين. وأنفق على عمارة جامع الموصل ستين ألف دينار، وفوَّض أمر عمارته إلى الشيخ عمر المنلا الزاهد، ويقال أنفق عليه ثلاثمئة ألف دينار، فتمَّ في ثلاث سنين، وبنى جامع حماة على جانب العاصي.

ووقع في أسره ملك الفرنج، فأشار الأمراء ببقائه في أسره خوفاً من شره، فبذل هو في نفسه مالاً، فبعث إليه نور الدين سراً يقول له: أحضر المال، فأحضر ثلاثمئة ألف دينار، فأطلقه، فعند وصوله إلى مأمنه مات، فطلب الأمراء سهمهم من المال، فقال: ما تستحقون منه شيئاً لأنكم نهيتم عن الفداء، وقد جمع الله تعالى لي الحسنتين؛ الفداء وموت اللعين وخلاص المسلمين منه، فبنى بذلك المال المارستان والمدرسة بدمشق ودار الحديث.

وما كان أحد من الأمراء يتجاسر أن يجلس عنده من هيبته، فإذا دخل عليه فقير أو عالم أو رث خرقة قام ومشى إليه وأجلسه إلى جانبه، ويعطيهم الأموال، فإن قيل له، يقول: هؤلاء لهم حق في بيت المال، فإذا قنعوا منّا ببعضه فلهم المنة علينا.

وقال العماد الكاتب في البرق الشامي: أكثر نور الدين في السنة التي توفي فيها من الصدقات والأوقاف وعمارة المساجد، وأسقط كل ما فيه حرام، فما أبقى سوى الجزية والخراج وما يحصل من الغلات على قويم المنهاج، وأمرني بكتب مناشير لجميع أهل البلاد، فكتبت أكثر من ألف منشور، وحَسَبْنا ما تصدَّق به في تلك الشهور، فكان ثلاثين ألف دينار، وكان له برسم نفقة

الخاص في كل شهر من الجزية ما يبلغ ألفي قرطاس يصرفها في كسوته وما حوله وأجرة خياطة وجامكية طباخه، ويستفضل منها ما يتصدَّق في آخر الشهر، وقيل إن استمر كل ستين قرطاساً بدينار.

وذكر العماد الكاتب جملة من فضائله، ومبلغ ما أطلق من الرسل والضرائب في كل سنة خمسمئة ألف وستة وثمانون ألفاً وأربعمئة وستون ديناراً.

وقد ذكر الذهبي تفصيل ذلك بالنسبة إلى كل بلد من بلاده.

ونقل ابن واصل وغيره: إنه كان من أقوى الناس بدناً وقلباً، وإنه لم يُر على ظهر فرس أشد منه كأنما خلق عليه ولا يتحرك، وكان إذا حضر الحرب أخذ قوسين وتركاشين وباشر القتال بنفسه، وكان يقول: طالما تعرضت للشهادة فلم أدركها.

قال الذهبي: قلت وقد أدركها على فراشه، وبقي ذلك في أفواه المسلمين تراهم يقولون نور الدين الشهيد، وما شهادته إلا بالخوانيق رحمه الله تعالى.

ومن فضائله كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: إنه كان له عجائز بدمشق وحلب، وكان يخيط الكوافي ويعمل السكاكر، ويبيعها له العجائز سراً، فكل يوم يصوم يفطر على أثمانها....

قال ابن كثير: كان يجلس يوم الثلاثاء في المسجد المعلق الذي بالكشك، ليصل إليه كل أحد من المسلمين وأهل الذمة، وأغلق باب كيسان وفتح باب الفرج، ولم يكن هناك قبله باب بالكلية، وفي أيامه فتحت المشاهد الأربعة بالجامع، وقد كانت حواصل الجامع فيها من حين احترق سنة إحدى وستين وأربعمئة، وأضاف إلى أوقاف الجامع المذكور الأوقاف التي لا يُعرف واقفها ولا تُعرف شروطهم فيها، وجعلها قلماً واحداً، وتُسمى مال المصالح، ورتَّب عليه لذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام وما أشبه ذلك.

توفي رحمه الله تعالى في شوال في قلعة دمشق بالخوانيق، ودُفن بتربته بمدرسة باب الخواصين، وعهد بالملك إلى ولده الصالح إسماعيل وهو ابن إحدى عشرة سنة، وحلف الوزراء لولده أن يكون في السلطنة بعده، وكان الصالح أحسن أهل زمانه صورة.

وللعماد الكاتب يرثيه ويقول شعر:

يا ملكاً أيامه لم تزل بفضله باهية فاخرة

ملكت دنياك وخلفتها وسرت حتى تملك الآخرة

وفي كتاب البرق الشامي وغيره من مؤلفات العماد الكاتب كثير من سيرة نور الدين واجتهاده، وقد عني الإمام أبو شامة في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين بسيرته وترجمة السلطان نور الدين وكراماته ومناقبه ومآثره، وما مُدح به ورُثي، طويلة مشهورة.

وهذا الكتاب مبني على الاختصار، وفيما ذكرنا مقنع وبلاغ، بل فيه تطويل بالنسبة إلى موضوع هذا الكتاب....

- المدرسة النورية الحنفية الصغرى [٥٦٠هـ]:

بجامع قلعة دمشق[١].

قال ابن شداد: مدرسة بجامع القلعة، واقفها الشهيد نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى، وقد مرت ترجمته بالمدرسة النورية قبل هذه، ثم قال ابن شداد: ولم يعلم من درَّس بها من زمن نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى إلى زمن الملك الأشرف سوى بهاء الدين عياك، وكان خطيباً بالجامع، وكان رجلاً فاضلاً....

---

(١) رجَّح العلبي – رحمه الله تعالى – أنها كانت داخل القلعة.

- المدرسة اليغمورية الحنفية [٦٥٥هـ]:

بالصالحية(١).

لم أقف على ترجمة واقفها، ولكن قال الذهبي في العبر في سنة ثلاث وستين وستمئة: وجمال الدين يغمور الباروقي، وُلِد في الصعيد سنة تسع وتسعين، وكان من أعيان الأمراء، ولي نيابة مصر ونيابة دمشق، توفي في شعبان.

وقال ابن كثير في سنة سبع وأربعين وستمئة: وفي عاشر صفر دخل إلى دمشق نائبها الأمير جمال الدين بن يغمور من جهة الملك الصالح أيوب، فنزل بدرب الشعارين داخل باب الجابية. وفي جمادى الآخرة أمر النائب بتخريب الدكاكين المحدثة في وسط باب البريد، وأمر ألا يبقى فيه دكان سوى ما في جانبيه إلى جانب الحائطين القبلي والشمالي وما في وسط الطريق، فهدم.

قال أبو شامة رحمه الله تعالى: وقد كان الملك العادل هدم ذلك ثم أعيد ثم هدمه ابن يغمور، والمرجو استمراره على هذه الصنعة، وفيها توجه الملك الناصر داود من الكرك إلى حلب المحروسة، فأرسل الملك الصالح أيوب إلى نائبه بدمشق وهو جمال الدين بن يغمور بخراب دار أسامة المنسوبة إلى الناصر بدمشق وبستانه الذي بالقابون وهو بستان القصر، أن تقطع أشجاره ويخرّب القصر....

---

(١) حددت دائرة الآثار موقع هذه المدرسة لصيق تربة كجكن من الغرب، ووضعت عليها لوحة تشير إلى أنها بُنيت سنة ٦٦٣هـ.

فصل

المدارس المالكية

- الزاوية المالكية [٥٦٧هـ]:

قال عز الدين رحمه الله تعالى: الزاويه بالجامع، واقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى، ملاصق المقصورة الحنفية من غربي الجامع [الأموي] بدمشق. وقد مرت ترجمة السلطان هذا في المدرسة الصلاحيه الشافعية باختصار....

- المدرسة الشرابيشية[١] [٦٧٠هـ]:

بدرب الشعارين، لصيق حمام صالح، شمالي الطيوريين، داخل باب الجابية[٢].

قال القاضي عز الدين رحمه الله تعالى: المدرسة المعروفة بنور الدولة علي الشرابيشي بدرب الشعارين.

ورأيت بخط الحافظ البرزالي رحمه الله تعالى في تاريخه سنة أربع وثلاثين وسبعمئة: وفي يوم الخميس الرابع والعشرين من صفر توفي شهاب الدين أحمد بن نور الدوله علي بن أبي المجد بن محاسن الشرابيشي التاجر

(١) زالت هذه المدرسة نتيجة القصف الفرنسي لدمشق سنة ١٩٢٥م.

(٢) في منطقة الحريقة اليوم.

السفّار، ودُفن يوم الجمعة بالمكان الذي وقفه والده خارج الباب الصغير قبالة جامع جراح، وكان له همة ونهضة وتودد إلى الناس....

- المدرسة الصمصامية [٧١٧هـ]:

بمحلة حجر الذهب، شرقي دار القرآن الوجيهية، وقبلي المسرورية الشافعية، وشام الخاتونية العصمية الحنفية[١].

وقال ابن كثير في سنة سبع عشرة وسبعمئة: وفي ذي القعدة يوم الأحد دُرّس بالصمصامية التي تجددت للمالكية، وقد وقف عليها الصاحب شمس الدين غبريال الأسمري درساً ودرَّس بها فقهاً....

قال البرزالي ومن خطه نقلت في تاريخه في سنة أربع وثلاثين وسبعمئة: وفي يوم الأربعاء ثاني عشر شوال وصل البريد من الديار المصرية إلى دمشق وأُخبر بوفاة الصاحب شمس الدين غبريال رحمه الله تعالى، وكتب إلى الشيخ أبو بكر الرحيبي أن وفاته في ليلة السبت ثامن شوال، ودُفن في تربة قراسنقر خارج باب النصر، وكان قد أخذ منه ألفي ألف درهم.

وذكره شمس الدين بن الجزري رحمه الله تعالى في تاريخه وقال: كان حسن التدبير، ورفع ضرب المقارع من الكتاب، وكان إسلامه في إحدى وسبعمئة، أسلم هو وأمين الملك معاً....

وقال [الذهبي] في ذيل العبر في سنة اثنتين وثلاثين المذكورة: ونُكب الصاحب شمس الدين غبريال بدمشق وصُودر وزالت سعادته. ثم قال فيه في سنة أربع وثلاثين وسبعمئة: ومات الصاحب شمس الدين غبريال المسلماني بمصر في عشر الثمانين، يقال إنه أدى ألفي ألف درهم واهين، وصُودر أهله من بعده، وكان صدراً محتشماً نبيهاً محباً للستر على الناس، قليل الشر والأذى، لولا ما وقع في أيامه من زغل الذهب، وتأذّى الناس من ذلك، وامتدت أيامه بدمشق في سعادة وتنعُّم....

---

(١) في منطقة السليمانية اليوم.

- **المدرسة الصلاحية [النورية ٥٦٧هـ]:**

قال القاضي عز الدين رحمه الله تعالى: مدرسة أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس رحمه الله تعالى، وهي بالقرب من البيمارستان النوري، وقد مرت ترجمة الملك الناصر هذا في المدرسة الصلاحية الشافعية.

ووجدت بخط الشيخ تقي الدين بن قاضي شهبه الأسدي رحمه الله تعالى في تسمية مدارس المالكية تسمية هذه المدرسة بالنورية[1]، وتسمية المدرسة الزاوية المارة بالحلقة....

---

(١) في تسمية هذه المدرسة إشكال، ولعل الأقرب إلى الصواب تسميتها بالنورية، لأن ابن عساكر المعاصر لنور الدين سمّاها كذلك، وربما بناها نور الدين وتمّت في عهد صلاح الدين، وبكل الأحوال لا أثر لهذه المدرسة اليوم.

فصل

مدارس الحنابلة

- المدرسة الجوزية[1] [٦٤٤هـ]:

قال عز الدين رحمه الله تعالى: هي بسوق القمح بالقرب من الجامع[2]، أنشأها محيي الدين بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله تعالى ورحمنا به، بعد الثلاثين في أيام الملك الصالح عماد الدين.

وقال الذهبي رحمه الله تعالى في تاريخه فيمن مات سنة ست وخمسين وستمئة: ومحيي الدين بن الجوزي الصاحب العلامه سفير الخلافة أبو المحاسن يوسف بن الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد التيمي البكري الحنبلي البغدادي، وهو أستاذ دار المستعصم بالله، وُلِد سنة ثمانين وخمسمئة... وكان كثير المحفوظ قوي المشاركه في العلوم وافر الحرمة، ضُربت عنقه هو وأولاده تاج الدين والمحتسب جمال الدين وشرف الدين في صفر.

وقال تلميذه ابن كثير رحمه الله تعالى: ثم محيي الدين يوسف، وكان أنجب أولاده وأصغرهم، وُلِد سنة ثمانين، ووعظ بعد أبيه، واشتغل وحرر وأتقن وساد أقرانه، ثم باشر حسبة بغداد، ثم صار رسول الخلفاء إلى الملوك

---

(١) تعد أول مدرسة للحنابلة في دمشق، وقد تعرضت للهدم نتيجة القصف الفرنسي عام ١٩٢٥م، وفي سنة ١٩٤٠م أعادت مديرية الأوقاف بناء هذه المدرسة وفق طراز حديث.

(٢) أسفل سوق البزورية اليوم.

بأطراف البلاد ولا سيما إلى بني أيوب بالشام، وقد حصّل منهم من الأموال والكرامات ما ابتغى، من ذلك بناء المدرسة الجوزية التي بالنشابين بدمشق، ثم صار أستاذ دار الخليفة المستعصم في سنة أربعين وستمئة، واستمر مباشرها إلى أن قُتل مع الخليفة عام هولاكو بن تولي بن جنكيز خان.

وقال في سنة خمس عشرة وستمئة: وفيها ولي حسبة الصاحب محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وهو مع ذلك يذكر ميعاد الوعظ على قاعدة أبيه، وشُكرت مباشرته للحسبة. وقال في سنة ثلاث وعشرين: وفيها قدم محيي الدين من بغداد في الرسلية إلى الملك المعظم بدمشق، ومعه الخلع والتشاريف لأولاد العادل من الخليفة الظاهر بأمر الله، إلى أن قال: وركب القاضي محيي الدين بن الجوزي إلى الملك الكامل بالديار المصرية، وكان ذلك أول قدومه إلى الشام ومصر، وحصل له جوائز كثيرة من الملوك؛ منها كان بناء المدرسة الجوزية بالنشابين من دمشق... ولمحيي الدين هذا مصنف في مذهب الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه، وذكر له ابن الساعي أشعاراً حسنة يهنئ بها الخليفة في المواسم والأعياد تدل على فضيلة تامة وفصاحة بالغة، وقد وقف المدرسة الجوزية بدمشق، وهي من أحسن المدارس وأوجهها، تقبّل الله منه وأثابه الرحمة والجنة وإيانا وجميع المسلمين أجمعين، آمين.

- المدرسة الجاموسية[1] [٨١٠ هـ]:

هي غربي العقيبة بدمشق.

لم أعرف واقفها، أخبر الصدر ابن القاضي علاء الدين علي بن مفلح رحمهم الله تعالى أن والده أخذ من ابن ناظر الصاحبة ورقة فيها أن والده ناظر الصاحبة قرر صدر الدين - يعني جده رحمه الله تعالى -، وحكى النظام في وظيفة العمالة والقيامة: الوقف على السادة الحنابلة.

---

(١) لا أثر لها اليوم.

قال شيخنا الجمال بن المبرد رحمه الله تعالى: وقد تواترت الأخبار بذلك، والوقف على المدرسة المذكورة، وثلث الحانوت بالعقيبة الكبرى، والبستان المعروف بالطبرزية، وجنينة الرصاص ومحاكرة الجنينة بمصاطب الطرق، ومحاكرة البستان بقرية جسرين، ومحاكرة تمرين الأمير وابن الرملي جوار المدرسة، والمحاكرة جوارها باسم ابن نور الدين، والبستان فوق حمام الورد بيد أولاد نظام الدين.

- المدرسة الحنبلية الشريفية [٥٣٠هـ]:

بالشين المعجمة، عند القباقبية العتيقة[1].

قال الذهبي رحمه الله تعالى في العبر في سنة ست وثلاثين وخمسمئة: وشرف الإسلام عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج الحنبلي عبد الواحد بن محمد الأنصاري الشيرازي ثم الدمشقي، الفقيه الواعظ شيخ الحنابلة بالشام بعد والده ورئيسهم، وهو واقف المدرسة الحنبلية بدمشق، توفي رحمه الله تعالى في صفر، وكان ذا حرمة وحشمة وقبول وجلالة ببلده. وقال رحمه الله تعالى في مختصر تاريخ الإسلام في سنة ست وثلاثين المذكورة: وشيخ الحنابلة بدمشق واقف الحنبلية شرف الإسلام عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج رحمهم الله تعالى....

وقال ابن مفلح في طبقاته: عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي الشيرازي ثم الدمشقي، الفقيه الواعظ المفسر شرف الإسلام ابن شيخ الإسلام، توفي والده رحمه الله تعالى وهو صغير، فاشتغل بنفسه وتفقّه وبرع وناظر وأفتى، واشتغل عليه جماعة كثيرون، وكان فقيهاً بارعاً، وواعظاً فصيحاً، وصدراً معظّماً، ذا حرمة وحشمة وسؤدد ورئاسة ووجاهة وجلالة وهيئة... وله تصانيف كثيرة؛ منها المنتخب في الفقه

(١) عند تقاطع العمارة الجوانية اليوم.

مجلدان، والمفردات، والبرهان في أصول الدين، حدَّث عن أبيه ببغداد ودمشق، وسمع منه أبو بكر ابن كامل، وبنى مدرسة بدمشق يقال لها الحنبلية، وجرى له أمور في بنائها، توفي رحمه الله تعالى في ليلة الأحد سابع عشر صفر سنة ست وثلاثين وخمسمئة، ودُفن عند والده بمقابر الشهداء بباب الصغير....

- المدرسة الصاحبية[1] [٦٢٨هـ]:

بسفح قاسيون من الشرق.

قال ابن شداد رحمه الله: إنشاء ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب، بجبل الصالحية.

قال الذهبي رحمه الله تعالى في العبر في سنة ثلاث وأربعين: اتصل مظفر الدين بخدمة السلطان صلاح الدين، وتمكّن منه وتزوج أخته ربيعة واقفة المدرسة الصاحبة وأخت العادل أيضاً، وقد نيَّفت على الثمانين، ودُفنت بمدرستها بالجبل، توفيت رحمها الله تعالى في شعبان منها.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في سنة إحدى وثمانين وخمسمئة: الأمير الكبير سعد الدين مسعود بن معين الدين أنر، كان من الأمراء الكبار أيام نور الدين رحمه الله تعالى وصلاح الدين رحمه الله تعالى أيضاً، وهو أخو الست خاتون، وحين تزوجها صلاح الدين زوَّجه بأخته ست ربيعة بنت أيوب، التي تُنسب إليها المدرسة الصاحبة بالسفح على الحنابلة، وقد تأخرت وفاتها فتوفيت في سنة ثلاث وأربعين وستمئة، وكانت آخر من بقي من أولاد أيوب لصلبه.

وقال في سنة ثلاث وأربعين وستمئة المذكورة: الخاتون ربيعة خاتون واقفة الصاحبية بقاسيون، بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين، زوَّجها

---

(١) وهي قائمة اليوم، وتم ترميمها وتجديدها.

أخوها أولاً بالأمير سعد الدين مسعود بن معين الدين أنر، وتزوج هو أخته عصمة الدين خاتون التي كانت زوجة الملك نور الدين رحمه الله تعالى، لها الخاتونيه الجوانية والخانقاه، ثم لما مات الأمير سعد الدين زوجها من الملك مظفر الدين صاحب إربل، فأقامت عنده بإربيل أزيد من أربعين سنة حتى مات، ثم قدمت دمشق فسكنت في دار العقيقي، وهي دار أبيه أيوب، حتى كانت وفاتها في هذه السنة وقد جاوزت الثمانين، ودُفنت بقاسيون، وكان في خدمتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الصالح الحنبلي، وكانت فاضلة، لها تصانيف، وهي التي أرشدتها إلى وقف المدرسة الصاحبة بقاسيون على الحنابلة....

وقال الصفدي رحمه الله تعالى في حرف الراء: ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب بن شادي أخت الناصر والعادل، تزوجت الأمير سعد الدين مسعود ابن الأمير معين الدين أنر، فلما مات تزوجت بالملك المظفر صاحب إربل، فبقيت عنده بإربل، فلما مات قدمت إلى دمشق، وفي خدمتها العالمة أمة اللطيف بنت الناصح بن الحنبلي، فأحبتها وحصل لها من حبها أموال عظيمة، وأشارت عليها ببناء المدرسة الصاحبة بسفح قاسيون، فبنتها ووقفتها على الناصح والحنابلة، وتوفيت بدمشق سنة ثلاث وأربعين وستمئة في دار العقيقي التي صُيِّرت المدرسة الظاهرية، ودُفنت بمدرستها تحت القبور، ولقيت العالمة بعدها شدائد من الحبس ثلاث سنين بالقلعة والمصادرة، ثم تزوجها الأشرف صاحب حمص ابن المنصور، وسافر بها إلى الرحبة، وتوفيت هناك سنة ثلاث وخمسين وستمئة، ولربيعة عدة محارم سلاطين، وهي أخت ست الشام... واستولى الصاحب معين الدين بن الشيخ على موجودها، فلم يُمنع، وعاش بعدها أيام قلائل.

وقال ابن خلكان رحمه الله تعالى: كانت وفاتها بدمشق، وغالب ظني أنها جاوزت ثمانين سنة....

- المدرسة الصدرية[1] [٦٥٧هـ]:

قال عز الدين الحلبي رحمه الله تعالى: واقفها صدر الدين بن منجا.

قال الذهبي في العبر فيمن مات في سنة سبع وخمسين وستمئة: والصدر بن المنجا واقف المدرسة الصدرية، الرئيس أبو الفتح أسعد بن عثمان بن وجيه الدين أسعد بن المنجا التنوخي الحنبلي المعدل، وُلِد سنة ثمان وتسعين وخمسمئة، روى عن ابن طبرزد، وتوفي في شهر رمضان، ودُفن بمدرسته.

وقال تلميذه ابن كثير في سنة سبع المذكورة: واقف الصدرية الرئيس صدر الدين أسعد بن المنجا بن بركات بن مؤمل التنوخي المصري ثم الدمشقي الحنبلي، أحد المعدَّلين ذوي الأموال والمروءات والصدقات الدارَّة البارَّة، وقف مدرسة للحنابلة قبره بها إلى جانب تربة القاضي جمال الدين المصري في رأس درب الريحان من ناحية الجامع المبرور، وقد ولي نظر الجامع المبرور مدة، وقد استجد أشياء كثيرة منها سوق النحاسين قبلي الجامع، ونقل الصاغة إلى مكانها الآن، وقد كانت قبل ذلك حيث يقال لها الصاغة العتيقة، وجدد الدكاكين التي بين أعمدة باب الزيادة، وثمَّر للجامع أموالاً كثيرة جزيلة، وكانت له صدقات كثيرة، وذُكر عنه أنه كان يعمل صنعة الكيمياء، وأنه صح معه عمل الفضة، وعندي أن هذا لا يصح عنه، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب....

- المدرسة الضيائية المحمدية[2] [٦٢٠هـ]:

بسفح قاسيون، شرقي الجامع المظفري.

قال ابن شداد: بانيها الفقيه ضياء الدين محمد بجبل الصالحية.

---

(١) كانت تقع في زقاق معاوية، شرقي حمام نور الدين، وقد اندثرت اليوم، وصار مكانها معامل.

(٢) وقد تلاشت اليوم.

قال الذهبي في تاريخه العبر فيمن مات في سنة ثلاث وأربعين وستمئة: والشيخ الضياء أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي الحافظ أحد الأعلام، وُلِد سنة سبعه وستين وخمسمئة... وأفنى عمره في هذا الآن[1]، مع الدين المتين والورع والفضيلة التامة والثقة والإتقان، انتفع الناس بتصانيفه والمحدِّثون بكتبه، توفي رحمه الله تعالى في السادس والعشرين من جمادى الآخرة.

وقال تلميذه ابن كثير في تاريخه: الحافظ ضياء الدين محمد المقدسي صاحب الأحكام، هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، سمع الحديث الكثير، وكتب كثيراً، ورحل وطاف وجمع وصنَّف وألَّف كتباً مفيدة حسنة كثيرة الفوائد؛ من ذلك: كتاب الأحكام، ولم يتمه، وكتاب الأحاديث المختارة، وفيه علوم حسنة مفيدة حديثية وهي أزيد وأجود من مستدرك الحاكم لو كملت، وله فضائل الأعمال، وغير ذلك من الكتب الحسنة الدالة على كثرة حفظه واطلاعه وتضلّعه من علم الحديث متناً وإسناداً، وكان في غاية العبادة والزهادة والورع، وقد وقف كتباً كثيرة بخطه بخزانة المدرسة الضيائية التي وقفها على أصحابهم من أهل الحديث والفقهاء، وقد وقف عليها أوقافاً أُخر كثيرة بعد ذلك.

وقال الصفدي في تاريخه في المحمدين: الحافظ ضياء الدين المقدسي محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل، الحافظ الحجة الإمام ضياء الدين أبو عبد الله السعدي المقدسي الصالحي صاحب التصانيف، وُلِد بالدير[2] المبارك سنة سبع وستين وخمسمئة، لزم الحافظ عبد الغني وتخرَّج به، وحفظ القرآن وتفقَّه، ورحل أولاً إلى مصر سنة خمس وتسعين، ورحل إلى بغداد بعد موت ابن كليب ومن هو أكبر منه، وسمع من ابن

---

(١) أي في تحصيل العلم.

(٢) أي: الدار بلهجة أهل الصالحية وقتذاك.

الجوزي الكثير بهمدان، ورحل ثم رجع إلى دمشق بعد الستمئة، ثم رحل إلى أصفهان فأكثر فيها وتزيَّد وحصَّل أشياء كثيرة من المسانيد والأجزاء، ورحل إلى نيسابور فدخلها ليلة وفاة الفراوي، ورحل إلى مرو، وسمع بحلب المحروسة وحران والموصل، وقدم دمشق بعد خمسة أعوام بعلم كثير، وحصَّل أصولاً نفيسة فتح الله بها عليه هبة وشراء ونسخاً، وسمع بمكة المشرفة، ولزم الاشتغال لما رجع، وأكبَّ على التصنيف والنسخ، وأجاز له... خلق كثير....

قال ابن النجار: وكُتب عنه ببغداد ونيسابور ودمشق، وهو حافظ متقن ثبت ثقة صدوق نبيل حجة، عالم بالحديث وأحوال الرجال، له مجموعات وتخريجات، وهو ورع تقي زاهد عابد محتاط في أكل الحلال، مجاهد في سبيل الله، ولعمري ما رأت عيناي مثله في نزاهته وعفته وحسن طريقته في طلب العلم، وأثنى عليه عمر بن الحاجب والشرف بن النابلسي والذهبي. وقال: بنى مدرسة على باب الجامع المظفري وأعانه عليها بعض أهل الخير... توفي رحمه الله تعالى يوم الإثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمئة، ودُفن بجبل قاسيون....

- المدرسة الضيائية المحاسنية[١] [٦٤٠هـ]:

قال ابن شداد: مدرسة ضياء الدين محاسن، كان رجلاً صالحاً، بنى هذه المدرسة وجعلها موقوفة على من يكون أمير الحنابلة يذكر فيها الدرس....

ورأيت في طبقات الحنابلة: محاسن بن عبد الملك بن علي بن منجا التنوخي الحموي ثم الصالحي، الفقيه الإمام ضياء الدين أبو إبراهيم، سمع من الخشوعي وتفقَّه على الشيخ موفق الدين حتى برع وأفتى، وكان فقيهاً عارفاً بالمذهب زاهداً، ما نافس في منصب قط ولا دنيا، ولا أكل من وقف بل كان

---

(١) كانت تقع مقابل الباب الشرقي لجامع الحنابلة، ولا أثر لها اليوم.

يتقوَّت من شكارة تزرع له بحوران، وما آذى قط مسلماً، ولا دخل حمَّاماً، ولا تنعَّم في ملبس ولا مأكل، ولا زاد على ثوب وعمامة... توفي رحمه الله تعالى ليلة الرابع من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمئة بجبل قاسيون، ودُفن به.

- المدرسة العمرية الشيخية(١) [٥٥٥هـ]:

قال عز الدين: مدرسة الشيخ أبي عمر بالجبل في وسط دير الحنابلة، واقفها وبانيها الشيخ أبو عمر الكبير والد قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي، وكان من الأولياء المشهورين.

قال الذهبي في العبر في سنة سبع وستمئة: والشيخ أبو عمر المقدسي الزاهد محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن حسن الحنبلي القدوة الزاهد، أخو العلامة موفق الدين، وُلِد بجماعيل سنة ثمان وعشرين وخمسمئة، وهاجر إلى دمشق لاستيلاء الفرنج على الأرض المقدسة، وسمع الحديث من أبي المكارم عبد الواحد بن هلال وطائفة كثيرة، وكتب الكثير بخطه، وحفظ القرآن والفقه والحديث، وكان إماماً فاضلاً مقرئاً زاهداً عبَّاداً قانتاً لله خائفاً من الله منيباً إلى الله، كثير النفع طلق الوجه، ذا أوراد وتهجد واجتهاد، وأوقات مقسمة على الطاعة بين الصيام والقيام والذكر وتعلم العلم والفتوى والفتوة والمروءة والخدمة والتواضع، رحمه الله تعالى فلقد كان عديم النظير بزمانه، خطب بجامع الجبل إلى أن توفي في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول، رحمه الله تعالى....

وذكر له شيخنا البرهان بن مفلح في الطبقات ترجمة طويلة، إلى أن قال: وله آثار جميلة؛ منها مدرسة بالجبل، وهي وقف على القرآن والفقه، وقد

---

(١) عند الحاجبية اليوم، على الطريق السفلي لسوق الجمعة في الشيخ محيي الدين، وهي أكبر مدرسة في دمشق والعالم الإسلامي، جدرانها باقية اليوم، لكن داخلها تحول إلى (خرابة) فتراكمت الأوساخ فيها !!.

حفظ القرآن فيها أمم لا يُحصون، وذكر جماعة أن الشيخ أبا عمر قطباً أقام قطب الوقت قبل موته ست سنين، وكان آخر كلامه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلا وأنتمْ مُسْلِمُونَ﴾[1] الآية. وحزر من حضر جنازته فكانوا عشرين ألفاً، ودُفن بجبل قاسيون....

وقال ابن كثير في تاريخه في ترجمة أبي عمر في سنة سبع وستمئة: وُلِد سنة ثمان وعشرين وخمسمئة بقرية أكساوية وقيل بجماعيل، وهو الذي ربى الشيخ موفق الدين أخاه وأحسن إليه وكان يقوم بمصالحه، وهو الذي قدم به من تلك البلاد فنزلوا بمسجد أبي صالح ثم انتقلوا منه إلى السفح، وليس له من العمارة سوى دير الحوراني، قال: فقيل لنا الصالحين ينسبوننا إلى مسجد أبي صالح لا أننا صالحون، وسميت هذه البقعة بالصالحية نسبة إلينا....

– المدرسة العالمة[2] [٦٣٥هـ]:

شرقي الرباط الناصري، غربي سفح قاسيون، تحت جامع الأفرم، واقفتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الشيخ الناصح الحنبلي... وكانت فاضلة لها تصانيف، وهي التي أرشدت ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب أخت الملك صلاح الدين إلى وقف المدرسة الصاحبية بقاسيون على الحنابلة أيضاً، ثم لما ماتت ربيعة خاتون وقعت العالمة المذكورة في المصادرات وحُبست مدة ثم أُفرج عنها، وتزوجها الأشرف صاحب حمص وسافرت معه إلى الرحبة وتل باشر، ثم توفيت رحمها الله تعالى في سنة ثلاث وخمسين وستمئة، ووُجد لها بدمشق جواهر وذخائر نفيسة تقارب ستمئة ألف درهم، غير الأملاك والأوقاف....

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٢.

(٢) لا أثر لها اليوم.

- المدرسة المسمارية[1] [٥٤٦هـ]:

قبلي القيمرية الكبرى، داخل دمشق.

قال عز الدين: بالقرب من مأذنة فيروز، واقفها الشيخ مسمار رحمه الله تعالى.

وقال الأسدي؛ في تاريخ ابن عساكر؛ الحسن بن مسمار الهلالي الحوراني المقرئ التاجر، قرأ بالروايات، وسمع الحديث، ورحل إلى بغداد وسمع بها من أبي القاسم بن حصين، وكان يصلي بجامع دمشق بحلقة الحنابلة صلاة التراويح، ويقرأ فيها بعدة روايات يخلطها ويردد الحرف المختلف فيه، فأنكر ذلك عليه، وقالوا هذا مذهب ترتيب النظم في القرآن الكريم، وكان مثرياً مقتراً على نفسه، بلغني أنه أوصى عند موته بإخراج جملة من زكاة ماله اجتمعت عليه من سنين عديدة على مدة حتى أمر بإخراجها، توفي رحمه الله يوم الأحد سادس شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمئة.

وقال في تاريخه في سنة ست وستمئة: الوجيه بن المنجا أسعد بن المنجا بن بركات بن المؤمل القاضي أبو المعالي وجيه الدين، ويقال في أبيه أبو المنجا التنوخي المصري الأصل الفقيه الحنبلي، وُلِد سنة تسع عشرة وخمسمئة، وارتحل إلى بغداد وبها تفقّه، وبرع بالمذهب....

قال الذهبي: ومن أجله بنى الشيخ مسمار المدرسة ووقفها عليه، وله شعر حسن، وفي ذريته علماء وأكابر.

وقال غيره: كُفَّ بصره في آخر عمره، توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول، ودفن بسفح قاسيون، ومن تصانيفه: الكفاية في شرح الهداية، في بضعة عشر مجلداً، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: وفيها فروع ومسائل كثيرة غير معروفة في المذهب، والظاهر أنه كان ينقلها عن كتب

---

(١) تم ترميمها منذ وقت ليس بالبعيد.

غير الأصحاب ويخرّجها على ما يقتضيه المذهب عنده، ومنها: الخلاصة في الفقه، مجلد، والعمدة في الفقه، أصغر منه....

- المدرسة المنجائية [٦٤٠هـ]:

وهي زاوية بالجامع الأموي تعرف بابن منجا، قاله ابن شداد....

قال في العبر في سنة خمس وتسعين وستمئة: وابن المنجا العلّامة زين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي الدمشقي الحنبلي، أحد من انتهت إليه رئاسة المذهب وأصوله مع التبحر في العربية والنظر والبحث، وكثرة الصلاة والصيام والوقار والجلالة، روى عن ابن المقير حضوراً، ومات في شعبان عن أربع وستين سنة.

وقال ابن مفلح في طبقاته: منجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي، الفقيه الأصولي المفسر النحوي، زين الدين أبو البركات بن عز الدين بن القاضي وجيه الدين المذكور، حضر على أبي الحسن بن المقير وجعفر الهمذاني وغيرهما، وتفقّه على أصحاب جده وأصحاب الشيخ موفق الدين، وقرأ الأصول على كمال الدين التفليسي، والنحو على ابن مالك، وبرع في ذلك كله، وأفتى وصنّف وناظر، وانتهت إليه الرئاسة لمذهبه بالشام، وله تصانيف، منها: شرح المقنع، وجلس في الجامع للاشتغال والفتوى نحو ثلاثين سنة متبرعاً، وكان حسن الأخلاق معروفاً بالذكاء وصحة الفهم، وسُئل الشيخ جمال الدين بن مالك عن شرح الألفية، فقال: شرحها لكم ابن المنجا، درّس بعدة مدارس... توفي رحمه الله تعالى يوم الخميس رابع شعبان سنة خمس وتسعين وستمئة بدمشق....

فصل

مدارس الطب

- المدرسة الدخوارية[1] [٦٢١هـ]:

بالصاغة العتيقة، بقرب الخضراء، قبلي الجامع الأموي.

أنشأها مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار، في سنة إحدى وعشرين وستمئة، بالصاغة العتيقة كما تقدم، أول من درَّس بها واقفها....

قال الذهبي في تاريخ العبر فيمن مات سنة ثمان وعشرين وستمئة: والمهذب الدخوار عبد الرحيم بن علي بن حامد الدمشقي، شيخ الطب وواقف المدرسة التي بالصاغة العتيقة على الأطباء، وُلِد سنة خمس وستين وخمسمئة... انتهت إليه معرفة الطب، وصنَّف فيه التصانيف، وحظي عند الملوك، ولما جاوز سن الكهولة عرض له طرف خرس حتى بقي لا يكاد يُفهم كلامه، واجتهد في علاج نفسه فما أفاد، بل ولَّد له أمراضاً، وكان يشتغل إلى أن مات في صفر ودُفن بتربة....

وقال ابن كثير في تاريخه في سنة ثمان وعشرين المذكورة: الدخوار الطبيب واقف الدخوارية، مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف

---

(١) اندثرت أواخر عصر المماليك.

بالدخوار، شيخ الأطباء بدمشق، وقد وقف داره بدرب العجل بالقرب من الصاغة العتيقة على الأطباء بدمشق مدرسة لهم، وكانت وفاته من هذه السنة في صفر، ودُفن بسفح قاسيون، وعلى قبره قبة على أعمدة في أصل الجبل شرقي الركنية، وقد ابتُلي بستة أمراض متعاكسة، منها ريح اللقوة، وكان مولده سنة خمس وستين وخمسمئة، وكان عمره ثلاثاً وستين....

- المدرسة الدُّنَيْسرِيَّة [٦٨٠هـ]:

غربي باب البيمارستان النوري والصلاحية، بآخر الطريق من قبله.

قال الذهبي في العبر في سنة ست وثمانين وستمئة: عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عباس بن أحمد الربعي، الرئيس الطبيب الحاذق، وُلِد بدنيسر سنة ست، وسمع بمصر علي بن مختار وجماعة، وتفقَّه للشافعي، وصحب البهاء زهير مدة وتأدَّب به، وصنَّف، وقال الشعر، وبرع في الطب، توفي في ثاني صفر....

وقال الصفدي في تاريخه في المحمدين: عماد الدين الدنيسري الطبيب الشافعي، محمد بن العباس بن أحمد بن صالح، الحكيم البارع عماد الدين الربعي الدنيسري، وُلِد بدنيسر سنة خمس أو ست، وقرأ الطب حتى برع فيه، وسار وسمع الحديث بالديار المصرية من علي بن مختار العامري وعبد العزيز بن باقا والحسن بن دينار وابن المقير، وصحب البهاء زهير مدة وتخرَّج به في الشعر والأدب، وتفقَّه على مذهب الشافعي، وصنَّف في الطب: المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة، وأرجوزة في الترياق الفاروق، وأرجوزة نظم المقدمة المعروفة لأبقراط، وكتاب في المثروديطوس، وغير ذلك، ثم سافر من دنيسر ودخل مصر، ورجع إلى الشام، وخدم بالقلعة الدولة الناصرية، ثم خدم بالبيمارستان الكبير، وكان أبوه خطيباً بدنيسر، سمع من قاضي القضاة نجم الدين ابن صَصْرى والموفق ابن أبي أُصيبعة والبرزالي، وتوفي سنة ست وثمانين وستمئة....

- المدرسة اللبودية النجمية[1] [٦٦٤هـ]:

قال القاضي عز الدين: مدرسة خارج البلد، ملاصقة لبستان الفلك المشيري، أنشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي في سنة أربع وستين وستمئة.

وقال وَلَد المؤلف هو الشيخ محيي الدين يحيى: وفي سنة تسع وأربعين وتسعمئة أقامها جديدة بعد أن صارت تل تراب وجعلها مسجداً برسم تأديب الأطفال: قاضي القضاة محمد بك الرومي الحنفي، قيل بأنه من مماليك مولانا السلطان بايزيد بن عثمان جد سلطاننا الآن السلطان سليمان نصره الله تعالى، وفتحها وجعل لها شيخاً يؤدب الأطفال....

قال الذهبي في تاريخه العبر فيمن مات سنة إحدى وعشرين وستمئة: وابن اللبودي شمس الدين محمد بن عبد الله الدمشقي الطبيب، قال ابن أبي أصيبعة: كان علّامة وقته وأفضل أهل زمانه في العلوم الحكمية، وكان له ذكاء مفرط وحرص بالغ، توفي في ذي القعدة، ودُفن بتربته في طريق المزة. قلت: ولعلها تربة حمام الفلك....

قال ابن أبي أصيبعة: أفضل أهل زمانه، سافر إلى العجم، واشتغل على النجيب أسعد الهمداني، وله مجلس الاشتغال، خدم الظاهر غازي بحلب المحروسة، ثم قدم بعد موته إلى دمشق، توفي سنة إحدى وعشرين وستمئة وله من العمر إحدى وخمسون سنة، وله من التصانيف: الرأي المعتبر في معرفة القضاء والقدر، وشرح الملخص للإمام فخر الدين، ورسالة في وجع المفصل، وشرح فصول أبقراط، وشرح مسائل حنين بن إسحاق، وهو والد الصاحب نجم الدين اللبودي... وقال ابن أبي أصيبعة في سنة سبعين: نجم الدين يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن اللبودي، واقف اللبودية التي عند حمام الفلك، المبرز على الأطباء، ولديه فضيلة بمعرفة الطب، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق، مات ودُفن بتربته عند اللبودية....

---

(١) كانت تقع قرب مستشفى المجتهد اليوم.

فصل

الخوانق[1]

- الخانقاه الأسدية[2] [٦٥٠هـ]:

بدرب الوزير[3]، قاله ابن شداد.

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الروضتين: والخانقاه الأسدية داخل باب الجابية بدرب الهاشميين، إنشاء أسد الدين شيركوه الكبير منشئ المدرسة الأسدية بالشرف القبلي ظاهر دمشق المطلة على الميدان الأخضر، وقد مرت ترجمته فيها في مدارس الشافعية ونبَّهنا عليها في مدارس الحنفية، فإن المدرسة هذه مشتركة بين الفريقين....

- الخانقاه الإسكافية[4] [٦٥٠هـ]:

أنشأها شرف الدين محمد بن الإسكاف على نهر يزيد بسفح قاسيون، قاله القاضي عز الدين بن شداد.

---

(١) مفردها خانقاه، وهي كلمة فارسية تتألف من لفظين: خانه بمعنى دار، وكَاه وهي لاحقة تفيد المكانية، فتأتي بمعنى البيت، وجُعلت لخلوة الصوفية فيها لعبادة الله تعالى، وظهرت في الإسلام في القرن الهجري الخامس تقريباً.

(٢) لا أثر لها اليوم.

(٣) عند سوق القطن اليوم.

(٤) لا أثر لها اليوم.

- الخانقاه الأندلسية المشهورة[1] [٦٥٠هـ]:

شرقي العزيزية والأشرفية، داخل الكلّاسة، لصيق الجقمقية غربي السميساطية.

قال بعضهم: وقفها مختلط.

وقال ابن شداد: الخانقاه المعروفة بأبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الأندلسي، قبالة السميساطية....

- الخانقاه الباسطية[2] [٨٣٦هـ]:

بالجسر الأبيض، غربي المدرسة الأشعرية، وشمالي الخانقاه العزية.

أنشأها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل، ناظر الجيوش الإسلامية والخوانق والكسوة الشريفة، وكانت هذه الخانقاه داراً له، فلما نزل السلطان الملك الأشرف برسباي إلى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمئة، خاف من نزول العسكر بها، فجدَّد لها محراباً وأوقفها، ثم اجتمع بها السلطان، وعظم شأنه عنده، وصار الحل والعقد بيده، ولا يبرم الأشرف المذكور أمراً إلا برأيه، وشرع في عمارة بلاد السلطان، فزاد متحصّلها بذلك، وكان سعيد الحركات، لم يصل أحد من المباشرين إلى ما وصل إليه، عمَّر المدارس بالحرمين والقدس وبمصر... وبدمشق بالصالحية، ووقف على ذلك كله أوقافاً حسنة جيدة، ورتّب في الركبين الموفودين المصري والشامي سحابتين وما يحتاجان إليه من الجمال والرجال وغير ذلك، وهما خيمتان كبيرتان على صفة الجملون برسم الفقراء والمساكين... وتوفي بمصر ثاني شوال سنة أربع وخمسين وثمانمئة، وقد قارب الستين سنة، وصلّي عليه بدمشق صلاة الغائب....

---

(١) لا أثر لها اليوم، أو أنها تحولّت إلى دار من الدور الموجودة هناك.

(٢) لا أثر لها اليوم.

- الخانقاه الحسامية[1] [٥٨٥هـ]:

شمالي المدرسة الشبلية البرانية، عند جسر كحيل[2].

قال ابن شداد: منسوبة لأم حسام الدين بن عمر بن لاجين، وهي بنت أيوب ست الشام أخت السلطان الملك الناصر صلاح الدين، خارج دمشق بالشرف القبلي. وقوله بالشرف القبلي خطأ وصوابه ما قدمناه.

وقال ابن كثير في تاريخه في سنة سبع وثمانين وخمسمئة: الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، وأمه ست الشام بنت أيوب واقفة الشامية الجوانية والشامية البرانية بدمشق، توفي ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان، ففجِع السلطان بابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه صاحب المدرسة التقوية وبابن أخته في ليلة واحدة، فقد كانا من أكبر الأعوان وأعز الإخوان، ودُفن حسام الدين بالتربة الحسامية، وهي التي أنشأتها أمه بمحلة العوينة، وهي الشامية البرانية....

- الخانقاه الخاتونية[3] [٥٧٥هـ]:

ظاهر باب النصر المعروف الآن بباب دار السعادة، في أول الشرف القبلي، على بانياس، وهي شرقي جامع دنكز ولصيقه، وبابها يُفتح للقبلة.

قال ابن شداد: منسوبة إلى خاتون بنت معين الدين أنر، تزوجت نور الدين الشهيد. وقد مرت ترجمتها في المدرسة الخاتونية الجوانية....

- الخانقاه الدويرية[4] [دويرة حمد ٤٠٠هـ]:

المعروفة بدويرة حمد، بدرب السلسلة بباب البريد، قاله بن شداد.

---

(١) لا أثر لها اليوم.

(٢) قرب تربة العفيف، وهي الأخرى اندثرت.

(٣) لا أثر لها اليوم.

(٤) لا أثر لها اليوم، وتعد أول مكان للتعليم (مدرسة) في دمشق.

وقال الأسدي في تاريخه في سنة إحدى وأربعمئة: حمد صاحب الدويرة بباب البريد، حمد بن عبد الله بن علي أبو الفرج الدمشقي المقري المعدَّل، من جملة عدول البلد، وهو صاحب دويرة حمد بباب البريد.

حكى عنه محمد بن عوف الترسي؛ قال هبة الله الأكفاني في سنة إحدى وأربعمئة: وُجد حمد وزوجته مذبوحين وصبي قرابته في داره بباب البريد، حكاه الذهبي.

ومن وقفها الحصة وهي النصف شائعاً من جنينة بني وهبان بالطريق الوسطاني الآخذ إلى المزة، ومنه أيضاً النصف كذلك من البستان المعروف بالصوفية من أرض اللوان بالمزة أيضاً، ومنه أيضاً نظير الحصة المذكورة وهي النصف شائعاً كذلك من البستان المعروف بدفوف الأصابع بالمزة أيضاً، ومنه أيضاً جميع قرار أرض البستان المعروف بحسين الآمدي بالمزة أيضاً، ومنه أيضاً جميع الحصة وهي أحد عشر سهماً ونصف سهم من أربعة وعشرين سهماً وهي الربع والسدس ونصف الثمن شائعاً من المزرعة المعروفة بالعصامية بزقاق الماء بالمزة، ومنه سهم واحد من أربعة وعشرين سهماً شائعاً من البستان المعروف بالقاطوع بالمزة أيضاً، ومنه نظير الحصة المذكورة من الجنينة قرب القاطوع المذكور وتعرف بجنينة فاطمة، يفصل بينهما نهر داريا والمزة جوار طاحون السيفي منخاص، ومنه أيضاً نظير الحصة المذكورة شائعاً من الجنينة الملاصقة لحمَّام العوافي بالمزة أيضاً، ومنه الحصة الشائعة وهي سهم واحد من أربع وعشرين سهماً من قرار أرض الجنينة المعروفة باللحام بحارة صلاح بالمزة....

- الخانقاه الروزنهارية[1] [٦٢٠هـ]:

بالبرج المستجد، خارج باب الفراديس الأول، والتربة به.

---

(١) تحولت اليوم إلى مكان للاستثمار، ومن ذلك أنها صارت معملاً للحلويات !!.

قال ابن كثير في سنة عشرين وستمئة: الشيخ أبو الحسن الروزنهاري، توفي ودُفن بالمكان المنسوب إليه بين السورين عند باب الفراديس.

وقال الأسدي في تاريخه رحمه الله تعالى في سنة عشرين وستمئة: أبو الحسن الروزنهاري المدفون خارج باب الفراديس الأول في البرج المستجد، قاله أبو شامة رحمه الله تعالى.

وقال الذهبي: المدفون بالبرج الذي على يمين باب الفراديس بالخانقاه الروزنهارية. والله تعالى أعلم.

- الخانقاه السميساطية[1] [٤٥٣هـ]:

... نسبة للسميساطي أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبشي، من أكابر الرؤساء بدمشق... وتوفي أبو القاسم يوم الخميس بعد صلاة العصر العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة بدمشق، ودُفن من الغد في داره بباب الناطفانيين التي وقفها على فقراء الصوفية، وقف علوها على الجامع، ووقف أكثر نعمه على وجوه البر.

وكان فيما قال ابن الأثير: مقدماً في الهندسة وعلم الهيئة، كذا ذكره ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه.

وسميساط: قلعة على الفرات بين قلعة الروم وملطية.

وقال الذهبي في سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة: وأبو القاسم السميساطي، واقف الخانقاه علي بن محمد بن يحيى السلمي الدمشقي، روى عن عبد الوهاب الكلابي وغيره، وكان بارعاً في الهندسة والهيئة، صاحب حشمة وثروة واسعة ومروءة وافرة، عاش ثمانين سنة... وكانت هذه الخانقاه دار عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبي الأصبغ الأموي لأمير المؤمنين وابنه عمر رضي الله عنه ولي عهد أمير المؤمنين بعد أخيه عبد الملك بعهد مروان إن صححنا خلافة مروان فإنه

---

(١) وهي باقية اليوم.

خارج على ابن الزبير رضي الله عنهما، ثم انتقلت هذه الدار بعده إلى ابنه عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، وذلك مكتوب على عتبة الباب إلى اليوم... ولما قدم أبو القاسم المذكور أي السميساطي دمشق، سكن بدرب الخزاعية، وإليه كان يفتح باب هذه الدار وعُرف الدرب به، اشترى هذه الدار وبنى بها الصفة القبلية وجنبها لا غير وباقيها ساحة.

قال ابن شداد: الخانقاه السميساطية منسوبة إلى أبي القاسم السميساطي، ولما ملك تاج الدولة تتش سألوه أن يفتح لها باباً في دهليز الجامع، فأذن لهم، ففتح حيث هو الآن، ثم عمرت....

- الخانقاه الشومانية[1] [القرن السادس أو السابع الهجري]:

قال ابن شداد رحمة الله تعالى: أنشأها شومان ظهير الدين، وهو أحد مماليك بني أيوب.

- الخانقاه الشهابية[2] [٦٧٠هـ]:

داخل باب الفرج، غربي العادلية الكبرى، وشمالي المعينية....

قال ابن كثير في تاريخه رحمه الله تعالى في سنة سبع وسبعين وستمئة: أيدكين بن عبد الله الأمير الكبير علاء الدين الشهابي، واقف الخانقاه الشهابية داخل باب الفرج، كان من خيار الأمراء بدمشق، وقد ولّاه الظاهر النيابة بحلب المحروسة مدة، وكان من خيار الأمراء وشجعانهم، وله حُسن ظن بالفقراء والإحسان إليهم، توفي رحمه الله تعالى في خامس عشر شهر ربيع الأول وهو في عشر الخمسين، ودُفن بتربة الشيخ عماد الرومي بسفح قاسيون، وكان للخانقاه شباك إلى الطريق الشهابي نسبة إلى الطواشي شهاب الدين رشيد الكبير الصالحي....

---

(١) ولا أثر لها اليوم.

(٢) لا أثر لها اليوم.

- **الخانقاه الشبلية [٦٢٣هـ[1]]:**

قال ابن شداد: أنشأها شبل الدولة كافور المعظمي بسفح قاسيون. وقد مرت ترجمته في مدرسة الشبلية البرانية....

- **الخانقاه الشنباشية[2] [٦٥٠هـ]:**

بحارة البلاطة[3]، تعرف بأبي عبد الله الشنباشي، قاله ابن شداد في كتابه الأعلاق.

- **الخانقاه الشريفية[4] [٦٦٠هـ]:**

تجاه الهروية التي هي شرقي دار الحديث الأشرفية، ولصيق المدرسة الطومانية، شرقي باب قلعة دمشق، وغربي العادلية الصغرى.

بها تربة واقفها السيد الحسيني شهاب الدين أحمد بن السيد شمس الدين محمد المعروف بابن الفقاعي، وكان يتردد إليها الفقراء والآفاقية، كذا رأيته، ولم أر لها كتاب وقف ولا متى بُنيت، ولها دار قرآن أو زاوية.

وتُحتمل أن تكون مدرسة، لقول ابن شداد: أول من درّس بها رشيد الدين الفارقي أيضاً، وهو مستمر بها إلى الآن.

وقْفُها بمدينة حمص عدة حوانيت تجار، ومزرعة ناب بحوران، ووقف عليها أيضاً أحد أولاده الثلاثة السيد محمد ثلث قرية عربيل، وغير ذلك.

---

(١) لا أثر لها اليوم، وقد وجد سوفاجيه بقايا نقش نص تأسيسها، وفيه أنها تأسست سنة ٦٢٣هـ، وهو تاريخ وفاة شبل الدولة كافور.

(٢) لا أثر لها اليوم.

(٣) تعرف اليوم بزقاق المحكمة.

(٤) صار مكانها اليوم محلات تجارية !!.

- الخانقاه المعروفة بخانقاه الطاحون [القرن السادس الهجري]:

خارج البلد.

قال ابن شداد: هي منسوبة للسلطان نور الدين محمود بن زنكي بالوادي. وقد مرت ترجمته مختصرة في المدرسة الصلاحية ومطوّلة في المدرسة النورية الكبرى.

قال الذهبي في العبر في سنة تسع وتسعين وستمئة: الشيخ سعيد الكاساني الفرغاني شيخ خانقاه الطاحون....

- الخانقاه الطواويسية[1] [٥٠٤هـ]:

قال ابن شداد: منسوبة لدقاق أو لابنه. وقال في كلامه على المساجد التي خارج دمشق: مسجد كبير فيه قبر الملك دقاق في قبة معروفة بقبة الطواويس بالشرف الأعلى، وفي الرباط بيت أم دقاق.

وقال الذهبي في سنة سبع وتسعين وأربعمئة: توفي دقاق شمس الملوك أبو نصر بن تاج الدولة تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي صاحب دمشق، وهو دقاق بن تاج الدولة أبو سعيد تتش بن السلطان الكبير عضد الدولة أبي شجاع ألب أرسلان بن الملك جغري بك؛ وهو داود بن ميكائيل بن سلجوق بن فقاق بن سلجوق التركي وهو السلجوقي، وفقاق بالتركي قوس جيد، وهو أول من دخل في دين الإسلام، وألب أرسلان أول من قيل له السلطان على منابر بغداد، والله أعلم. ثم قال الذهبي: ولي دقاق دمشق بعد أبيه عشر سنين، ومرض مدة ومات في شهر رمضان من هذه السنة، وقيل سمُّوه في عنب، ودُفن بخانقاه الطواويس، وقام أتابكه طغتكين في السلطنة.

---

(١) كانت قائمة سنة ١٩٣٠م، ثم هُدمت وبني مكانها مقهى الهافانا وسينما الأهرام وأبنية تجارية !!، وقد أطلق اسمها-علي الجامع المقابل، جامع الطاووسية.

وقال [الذهبي] في سنة ست وعشرين وستمئة: وفيها أخلى الملك الكامل البيت المقدس، وسلّمه إلى الأنبرور ملك الفرنج قبَّحه الله تعالى، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فكم بين من طهّره من الشرك وبين من أظهر الشرك عليه، ثم أتبع فعله ذلك بحصار دمشق وأذية الرعية، وجرت بينه وبين عسكر الناصر وقعات، وقتل جماعة في غير سبيل الله، ونهبوا في الغوطة والحواضر، وقد أُحرقت الخانات وخانقاه الطواويس وخانقاه خاتون، ودام الحصار أشهراً....

- الخانقاه العزية[1] [٦٩٥هـ]:

بالجسر الأبيض، قبلي دار عبد الباسط، وغربي الماردانية ومدرسة الخواجا إبراهيم الأسعردي بغرب.

قال ابن شداد: خانقاه على نهر ثورا، إنشاء الأمير عز الدين أيدمر الظاهري ونائب السلطنة بالشام. ووقفُها كما رأيته في مصادقة بين بهاء الدين الباعوني وولده البقاعي إبراهيم، وملخصها: أن التربة العزية بصالحية دمشق بالجسر الأبيض والمسجد بها والرباط والوقف على ذلك الحصة وقدرها إحدى وعشرون قيراطاً من قرية دسَيّى الدال المهملة ثم سين مهملة مفتوحة ثم ياء تحتانية مشددة ثم ألف مقصورة، وهي من وادي بردى، وجميع الخان بمحلة باب الجابية المعروف بخان العميان الذي حده من القبلة خان ابن حجي ومن الشرق البايكة من جملة أوقاف التوريزي وتمامه الدخلة، وفيه الباب قبلي تربة الجيهان، ومن الشام أملاك الحمصاني ومن شركه، ومن الغرب الخان المعروف قديماً بابن الحارة ويومئذ بخان المراءة، وجميع الفرن المعروف قديماً بوقف التربة المذكورة، والله تعالى أعلم.

---

(١) لا أثر لها اليوم، وأُقيمت مكانها أبنية.

- خانقاه القصر[1] [٥٢٨هـ]:

مطلة على الميدان[2]، إنشاء شمس الملوك، قاله ابن شداد....

- الخانقاه القصاعية [٥٩٣هـ[3]]:

بالقصاعين[4].

قال ابن شداد: إنشاء خاتون ابنة خطلجي. وقد أخبرني ناظرها وعاملها بأن اسمها فاطمة....

- الخانقاه الكججانية[5] [٧٦١هـ]:

ظاهر دمشق، بالشرف الأعلى، بين الخانقاه المعروفة بالطواويس والمدرسة العزية البرانية الحنفية.

قال الحافظ السيد الحسيني في ذيل العبر لشيخه الذهبي في سنة إحدى وستين وسبعمئة: وفي هذا العصر أنشئت الخانقاه الكججانية بالشرف الأعلى جوار خانقاه الطواويس ظاهر دمشق. زاد الأسدي بخطه من الهامش: وكانت دار الأمير بلاط، وقد تهدمت وخربت. ورأيت بخطه على ظهر سنة ست وعشرين وثمانمئة: الكججانية البرانية وقف إبراهيم الكججاني رحمه الله تعالى، في شهور سنة أربع وأربعين وسبعمئة.

---

(١) لا أثر لها اليوم فيما نعلم.

(٢) الميدان الأخضر المطل على التكية السليمانية.

(٣) لا أثر لها اليوم، وذكر ابن شداد أنه قرأ تاريخ وقفها منقوشاً على صخرة فوق باب المدرسة القصاعية لفاطمة نفسها، وهو سنة ٥٩٣هـ.

(٤) داخل باب الجابية.

(٥) لا أثر لها اليوم.

- الخانقاه المجاهدية[1] [٦٥٢هـ]:

قال ابن شداد رحمه الله تعالى: منسوبة لمجاهد الدين إبراهيم أخي زين الدين أحمد أمير خازندار الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل، كانت على الشرف القبلي.

وقال الأسدي في تاريخه سنة ست وخمسين وستمئة؛ قال ابن عساكر: وفيها فتح المجاهد إبراهيم المكان الذي جدده بالشرف القبلي، وجعله خانقاهاً للصوفية، وقرر فيه عشرين صوفياً، وهو مستمرض، وتوفي رحمه الله تعالى في هذه السنة، وهو إبراهيم بن أرينا الأمير مجاهد الدين أمير خزندار الملك الصالح نجم الدين أيوب، وولي ولاية دمشق ونيابة القلعة في أيام الملك الصالح أيوب، توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول من هذه السنة، ودُفن بخانقاهه، ثم ذكر أبياتاً من شعره....

- الخانقاه النجيبية[2] [٦٧٧هـ]:

ويقال لها النجيبية البرانية وخانقاه القصر؛ لكونها بحارته، وهي مطلة على الميدان[3].

إنشاء النجيبي جمال الدين آقوش الصالحي النجمي، وقد مرت ترجمته في المدرسة النجيبية داخل دمشق....

وقال ابن كثير في تاريخه في سنة سبع وسبعين وستمئة: وفي العشر الأول من ذي القعدة فُتحت المدرسة النجيبية، إلى أن قال: وفُتحت الخانقاه النجيبية، وقد كانت أوقافهما تحت الحوطة إلى الآن....

---

(١) كانت تقع مكان مشافي الجامعة اليوم.

(٢) لا أثر لها اليوم.

(٣) أي عند القصر الأبلق (التكية السليمانية اليوم) والميدان الأخضر.

- الخانقاه النحاسية[1] [٨٦٢هـ]:

والتربة بها، غربي الذهبية، وشمالي حمام شجاع، بطرف مقبرة الفراديس.

أنشأها الخواجا الكبير شمس الدين بن النحاس الدمشقي، توفي بجدة من أعمال الحجاز في شهر رجب سنة اثنتين وستين وثمانمئة، وترك أموالاً وأولاداً، رحمه الله تعالى.

- الخانقاه النجمية[2] [٥٦٠هـ]:

بنواحي باب البريد.

قال ابن شداد: أنشأها نجم الدين أيوب والد صلاح الدين يوسف، تُعرف بالشيخ صدر الدين البكري المحتسب بدرب قطمطة.

قال أبو شامة رحمه الله تعالى في سفر نجم الدين أيوب إلى عند ولده صلاح الدين يوسف إلى مصر، قلت: ووقف رباطاً داخل الدرب الذي بقرب العوينية بباب البريد.

[ترجمة نجم الدين أيوب والد صلاح الدين]

وقال الذهبي في العبر في سنة ثمان وستين وخمسمئة: وأيوب بن شاذي الأمير نجم الدين الدويني، والد الملوك، وهم: صلاح الدين يوسف وسيف الدين وشمس الدولة وسيف الإسلام وشاهنشاه وتاج الملوك بوري وست الشام وربيعة خاتون، وأخو الملك أسد الدين، شبَّ به فرسه فحُمل به إلى داره، ومات بعد أيام في ذي الحجة، وكان يُلقّب بالأجل الأفضل، ودُفن عند أخيه، ثم نُقل سنة تسع وسبعين إلى المدينة النبوية، وأول ما ولي نجم

---

(١) لا تزال قائمة، وقريب منها قبر أبي شامة المقدسي صاحب الروضتين، ورأيناه بحالة مزرية.

(٢) لا أثر لها اليوم.

الدين ولاية قلعة تكريت بعد أبيه لصاحبها الخادم بهروز نائب بغداد، ثم غضب بهروز عليه بسبب أخيه أسد الدين، فقصد أتابك زنكي، فاستخدمهما، فلما ولي بعلبك بها استناب نجم الدين، فعمَّر بها الخانقاه الكبيرة وغيرها، وكان ديِّنا عاقلاً كريماً.

وقال الأسدي في تاريخه المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبي وتاريخ ابن كثير في سنة ثمان وستين وخمسمئة: الأمير نجم الدين أيوب، وهو أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الأمير نجم الدين أبو الشكر الكردي الدويني، والد الملوك، كان أبوه من أهل دوين ومن أبناء أعيانها، وبها وُلِد أيوب، وكان أسن من أخيه شيركوه، وكان شاذي صديقاً لكمال الدولة بهروز، فلما ولي بهروز نيابة بغداد استصحب معه شاذي وأولاده، ثم أعطاه السلطان قلعة تكريت، فإنه لم يثق بأمرها سوى شاذي، فأرسله إليها، فأقام بها مدة إلى أن توفي بها، ثم تولى عليها ولده نجم الدين، فقام في أمر القلعة أحسن قيام، فشكره بهروز وأحسن إليه، ثم وقع من شيركوه ما أوجب أن بهروز كتب إليه: لستما على حق، وأشتهي أن تخرجا من بلدي، فخرجا إلى الموصل، فأحسن إليهما أتابك زنكي وأكرمهما، وفي ليلة خروجهما من القلعة وُلِد صلاح الدين يوسف، فتشاءما به، فلما ملك زنكي بعلبك استناب بها نجم الدين أيوب، ووليها لنور الدين أيضاً قبل أن يستولي على دمشق، فوُلِد له بها الملك العادل أبو بكر، وعمَّر بها خانقاهاً للصوفية، ولما توجه أخوه أسد الدين إلى مصر وغلب عليها كان نجم الدين في خدمة نور الدين بدمشق، فلما ولي الوزارة صلاح الدين سيَّره نور الدين إلى ابنه صلاح الدين، فدخل القاهرة في رجب سنة خمس وستين، وخرج العاضد للقائه، وترجَّل ولده في ركابه، وكان يوماً مشهوداً، ولما خرج صلاح الدين لحصار الكرك خرج نجم الدين في بعض الأيام من باب النصر، فشبَّ به فرسه فرماه، فحُمل إلى داره وبقي تسعة أيام، ومات في ذي الحجة، ودُفن إلى جانب أخيه أسد الدين بالدار، ثم نُقلا إلى المدينة الشريفة في سنة تسع وسبعين، ودُفنا بتربة الوزير جمال الدين الجواد.

وكان نجم الدين رجلاً خيِّراً مباركاً، كثير الصدقات سمحاً، وافر العقل قليل الكلام جداً لا يتكلم إلا عن ضرورة، وكان يُلقب بالأجل الأفضل... وله بمصر خانقاه ومسجد وقناة خارج باب النصر، وله بدمشق خانقاه بباب البريد....

- **الخانقاه الناصرية [القرن السادس أو السابع الهجري]:**

أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن أيوب بجبل قاسيون مجاورة تربته على نهر يزيد قاله ابن شداد رحمه الله تعالى، وقد مرت ترجمته في دار الحديث الناصرية، رحمهم الله تعالى.

- **الخانقاه الناصرية [القرن السادس الهجري]:**

قال ابن شداد رحمه الله تعالى: منسوبة إلى الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان، بدرب خلف قاسارية الصرف، كانت داره لما كان والياً بدمشق....

[ترجمة صلاح الدين الأيوبي]

وقد مرت له ترجمة من كلام الذهبي في المدرسة الصلاحية مختصرة، وهذه ترجمته هنا ملخصة من تاريخ الإسلام له، وتاريخَي ابن كثير والصفدي، وغيرهما، وهي: السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف أبو المظفر بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني الأصل التكريتي المولد، ودوين بلدة من طرف أذربيجان من جهة إران والكرج، أهلها أكراد، قال ابن كثير: أصلهم أكراد من الأكراد الهذانية، وأنكر بنو أيوب النسبة إلى الأكراد، وقالوا: إنما نحن عرب نزلنا عند الأكراد وتزوجنا منهم....

قال الموفق عبد اللطيف: أتيت الشام وكان السلطان صلاح الدين بالقدس، فأتيته فرأيت ملكاً عظيماً علا العيون روعة والقلوب محبة، قريباً بعيداً مجيباً، وأصحابه يتشبّهون ويتسابقون إلى المعروف، وأول ليلة حضرته وجدت مجلساً محفوفاً بأهل العلم، يتذاكرون في أصناف العلوم، وهو يُحسن الإسماع والمشاركة، ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق، ويفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع، وكان مهتماً في بناء سور بيت المقدس وحفر خندقه، يتولى ذلك بنفسه ينقل الحجارة على عاتقه، ويتأسى به جميع الناس الأغنياء والفقراء والأقوياء والضعفاء، حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل، ويركب لذلك قبل طلوع الشمس إلى وقت الظهر، فيأتي داره فيمد السماط، ثم إنه يستريح ويركب وقت العصر، ويرجع في ضوء المشاعل، ويصرف أكثر الليل فيما يعمل نهاراً.

وكان يحفظ الحماسة ويظن أن كل فقيه يحفظها، فكان يُنشد القطعة فإذا توقف في موضع استطعم فلا يطعم، وجرى له ذلك مع القاضي الفاضل ولم يكن يحفظها، فخرج من عنده فلم يزل حتى حفظها.

ولما كان شحنة دمشق كان يشرب الخمر، فمذ باشر الملك طلق الخمر واللذات. وكان محبباً خفيفاً على قلب نور الدين يلاعبه بالكرة، وملّك مصر، وكانت وقعته مع السودان سنة بضع وستين، وكانوا نحو مائتي ألف، فانتصر عليهم وقتل أكثرهم وهرب الباقون. وابتنى سور القاهرة، وقطع خطبة العاضد بمصر وخطب للمستضيء ومات العاضد واستولى صلاح الدين على القصر وذخائره.

وفي سنة تسع وستين مات نور الدين، وافتتح أخوه شمس الدولة اليمن وقتل المتغلب عليها عبد النبي. وفي سنة سبعين سار من مصر وتملّك دمشق ودخلها يوم الإثنين سلخ شهر ربيع الأول، ولم ينتطح فيها عنزان ولا اختلف سيفان، فنزل في دار والده وهي دار العقيقي، وهي التي بنت مدرسة الملك الظاهر بيبرس،

وأحسن إلى أهل دمشق غاية الإحسان، وكان في القلعة إذ ذاك الطواشي جمال الدين ريحان الخادم، فلم يزل يكاتبه ويفعل له في الذروة والغارب حتى استماله وأجزل نواله، فسلّمها إليه ووفد عليه ومثل بين يديه، فأكرمه واحترمه وأحسن إليه، وأظهر أنه أحق بتربية ولد نور الدين لما له عليهم من الإحسان المتين، وذكر أنه خطب لنور الدين بديار مصر وضرب باسمه السكة.

ثم عامل الناس بالجميل، وأمر بوضع ما حدث بعد نور الدين من المكوس والضرائب في أيام ولده إسماعيل الصالح، وكان قاضي دمشق قاضي القضاة كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري، وتوفي في أول سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة، وكان من خيار القضاة وأخص الناس بنور الدين الشهيد، رحمهم الله تعالى.

وفي سنة ثلاثة وسبعين كسرته الفرنج على الرملة، وفي سنة خمس وسبعين كسرهم وأسر ملوكهم وأبطالهم، وفي سنة ست أمر ببناء قلعة القاهرة على جبل المقطم، وفي سنة ثمان عبر الفرات وفتح سنجار وسروج ونصيبين وآمد والرها وحران والرقة والبيرة، وحاصر الموصل، وملك حلب المحروسة، ثم حاصر الموصل ثانياً وثالثاً، وأنزل أخاه العادل عن قلعة حلب المحروسة وسلّمها لولده الملك الظاهر غازي وعمره إحدى عشرة سنة، وسيّر أخاه العادل إلى مصر ثانياً، وكان تقي الدين عمر بها فقدم الشام، وفي سنة ثلاث وثمانين فتح السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى طبرية ونازل عسقلان، وكانت وقعة حطين وكان الفرنج فيها أربعين ألفاً، فأخذهم عن بكرة أبيهم وأسر ملوكهم، وأخذ عكا وبيروت وقلعة كوكب والسواحل، وسار فأخذ القدس الشريف بالأمان بعد قتال ليس بالشديد، ودخل قراقوش التركي مملوك تقي الدين عمر المغرب فاستولى على أطرافها وكسر عسكر تونس وخطب لبني العباس، ثم إن الفرنج نازلوا عكا مدة طويلة، وكانوا مما لا يحصون كثرة، يقال بلغت جموعهم مئة ألف، ويقال ستمئة ألف، وقتل منهم مئة ألف، وتعب المسلمون واشتد الأمر وآل إلى أخذها.

قال عبد اللطيف: ومدة أيامه لم يختلف عليه أحد من أصحابه، وكان الناس يأمنون ظلمه ويرجون بره، وأكثر ما كان عطاؤه يصل إلى أهل العلم وأهل البيوتات، ولم يكن ليمطل، ولا لصاحب هزل عنده نصيب، وكان حسن الوفاء بالعهد، حسن القدرة إذا قدر، كثير الصفح، وإذا نازل بلداً وأشرفوا على أخذه ثم طلبوا منه الأمان أمَّنهم، فكان يتألم جيشه لذلك لفوات حظهم، وقد عاقد الفرنج وهادنهم عندما ضرس عسكره الحرب ومكر.

قال القاضي بهاء الدين بن شداد: قال السلطان في بعض محاورته في الصلح: أخاف أن أصالح وما أدري أي شئ يكون مني فتقوى يد العدو، وقد بقيت لهم بلاد فيُخرجون الاستفادة ما في أيدي المسلمين، ويرى كل واحد من هؤلاء - يعني أخاه ويعني أولاده وأولاد أخيه - قد قعد في رأس تلة - يعني قلعة - وقال لا أنزل ويهلك المسلمون، فكان والله كما قال، توفي رحمه الله تعالى عن قريب، واستقل كل واحد من أهل بيته بناحية، ووقع الخلف بينهم، فكان الصلح مصلحة، فلو قُدِّر موته والحرب قائمة لكان الإسلام على خطر.

وقال أبو المظفر بن الجوزي: حسب ما أطلعه مدة مقامه على عكا مرابطاً للفرنج إلى انتقاله كان معه اثنا عشر ألف رأس من الخيل العراب والأكاديش الجياد.

وقال المنذري: ومآثره رحمه الله تعالى في فتح بيت المقدس والاستيلاء على معاقل الفرنج وبلادها بالساحل مشهورة، ومكارمه فيما أرصده في وجوه البر بالديار المصرية والشامية مذكورة.

وقال ابن خلكان: قدم به أبوه وهو رضيع، فناب أبوه بعلبك لما أخذها الأتابك زنكي في سنة ثلاث وثلاثين، ثم خدم نجم الدين أيوب وولده صلاح الدين نور الدين الشهيد، فصيَّرهما أميرين، وكان أسد الدين أرفع منهما منزلة عنده، فإنه كان مقدم جيوشه، وولي صلاح الدين وزارة مصر وهي كالسلطنة في ذلك الوقت سنة أربع وستين، فلما هلك العاضد في أول سنة سبع استقل

بالأمر مع المداراة لنور الدين ومخادعته، إلى أن قال: وفي سنة ثلاث وثمانين افتتح بلاد الفرنج وقهرهم وأباد عساكرهم وأسر ملوكهم، وفتح القدس وعكا وطبرية وغير ذلك، وافتتح في هذا العام من الفتوحات ما لم يفتحه ملك قبله، فطار صيته في الدنيا وهابته الملوك، وبقي مرابطاً على عكا نحو من سنتين.

وكان متشرعاً في ملبسه ومأكله ومشربه ومركبه، فلا يلبس إلا الكتان والقطن والصوف، ولا يعرف أنه تخطى مكروهاً بعد أن أنعم الله تعالى عليه بالملك، وكان همه الأكبر نصر الإسلام، وكان عنده فضيلة تامة في اللغة والأدب وأيام الناس، قيل إنه كان يحفظ الحماسة بكاملها، وكان يفهم ما يقال بين يديه من البحث والمناظرة، ويشارك في ذلك مشاركة قريبة حسنة، وإن لم يكن بالعادة المصطلح عليها، وكان قد جمع له القطب أبو المعالي مسعود النيسابوري نزيل دمشق عقيدة، فكان يحفظها ويُحفِّظها من عقل من أولاده. وكان يحب سماع القرآن العظيم ويواظب على سماعه وسماع الحديث الشريف، وكان رقيق القلب سريع الدمعة عند سماعه، كثير التعظيم لشعائر الدين.

وكان قد لجأ إلى ولده الظاهر غازي وهو بحلب شاب يقال له الشهاب السهروردي، وكان يعرف الكيمياء وشيئاً من الشعوذة والأبواب النارنجيات، فافتتن به ولده وقرّبه وأحبه، وخالف فيه حملة الشرع، فكتب إليه أن يقتله لا محالة، فصلبه ولده عن أمر والده وشهره، ويقال إنه حبسه بين حائطين حتى مات كمداً، وذلك في سنة ست وثمانين.

وكان صلاح الدين رحمه الله تعالى مواظباً على الصلوات في أوقاتها في جماعة، يقال إنه لم تفته الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل حتى في مرض موته، وكان يدخل الإمام فيصلي به ويتجشم القيام مع ضعفه، واستهلت سنة تسع وثمانين وخمسمئة وهو في غاية الصحة والسلامة، وخرج هو وأخوه أبو بكر العادل معه إلى الصيد شرقي دمشق، وقد اتفق الحال بينه وبين أخيه العادل أنه بعدما قد يفرغ من أمر الفرنج هذه المدة يسير هو إلى بلاد الروم ويبعث أخاه إلى بغداد.

وكان همه الأكبر ومقصوده الأعظم نصر الإسلام وكسر الأعداء اللئام، ويُعمل فكره في ذلك ورأيه وحده ومع من يثق به وبرأيه ليلاً ونهاراً سراً وجهراً، فإذا فرغا من شأنهما سارا جميعاً إلى بلاد أذربيجان وبلاد العجم، فإنه ليس دونهما أحد يمانع عنها ولا يصدهم.

ولما قدم الحجيج من الحجاز الشريف في يوم الإثنين حادي عشر صفر منها، خرج لتلقيهم، وكان معه ولد أخيه سيف الإسلام صاحب اليمن، فأكرمه والتزمه واحترمه، وعاد إلى القلعة المنصورة، فدخلها من باب الحديد، وكان ذلك آخر ما ركب في هذه الدنيا، ثم إنه اعتراه حمّى صفراوية ليلة السبت سادس عشرة، فلما أصبح دخل عليه القاضي وابن شداد وابنه الأفضل، فأخذ يشكو إليهم كثرة قلقه البارحة، وطاب له الحديث وطال مجلسهم عنده، ثم تزايد به المرض واستمر، وفصده الأطباء في اليوم الرابع، فاعترّاه يبس، وحصل له عرق شديد بحيث نفذ إلى الأرض، فقوي اليبس أيضاً، فأحضر الأمراء والأكابر والرؤساء، فبويع الأفضل نور الدين علي، وكان نائباً على ملك دمشق، وذلك عندما ظهرت مخايل الضعف الشديد وغيبوبة الذهن في بعض الأوقات، وكان الذين يدخلون عليه في هذه الحال: القاضي الفاضل وابن شداد وقاضي البلد ابن الزكي، وتفاقم به الحال ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر المذكور، واستُدعي الشيخ أبو جعفر إمام الكلّاسة ليبيت عنده يقرأ القرآن ويلقنه الشهادة إذا جد به الأمر، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو في غمرات الموت، فقرأ قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[1] الآية، فقال: وهو كذلك صحيح، فلما أُذّن الصبح جاء القاضي الفاضل فدخل عليه وهو بآخر رمق، فلما قرأ القارئ قوله تعالى: ﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾[2]؛ تبسم وتهلل وجهه وسلمها إلى ربه عز وجل، ومات رحمه الله تعالى وأكرم مثواه وجعل جنة الفردوس مأواه عن سبع وخمسين سنة.

---

(١) سورة الحشر، الآية ٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٩.

وغلقت الأسواق واحتفظ على الحواصل، وأخذوا في تجهيزه وغسله، وحضر جميع أولاده وأهله، ويعز عليهم أن يأتوا بمثله، وكان الذي تولى غسله خطيب البلد الفقيه الصالح ضياء الدين عبد الملك الدولعي، وكان الذي أحضر الكفن ومؤنة التجهيز هو القاضي الفاضل من صلب ماله الحلال، هذا وأولاده الكبار والصغار يبرزون وينادون ويبكون، وأخذ الناس في العويل والانتحاب والابتهال، وأبرز نعشه في تابوت بعد صلاة الظهر، وأم الناس في الصلاة عليه قاضي القضاة محيي الدين محمد بن الزكي الشافعي، ثم دُفن في داره بالقلعة المنصورة، وارتفعت الأصوات بالبكاء وعظم الضجيج، حتى إن العاقل كان يتخيل أن الدنيا تضج صوتاً واحداً، وتأسَّف الناس عليه حتى الفرنج لما كان عليه من صدق وفائه إذا عاهد.

وقال ابن شداد: وجد الناس عليه شبهاً بما يجدونه على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما رأيت ملكاً حزن الناس لموته سواه، لأنه كان محبباً يحبه البر والفاجر والمسلم والكافر، وشرع ابنه في بناء تربة له ومدرسة للشافعية بالقرب من مسجد القدم لوصيته بذلك قديماً، فلم يكمل بناؤها ولم يتم، وذلك حين قدم ولده العزيز وكان محاصراً لأخيه الأفضل، فاشترى له الأفضل داراً شمالي الكلّاسة في وراء ما زاده القاضي الفاضل في الكلّاسة، فجعلها تربة وبنى فيها قبة شمالي الجامع، وهي التي شباكها القبلي أمام الكلّاسة، ونقله من القلعة إليها في يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة، وصلَّى عليه تحت [قبة] النسر قاضي القضاة محمد بن علي القرشي بن الزكي عن إذن الأفضل له، ودخل في لحده ولده الأفضل فدفنه بنفسه وهو سلطان الشام، ويقال إنه دُفن معه سيفه الذي كان يحضر به الجهاد، وذلك عن أمر القاضي الفاضل تفاؤلاً بأن يكون يوم القيامة معه يتوكأ عليه حتى يدخل الجنة لما أنعم الله عليه تعالى من كسر الأعداء ونصر الأولياء، ثم عمل عزاه في الجامع الأموي ثلاثة أيام بحضرة الخاص والعام، رحمه الله تعالى.

قال العماد الكاتب وغيره: لم يترك رحمه الله تعالى في خزانته من الذهب سوى دينار واحد صوري وسته وثلاثين درهماً.

قلت: وفي الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة رحمه الله تعالى أن السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى لم يخلِّف في خزانته إلا سبعة وأربعين درهماً، ولم يترك داراً ولا عقاراً ولا مزرعة ولا سقفاً ولاشيئاً من أنواع الأملاك، هذا وله من الأولاد سبعة عشر ذكراً وابنه واحدة، وتوفي له في بعض حياته غيرهم، والذين تأخروا بعده ستة عشر ذكراً....

- الخانقاه النهرية [٧٩٤هـ]:

المشهورة بخانقاه عمر شاه، وهي بأول شارع نهر القنوات.

ولي مشيختها والنظر عليها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسيني الحنبلي الدمشقي المصري.

قال الأسدي رحمه الله تعالى في صفر سنة خمس وعشرين وثمانمئة: كان يقرأ المواعيد قراءة صحيحة فصيحة مليحة، وولي إمامة البراقية عند جامع دنكز وبها كان يسكن، وولي مشيخة خانقاه عمر شاه والنظر عليها، وعمل نقابة القاضي الباعوني شهاب الدين في سنة أربع وتسعين، ثم إنه سافر بعد الفتنة فيما أظن إلى مصر وأقام بها، وحصل له بها جهات تقوم به، واشتهرت هناك، وبلغني أنه عُرض عليه قضاء الشام عدة نوب فلم يفعل، وكان فاضلاً في الحديث والعربية، يحفظ كثيراً من السيرة النبوية، والتفسير والأحاديث....

- الخانقاه اليونسية [٧٨٥هـ]:

بأول الشرف العالي الشمالي، غربي الخانقاه الطواويسية[١].

أنشأها الأمير الكبير الشرفي يونس دوادار الظاهر برقوق في سنة أربع وثمانين وسبعمئة كما هو مكتوب على بابها، وفي شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين المذكورة كما هو مكتوب في الدائر داخلها، ولعل الأول كان ابتداء

---

(١) مكان سينما الأهرام اليوم.

الشروع في عمارتها والثاني انتهاؤها، وذلك بنظر الكافلي بيدمر الظاهري، وشرط في كتاب وقفها الأصلي أن يكون الشيخ بها والصوفية حنفية آفاقية، ولم يشرط في المختصر بكونهم آفاقية، وشرط فيهما أن يكون الإمام بها حنفياً وعشرة من القرّاء، ووقف عليها الدكاكين خارج باب الفرج، ثم احترقت في أيام الملك المؤيد شيخ، فعمّرها وأدخلها في وقفه، وعوّض الخانقاه بحمام العلائي خارج باب الفرج والفراديس، والحمام بكفر عامر، والآن آل إليها من وقف ذريته قطعة الأرض بسكة الحمام والقاعة لصيق الخانقاه....

- **خانقاه مجهولة:**

رأيت في كتاب العبر في سنة تسع وتسعين وستمئة: وابن السفاري أمير الحاج عماد الدين يوسف ابن أبي النصر أبو الفرج الدمشقي، حدَّث بالصحيح مرات، وروى لنا عن الناصح والإربلي وجماعة، وحج مرات، توفي في زمن التتار ووُضع في تابوت، فلما أمن الناس نُقل إلى النيرب ودفن بقبته التي في الخانقاه، وله نحو من سبعين سنة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل

الرباطات(١)

- الرباط البياني [٥٥٥هـ(٢)]:

داخل باب شرقي.

قال ابن شداد في ذكر الربُط: رباط أبي البيان، بناه بحارة درب الحجر.

قال الذهبي في العبر فيمن مات سنة إحدى وخمسين وخمسمئة(٣): وأبو البيان نبأ بن محمد بن محفوظ القرشي الشافعي الدمشقي الزاهد، ويُعرف بابن الحوراني، سمع أبا الحسن علي بن الموازيني وغيره، كان صالحاً ملازماً

---

(١) مفردها: رباط، والرباط والمرابطة تعني ملازمة ثغر العدو، ويُفهم من هذا أن الرباط هو الموضع الذي يُرابط فيه الجند بخيلهم وعتادهم للدفاع عن البلاد، واقترن ذلك بالجهاد والذود عن البلاد، فالثغور هي موضع المخافة من العدو الذي يُخشى تسربه منها إلى البلاد. ومع مرور الأيام خضع الرباط لقوانين التطور، فتعددت الوظائف والمهمات التي يؤديها، فأصبح مسكناً للصوفية، ومدرسة يتعلمون فيها، ومسجداً يؤدون فيه واجباتهم الدينية. وقد انتشرت الربط في العالم الإسلامي من المحيط الأطلسي إلى صحارى آسيا الوسطى تبعاً لكثرة الفتوح في القرون الإسلامية الأولى، وانتشار العرب في مشارق الأرض ومغاربها.

(٢) بُني هذا الرباط بعد وفاة أبي البيان بأربع سنوات، إذ اجتمع أصحابه على ذلك، فعارضهم السلطان نور الدين، ثم وافق بعدما تبين له مقام أبي البيان، وساعدهم بالمال والمواد ووقف على الرباط مكاناً بجسرين. أُعيد بناؤه مؤخراً بعد مدة من الإهمال الذي أدى إلى تهدّمه.

(٣) بُني هذا الرباط بعد وفاته بأربع سنين من قِبل أصحابه.

للعلم والمطالعة، كثير المراقبة كبير الشأن بعيد الصيت، صاحب أحوال ومقامات ملازماً الأثر، له تآليف ومجاميع، وردٌّ على المتكلمين، وله أذكار مسجوعة وأشعار مطبوعة، وأصحاب مريدون وفقراء بهديه يقتدون، كان هو والشيخ رسلان شيخَي دمشق [في] عصرهما، وناهيك بهما، توفي في شهر ربيع الأول، وقبره يزار بباب الصغير رحمه الله تعالى. ودُفن بجانب الشيخ العالم الرباني الفندلاوي رحمه الله تعالى....

- الرباط التكريتي[1] [٦٦٠هـ]:

بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون.

قال ابن كثير في سنة سبعين وستمئة: وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي التاجر الكبير ابن سويد، ذو الأموال الكثيرة، وكان معظماً عند الدولة ولا سيما عند الملك الظاهر، كان يجله ويكرمه لأنه قد كان أسدى إليه جميلاً في حال إمرته قبل أن يلي السلطنة، ودُفن برباطه وتربته بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون، وكانت كتب الخليفة ترد إليه كل وقت، وكانت مكاتباته مقبولة عند جميع الملوك حتى ملوك الفرنج في السواحل وفي أيام التتار وهولاكو، وكان كثير الصدقات والبر، رحمه الله تعالى.

- رباط صفية[2] [القرن السابع الهجري]:

قال البرزالي في سنة ثلاث وثلاثين وستمئة من تاريخه في ترجمة بنت قاضي القضاة عبد الله بن عطاء الحنفي: إنها كانت شيخة رباط صفية القلعية، جوار بيتنا، بالقرب من المدرسة الظاهرية.

---

(١) ولا أثر له اليوم، وهو غير التربة التكريتية.

(٢) ولا أثر له اليوم، وكان بجوار المدرسة الظاهرية.

- رباط زهرة ورباطات أخرى:

- رباط زهرة[1] [القرن السابع الهجري]:

بقرب حمام جاروخ، بجوار دار الأمير مسعود بن الست عذرا صاحبة المدرسة، ثم صارت هذه الدار للأمير جمال الدين موسى بن يغمور.

وقد ذكر ابن شداد بعد أن ذكر هذه الرُبط المتقدمة رباطات أخرى، وهي:

- رباط طمان من أمراء بني سلجوق تحت القلعة. - رباط جاروخ منسوب لجاروخ التركماني. - رباط الغرس خليل، كان والياً بدمشق. - رباط المعراني بدرب المهراني. - رباط البخاري عند باب الجابية. - رباط السفلاطوني. - رباط الفلكي. - رباط بنت السلار داخل باب السلام. - رباط عذراء خاتون داخل باب النصر. - رباط بدر الدين عمر. - رباط الحبشية بمحلة قصر الثقفيين يعني بمحلة المعينية. - رباط أسد الدين شيركوه قبالة داره بدرب زرعة. - رباط القصاعين. - رباط بنت الدفين داخل المدرسة الفلكية. - رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل.

- قلتُ: زاد بعضهم:

- الرباط الدواداري داخل باب الفرج، ولي مشيخته نور الدين بن قوام.

- الرباط الفقاعي بسفح قاسيون، ذكره البرزالي في سنة خمس وثلاثين وستمئة.

فائدة: قال الشيخ كمال الدين الدميري في باب الأحياء والأموات والخانكاه بالكاف؛ وهي بالعجمية دار الصوفية: ولم يتعرضوا للفرق بينها وبين الزاوية والرباط، وهـو المكان المسبل للأفعال الصالحة والعبادة،

---

(١) ولا أثر له اليوم.

قال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو به الخطايا ويرفع الدرجات، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة، فذلكم الرباط»[1]. أو كما قال ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَرَابِطُوا﴾[2]، قيل: هي انتظار الصلاة بعد الصلاة، ولم يكن في زمن النبي ﷺ غزو يُرابط فيه[3].

---

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم، وذكره برقم (٢٥١)، وهو في الموطأ ١/١٧٦، ومن طريق مالك أخرجه أحمد ٢/٢٧٧ و٣٠٣.

(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

(٣) ورد في حديث ضعيف: (أفضل الرباط انتظار الصلاة، ولزوم مجالس الذكر، وما من عبد يصلي ثم يقعد في مقعده إلا لم تزل الملائكة تصلي عليه حتى يُحدث أو يقوم)، قال الذهبي: ضعفوه.

فصل

الـزوايـا[1]

- الزاوية الأرموية[2] [٦٠٠هـ]:

فوق الروضة، بجبل قاسيون.

قال الذهبي في العبر في سنة إحدى وثلاثين وستمئة: والشيخ عبد الله بن يونس الأرموي الزاهد القدوة، صاحب الزاوية بجبل قاسيون، كان صالحاً متواضعاً مطرحاً للتكلف، يمشي وحده ويشتري الحاجة، وله أحوال ومجاهدات وقدم في الفقر، توفي رحمه الله تعالى في شوال وقد شاخ. وقال فيها في سنة اثنتين وثلاثين وستمئة في ترجمة الشيخ غانم بن علي المقدسي الزاهد ما عبارته: واتفق موته عند صاحبه الشيخ عبد الله الأرموي في غرة شعبان، فدُفن عنده. وقال فيها في سنة اثنتين وتسعين وستمئة: والأرموي الشيخ الزاهد إبراهيم بن الشيخ القدوة عبد الله، روى عن الشيخ الموفق وغيره، توفي رحمه الله تعالى في المحرم، وحضر جنازته ملك الأمراء والقضاة، وحُمل على الرؤوس، وكان صالحاً خيِّراً متقياً قانتاً لله....

---

(١) يُستدل من المدلول اللغوي للزاوية على أنها موضع للانزواء، وقد ظهرت في البداية على شكل تجمعات دينية في المساجد، يتحلق فيها الطلاب أو مريدو العلم حول شيخ من الشيوخ، ثم تحولت إلى أبنية قائمة بذاتها، تعلقت بطرائق المشايخ والمعتقدين.

(٢) لا أثر لها اليوم.

- الزاوية الرومية الشرقية[1] [٦٨٠هـ]:

بسفح قاسيون.

قال الشيخ الذهبي في العبر في سنة أربع وثمانين وستمئة: الشيخ الزاهد شرف الدين محمد بن الشيخ الكبير عثمان بن علي، صاحب الزاوية التي بسفح قاسيون، كان عجيباً بالكرم والتواضع ومحبة السماع، توفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى، وقد نيَّف على السبعين من السنين.

- الزاوية الحريرية[2] [٦٢٥هـ]:

ظاهر دمشق، بالشرف القبلي.

قال الذهبي في العبر في سنة خمس وأربعين وستمئة: والشيخ علي الحريري أبو محمد بن أبي الحسن علي بن مسعود الدمشقي الفقير، وُلِد بقرية بسر من حوران، ونشأ بدمشق وتعلم بها على الشيخ العتابي، ثم تمفقر وعظم أمره وكثرت أتباعه، وأقبل على المطيبة والراحة والسماعات والملاح، وبالغ في ذلك، فمن يُحسن به الظن يقول: هو كان صحيحاً في نفسه صاحب حال وتمكن وصول، ومن خبُر أمره: رماه بالكفر والضلال، وهو أحد من لا يُقطع عليه بجنة ولا نار، فإنا لا نعلم بما خُتم له به، لكنه توفي رحمه الله تعالى في يوم شريف يوم الجمعة قبيل العصر السادس والعشرين من شهر رمضان، وقد نيَّف عن التسعين، فجأه.

وقال ابن كثير في سنة خمس وأربعين المذكورة: وممن توفي فيها من المشاهير الشيخ علي الحريري بن أبي الحسن علي بن منصور البسري المعروف بالحريري، أصله من قرية بسر شرقي ازرع، وأقام بدمشق مدة

---

(١) لا أثر لها اليوم.

(٢) لا أثر لها اليوم.

يعمل صنعة الحرير، ثم ترك ذلك وأقبل يعمل الفقيري على يدي الشيخ علي المغربل تلميذ الشيخ أرسلان التركماني الجعبري، فاتبعه طائفة من الناس يقال لهم الحريرية، وابتنى لهم زاوية على الشرف القبلي، وبدت منه أفعال أنكرها عليه الفقهاء كالشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ تقي الدين بن الصلاح والشيخ أبي عمر وابن الحاجب شيخ المالكيه وغيرهم، فلما كانت الدولة الأشرفية سجنه بقلعة عزتا مدة سنتين، ثم أطلقه الصالح إسماعيل واشترط عليه ألا يقيم بدمشق، فلزم بلده قرية بسر، حتى كانت وفاته في هذه السنة.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الذيل: وفي شهر رمضان توفي الشيخ علي المعروف بالحريري بقرية بسر في زاويته، وكان يتردد إلى دمشق، وتبعه طائفة من الفقراء وهم المعروفون بالحريرية، أصحاب الزي المنافي للشريعة، وباطنهم شر من ظاهرهم إلا من رجع إلى الله تعالى منهم، وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمور الشريعة والتهاون بها من إظهار شعار أهل الفسوق والعصيان شيء كثير، وانفسد بسببه جماعة كثيرة من أولاد كبراء الدماشقة، وصاروا على زي أصحابه، وتبعوه بسبب أنه كان خلْع العذار، يجمع مجلسه الغناء الدائم والرقص والمردان، وترك الإنكار على ذلك فيما يفعله، وترك الصلوات وكثرة النفقات، وأضل خلقاً كثيراً وأفسد جمعاً غفيراً، ولقد أفتى في قتله مراراً جماعة من علماء الشريعة، ثم أراح الله تعالى منه....

- **الزاوية الحريرية الأعقفية[1] [٧٠٥هـ]:**

بالمزة.

قال ابن كثير في سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة: الشيخ أحمد الأعقف الحريري شهاب الدين بن حامد بن سعيد التنوخي الحريري، وُلِد سنة أربع وأربعين وستمئة، واشتغل في صباه على الشيخ تاج الدين الفزاري في التنبيه،

---

(١) لا أثر لها اليوم.

ثم صحب الحريرية وخدمهم، ولزم مصاحبة الشيخ نجم الدين بن إسرائيل، وسمع الحديث، وحجّ غير مرة، وكان مليح الشكل، كثير التودد إلى الناس، حسن الأخلاق، توفي يوم الأحد ثالث عشرين شهر رمضان بزاويته بالمزة، ودُفن رحمه الله تعالى بمقبرة المزة، وكانت جنازته حافلة مشهودة.

- الزاوية الدهستانية[1] [٧٠٠هـ]:

عند سوق الخيل بدمشق.

قال ابن كثير في سنة عشرين وسبعمئة: وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ إبراهيم الدهستاني، وكان قد أسنّ وعمّر، وكان يذكر أن عمره حين أخذت التتار بغداد أربعون سنة، وكان يحضر هو وأصحابه تحت قبة النسر، إلى أن توفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر بزاويته التي عند سوق الخيل بدمشق، ودُفن بها رحمه الله تعالى، وله من العمر مئة وأربع سنين كما قال هو، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

- الزاوية الحصنية[2] [القرن التاسع الهجري]:

أنشأها الشيخ تقي الدين الحصني بالشاغور، ووقف عليها وعلى ابن لأخيه شمس الدين محمد وقفاً الأمير سودون بن عبد الله التنبكي الدواداري في مرض موته لما ولي أستاذه نيابة دمشق في أول سنة خمس وسبعين، وكان دواداراً ثانياً، فجعله دواداراً كبيراً في صفر سنة سبع وتسعين، وباشر بعفة وعقل وسكون، فلما مات السلطان الملك الظاهر في أواخر سنة إحدى وثمانمئة وعصى أستاذه سافر إلى مصر في رسالة ورجع، فأشار على أستاذه بعدم العصيان، فلم يلتفت إليه وعزله من دواداريته، فلما جاء السلطان وانكسر تنبك أعطي إمرة طبلخاناه، وشكره المصريون على صنيعه، ثم ترك الإمرة وأقبل على الزراعة والغراس

(١) لا أثر لها اليوم، إذ هُدمت سنة ١٣٢٠هـ.

(٢) تحوّل معظمها اليوم إلى دور سكنية.

والاشتغال باستئجار الأرض وشرائها، وحصّل أملاكاً جيدة كثيرة، وكان عاقلاً ساكناً متديّناً، توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء سادس عشر شوال سنة أربع وعشرين وثمانمئة وهو في عشر الستين، ودُفن بمقبرة الصوفية.

- الزاوية الدينورية[1] [٦١٠هـ]:

بسفح قاسيون.

قال الذهبي في العبر في سنة تسع وعشرين وستمئة: والشيخ عمر بن عبد الملك الدينوري الزاهد، نزيل جبل قاسيون، كان صاحب أحوال ومجاهدات وأتباع، وهو والد خطيب كفربطنا جمال الدين.

وقال الأسدي في تاريخه الأعلام في السنة المذكورة: عمر بن عبد الملك بن إبراهيم الدينوري الزاهد، نزيل جبل قاسيون، كان شيخاً زاهداً عابداً قانتاً محيياً منقطعاً إلى عبادة الله تعالى عز وجل، صاحب أحوال ومجاهدات، له زاوية وأصحاب.

قال الضياء: اجتمعت به بالبلاد، وزرت شيخه، وبدلالتي قدم الشام وسكن الجبل.

قال الذهبي: وهو والد جمال الدين محمد الخطيب والإمام بقرية كفربطنا، مات رحمه الله تعالى في شعبان....

- الزاوية الدينورية الشيخية[2] [٦٢٠هـ]:

قال ابن كثير في سنة إحدى وستين وستمئة: الشيخ أبو بكر الدينوري، هو باني الزاوية بالصالحية، وكان له فيها جماعة مريدون يذكرون الله تعالى بأصوات حسنة طيبة.

---

(١) لا أثر لها اليوم.

(٢) لا أثر لها اليوم.

- الزاوية السيوفية[1] [٧١٠هـ]:

بسفح قاسيون على نهر يزيد، غربي دار الحديث الناصرية والعالمة.

قال الذهبي رحمه الله تعالى في المختصر الذي هو أصغر من العبر في سنة عشر وسبعمئة: مات الشيخ السيوفي بزاويته التي بسفح قاسيون، وهو نجم الدين عيسى بن شاه أرمن الرومي... وأوقف عليها وعلى ذرية الشيخ نجم الدين الملك الناصر قريتي عين الفيجة ودير مقرن بوادي بردى، الثلث للزاوية والثلثان للذرية، وبنى له ولجماعته بيوتاً حولها، رحمهم الله تعالى.

- الزاوية الداودية[2] [٨١٠هـ]:

بسفح قاسيون، تحت كهف جبريل.

أنشأها الشيخ الصالح العالم الرباني زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر بن داود القادري الصوفي الصالحي، ميلاده سنة ثلاث وثمانين وسبعمئة، قال بعضهم: أنشأ هذه الزاوية التي لا نظير لها بدمشق، وعمَّر خاناً بقرية الحسينية من وادي بردى على طريق بعلبك وطرابلس يأوي إليه المسافرون، وسهَّل وعزَّل عقبة دمر وغيرها من الطرق، وعمَّر مدرسة أبي عمر بالصالحية لما كان ناظراً عليها، وكذلك البيمارستان القيمري، وكان ذا مكانة زائدة عند الحكام شاماً ومصراً، ذا نفع متعدد، يساعد المظلوم والمظلومين عند الظَّلَمة ويصدهم عنهم، وكان يتردد إليه نائب الشام وأعيانها، وكان مشاركاً في علوم، وله عدة مصنفات، لم يأت الزمان من أبناء جنسه بمثله، توفي رحمه الله تعالى من

---

(١) لا أثر لها اليوم.

(٢) هي اليوم عرضة للخراب.

غير علة ولا ضعف ليلة الجمعة تاسع عشرين شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثمانمئة، عن نحو من ثلاث وسبعين سنة من غير ولد ذكر، ودُفن بزاويته هذه، والذي في حفظي أن الذي أنشأها أي هذه الزاوية الداودية هو الشيخ أبو بكر والده[1]، وكانت وفاته رحمه الله تعالى سنة ست وثمانمئة.

- الزاوية السراجية[2] [القرن الثامن الهجري]:

بالصاغة العتيقة داخل دمشق.

قال السيد الحسيني في ذيله على العبر للذهبي فيمن توفي سنة أربع وستين وسبعمئة: وشيخنا الإمام العلّامة الزاهد القدوة بهاء الدين أبو الأدب هارون الشهير بعبيد الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الولي الأخميمي المراغي المصري ثم الدمشقي الشافعي، وكان عارفاً للمعقولات، تخرَّج بالشيخ علاء الدين القونوي، وروي لنا عن يونس بن إبراهيم الدبابيسي، وألّف أشياء منها: كتاب المنقذ من الزلل في القول والعمل، وكان يؤم بمسجد درب الحجر، توفي رحمه الله تعالى ودُفن بزاوية ابن السراج بالصاغة العتيقة داخل دمشق بالقرب من سكنه.

- الزاوية الشريفية التغاراتية[3] [؟؟؟]:

شرقي المدرسة الناصرية الجوانية.

أنشأها السيد محمد الحسيني التغاراتي، وكان يقيم وقته فيها ليلة الأربعاء، مات رحمه الله تعالى ودُفن بها.

---

(١) بحسب المصادر التاريخية: بناها أبو بكر، وأتمها ابنه عبد الرحمن.

(٢) لا أثر لها اليوم.

(٣) لا أثر لها اليوم.

- الزاوية الطالبية الرفاعية[1] [٦٨٠هـ]:

بقصر حجاج.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وثمانين وستمئة: وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ طالب الرفاعي بقصر حجاج، وله زاوية مشهورة به، وكان يزور بعض المريدين، فمات.

- الزاوية الوطية[2] [زاوية المغاربة ٨٠٢هـ]:

شمالي جامع جراح، برسم المغاربة على اختلاف أجناسهم بشرط ألا يكون النازل بها مبتدعاً ولا شريراً.

وقفها الرئيس علاء الدين علي المشهور بابن وطية المؤقت بالجامع الأموي، سنة اثنتين وثمانمئة، ووقف عليها حوانيت وطباقاً حولها، وشرط على شيخها ألا يكون بأبواب القضاة والحكام، كذا وقف على كتاب وقفها في أواخر جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعمئة، وتعرف الآن بزاوية المغاربة.

- الزاوية الطَّيِّيَّة[3] [٦٢٠هـ]:

شمالي القيمرية الكبرى.

قال ابن كثير في سنة إحدى وثلاثين وستمئة: الشيخ طي المصري، أقام مدة في زاوية له بدمشق عند الرحبة التي يباع فيها الصناديق، عند دار بني القلانسي شرقي حمام أسامة، وكان ظريفاً كيِّساً زاهداً، يتردد إليه الأكابر، مات رحمه الله تعالى ودُفن بزاويته المشهورة، والله أعلم.

---

(١) لا أثر لها اليوم.

(٢) ظلّت منها بقايا اليوم.

(٣) لا أثر لها اليوم، سمّاها البعض: الزاوية الطيبية، وهو خطأ ظاهر.

- الزاوية العمادية المقدسية[1] [٦٨٠هـ]:

عند كهف جبريل، بسفح قاسيون.

قال شيخنا برهان الدين بن مفلح في طبقاته: أحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور، الشيخ الإمام عماد الدين ابن الشيخ العماد المقدسي الصالحي، سمع من أبي القاسم بن الحرستاني وابن ملاعب والشيخ موفق الدين، ثم رحل إلى بغداد متفرجاً، وله حظ من صيام وصلاة وذكر، سمع منه المزي والبرزالي، وأقام مدة بزاوية له بسفح قاسيون عند كهف جبريل، وكُفَّ بصره في آخر أمره، توفي رحمه الله تعالى ودُفن يوم عرفة عند قبر والده بالروضة سنة ثمان وثمانين وستمئة.

- الزاوية الغسولية[2] [٧٣٠هـ]:

بسفح قاسيون.

قال الذهبي في ذيل العبر في سنة سبع وثلاثين وسبعمئة: ومات بقاسيون شيخ الفقراء أبو عبد الله محمد بن أبي الزهر الغسولي عن ثلاث وثمانين سنة، روى عن إبراهيم بن خليل حضوراً، وعن العماد بن عبد الهادي وابن عبد الدايم وجماعة، وله زاوية ومريدون، رحمه الله تعالى.

- الزاوية الفقاعية[3] [٦٧٠هـ]:

بسفح قاسيون.

قال الذهبي في ذيل العبر في سنة تسع وثلاثين وسبعمئة (والصواب سنة تسع وسبعين وستمئة): والشيخ يوسف الفقاعي الزاهد ابن نجاح بن

---

(١) لا أثر لها اليوم.

(٢) لا أثر لها اليوم.

(٣) لا أثر لها اليوم.

موهوب، توفي رحمه الله تعالى في شوال، ودُفن بزاويته بسفح قاسيون، وقد نيَّف على الثمانين، وكان عبداً صالحاً خائفاً قانتاً كبير القدر، له أصحاب ومريدون.

- الزاوية الفرنثية[1] [٦٢١هـ]:

بسفح قاسيون.

قال الذهبي في العبر في سنة إحدى وعشرين وستمئة: والشيخ علي الفرنثي الزاهد صاحب الزاوية والأصحاب بسفح قاسيون، وكان صاحب حال وكشف وعبادة وصدق، توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة....

قال الذهبي: الرجل الصالح كبير القدر صاحب كرامات ورياضيات وصيانة، وله أصحاب ومريدون، وله زاوية بسفح قاسيون....

- الزاوية القوامية البالسية[2] [٦٧٠هـ]:

غربي قاسيون والزاوية السيوفية ودار الحديث الناصرية، على حافة نهر يزيد.

قال الذهبي فيمن مات في سنة ثمان وخمسين وستمئة من تاريخه العبر: وابن قوام الشيخ الزاهد الكبير أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي، جد شيخنا أبي عبد الله محمد بن عمر، كان زاهداً عابداً، صاحب حال وكشف وكرامات، وله زاوية وأتباع، ولِد سنة أربع وثمانين وخمسمئة، وتوفي رحمه الله تعالى في سلخ شهر رجب ببلاد حلب المحروسة، ثم نُقل تابوته ودُفن بسفح قاسيون في أوائل سنة سبعين، وقبره ظاهر يزار....

---

(١) ما تزال قائمة اليوم.

(٢) أعاد إقامتها اليوم بعض أهل الخير بعد أن كادت تندثر، ولم يبق من آثارها القديمة سوى القبة والقبور.

وقال تلميذه ابن كثير في سنة ثمان عشرة وسبعمئة: وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ العالم العامل الصالح الناسك الورع الزاهد القدوة بقية السلف والخلف أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي، وُلِد سنة خمسين وستمئة ببالس، وسمع من أصحاب ابن طبرزد، وكان شيخاً جليلاً بشوش الوجه حسن السمت، مقصداً لكل أحد، كثير الوقار عليه سيماء الخير والعبادة، إلى أن قال: توفي الشيخ محمد بن قوام ليلة الإثنين الثاني والعشرين من صفر بالزاوية المعروفة بهم غربي الصالحية والناصرية والعادلية، وصُلِّي عليه بها ودُفن فيها، وحضر جنازته ودفنه خلق كثير وجم غفير، إلى أن قال: ولم يكن للشيخ محمد مرتب على الدولة ولا غيرهم، ولا لزاويته مرتب ولا وقف، وقد عُرض عليه ذلك غير مرة فلم يقبل، وكان يُزار وله معرفة تامة، وكان حسن العقيدة صحيح الطوية، ومحباً للحديث وآثار السلف، كثير التلاوة يحب الخلوة، وقد صنَّف جزءاً فيه أخبار جده رحمه الله تعالى.

وقال الصفدي رحمه الله تعالى: وقف عليها بعض التجار بعض قرية، وجمع سيرة لجده، قل أن ترى العيون مثله، توفي رحمه الله تعالى سنة ثماني عشرة وسبعمئة، ودُفن بزاويتهم بسفح قاسيون، وله من العمر ثمان وستون سنة....

- الزاوية القلندرية الدركزينية[1] [٦١٦هـ]:

قال الأسدي في ترجمة محمود بن محمد شرف الدين الطالبي الدركزيني: إنه توفي بدركزين... هي بلدة من همدان... وهذه الزاوية بمقبرة باب الصغير، شرقي محلة مسجد الذبان، وشرقي مأذنة البصية.

قال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي رحمه الله تعالى في المحمدين من كتاب الوافي بالوفيات ما صورته: محمد بن يونس الشيخ جمال

---

(١) وهي قائمة اليوم على يسار مقام السيدة سكينة.

الدين الساوجي الزاهد، شيخ الطائفة القلندرية، قدم دمشق وقرأ القرآن والعلم، وسكن قاسيون في زاوية الشيخ عثمان الرومي، وصلى بالشيخ عثمان المذكور مدة، ثم حصل له زهد وفراغ من الدنيا، فترك الزاوية وأقام بمقبرة الباب الصغير بقرب موضع القبة التي بنيت لأصحابه، وبقي مدة بقبة زينب بنت زين العابدين رضى الله تعالى عنهم، واجتمع بالجلال الدركزيني والشيخ عثمان كوهي الفارسي الذي دُفن بالقنوات بمكان القلندرية، ثم إن الساوجي حلق وجهه ورأسه، ولاق حاله بأولئك فوافقوه وحلقوا مثله، ثم إن أصحاب الشيخ عثمان طلبوا الساوجي فوجدوه بالقبة، فسبُّوه وقبَّحوا فعله، فلم ينطق، ثم إنه اشتهر وتبعه جماعة وحلقوا، وذلك في حدود العشرين وستمئة....

- الزاوية القلندرية الحيدرية [٦٥٥هـ]:

قال ابن كثير في سنة خمس وخمسين وستمئة: وفيها دخلت الفقراء الحيدرية الشام، ومن شعارهم لبس الفراجي والطراطير، ويقصون لحاهم ويتركون شواربهم، وهو خلاف السنة، وتركوها لمتابعة شيخهم حيدر حين أسره الملاحدة فقصُّوا لحيته وتركوا شواربه، فاقتدوا به في ذلك، وهو معذور مأجور وليس لهم فيه قدوة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك[١]، وقد بُنيت لهم زاوية بظاهر دمشق قريباً من العوينة.

- الزاوية اليونسية[٢] [٦١٥هـ]:

بالشرف الشمالي بدمشق، غربي الوراقة والمدرسة العزية البرانية.

قال الذهبي في العبر في سنة تسع عشرة وستمئة: والشيخ يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي القنيي، والقنية قرية من نواحي ماردين،

---

(١) ورد بإسناد صحيح على شرط مسلم برقم ٢٦١، قال: قال رسول الله ﷺ: عشر من الفطرة (منها): قص الشارب، وإعفاء اللحية.

(٢) كان موقعها قريب من ثانوية جودة الهاشمي، ولا أثر لها اليوم.

وهذا شيخ الطائفة اليونسية أولى الشطح وقلة العقل، أبعد الله شرهم، وكان رحمه الله صاحب حال وكشف يُحكى عنه كرامات.

وقال ابن خلكان في وفياته: الشيخ يونس بن يوسف بن جابر بن إبراهيم بن مساعد الشيباني المخارقي، شيخ الفقراء اليونسية، وهم منسوبون إليه ويعرفون به، وكان رجلاً صالحاً، وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه مَنْ، فقالوا: لم يكن له شيخ وإنما كان مجذوباً، وهم يسمُّون من لا شيخ له بالمجذوب، يريدون بذلك أنه جذب إلى طريق الخير والصلاح، ويذكرون له كرامات كثيرة....

وقال الأسدي في سنة تسع عشرة وستمئة: الشيخ يونس شيخ الطائفة اليونسية، يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي المشرقي القنيي، والقنية قرية من أعمال دارا من نواحي ماردين....

- الزاوية العمرية[1] [٩٢١هـ]:

غربي محلة العقيبة، بالقرب من جامع التوبة.

قال ولَد مؤلف هذا الكتاب سيدنا ومولانا شيخ الإسلام بقية السلف الكرام أبو زكريا محيي الدين يحيى الشهير بوالده مؤلف هذا الكتاب: أنشأ هذه الزاوية رجل يقال له الشيخ عمر الإسكاف الحموي، أتى دمشق في أواخر [حكم] قانصوه الغوري، واشتهر في أول تولية السلطان سليم نصره الله تعالى على هذه المملكة الشامية، وبنى لنفسه هذه الزاوية والدار، سكنه بجانبها في سنة ثمان وعشرين وتسعمئة. وكان يدَّعي بأنه يربي الفقراء، ويأمرهم بأن يلبسوا الفروة مقلوبة ويركبوا القصبة ويعلقوا في أرقابهم معلاق رأس الغنم، ويدوروا بذلك في شوارع دمشق لأجل كسر النفس كما يزعم لهم شيخهم المذكور، وهم يقولون لا إله إلا الله بأعلى صوتهم، ولم يسلموا على أحد من

---

(١) لا تزال قائمة، وقد جُددت حديثاً.

غير طريقتهم، وصار له أتباع كثيرة من دمشق وضواحيها وغيرهم، ومن غضب عليه الشيخ منهم أخرجه وطرده، فيستمر يأتي ويضع وجهه على عتبة باب الزاوية ويذكر مع الفقراء من خارج باب فيما يزعم، ويقرأ الآية من القرآن بلحن فاحش، ويتكلم عليها برأيه، وكذلك غالب أكابر أتباعه، وأمر غالب من اتبعه إذا توفي أن يُدفن شمالي باب الفراديس وغربيها، وجعل بينهما وبين التربة جداراً حائطاً دائراً بها لتكون خاصة برسم فقرائه، ولم يُدفن هو عندهم فيها بل جُعل له غربي زاويته المذكورة قبة برسم دفنه تحتها، وشباك حديد مطلاً للطريق السالك لسويقة صاروجا والصالحية وغيرها. ولما كان عشية يوم الإثنين سلخ شهر ربيع الثاني سنة إحدى وخمسين وتسعمئة حادي عشرين تموز توفي الشيخ عمر المذكور، وفي بكرة يوم الثلاثاء مستهل جمادى الأولى غُسّل وكُفّن وصُلّي عليه، ودُفن تحت القبة المذكورة بزاويته المذكورة، وترك ولدين رجلين محمد وعلي، ثم من بعده انحلت غالب أتباعه عن طريقته، وصار ولده محمد المذكور مكانه بالزاوية المذكورة، يجتمع عليه بها أناس قلائل يتكلم لهم بها على طريقة والده.

- الزاوية الصمادية[1] [٩٣٢هـ]:

داخل باب الصغير، شمالي السور، على كتف نهر قليط بالزقاق الآخذ إلى باب الجابية.

أنشأها الشيخ محمد بن الشيخ خليل الصمادي في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمئة، وجعل له دار سكنه شماليها، وجعل للزاوية المذكورة بركة ماء ومرتفعات، وعلى بابها سبيل، يجري إلى ذلك كله الماء من نهر القنوات، توفي بكرة النهار يوم الجمعة خامس عشرين جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وتسعمئة سابع عشر أيلول، وغُسّل وكُفِّن، وصلّى عليه بالجامع الأموي قبل صلاة العصر إماماً شيخ الإسلام وقدوة سائر الأنام بقية السلف

(١) لا أثر لها اليوم.

الكرام مفتي المسلمين وصدر العلماء والمدرسين سيدنا الشيخ بدر الدين محمد بن رضي الدين الغزي، ثم صلّى عليه بعد العصر ثانياً بجماعة آخرين، ثم أُعيد به إلى الزاوية المذكورة، وصارت المشيخة بعده لولده الشيخ محمد، وأما الشيخ خليل والد المتوفى تحت القبة بقرية أذرعات فمشهور هناك.

وفي شهر جمادى الأولى من سنة أربع وخمسين وتسعمئة حصل بدمشق قلقلة كبيرة بين الشيخ الإمام يونس العيثاوي الشافعي إماماً وخطيباً بالجامع المعروف بدمشق بالجامع الجديد وبجانباك وبين الشيخ محمد بن الشيخ محمد بن الشيخ خليل الصمادي المذكور أعلاه وبين أتباعهم، بسبب ضرب طبل الباز الذي يتخذونه في حلق الذكر، فأنكره عليهم الشيخ يونس العيثاوي ولم يلتفت إليه في ذلك، والحال أننا أدركنا مشايخنا القدماء من السادة الشافعية رحمهم الله تعالى لم ينكروه عليهم بل أقروه لهم وتبركوا بهم؛ منهم: شيخنا شيخ مشايخ الإسلام تقي الدين أبو بكر بن قاضي عجلون سلطان الفقهاء، ومنهم شيخنا شيخ الإسلام السيد الحسيب النسيب كمال الدين محمد بن السيد حمزة الحسيني، ومنهم شيخ مشايخ الإسلام تقي الدين أبو بكر البلاطنسي... ولم نسمع أحداً من هؤلاء من أنكر عليهم ذلك إلا إذا ضربوا الطبول في المساجد، ولم يقع ذلك منهم قط، بل يضربون طبولهم في الطرقات في بعض الأوقات عند قدوم أقاربهم وملاقاتهم وفي وداعهم حين السفر، ويضربونها أيضاً في زواياهم وفي بعض بيوت مريديهم التي يقيمون فيها الذكر كما جرت به عوائدهم، ولم يُنكر عليهم في ذلك قديماً ولا حديثاً، وثم الآن بدمشق المحروسة جماعة آخرون من السادة الشافعية ورؤسائهم ويرأسهم شيخنا شيخ الإسلام سيدي بدر الدين بن محمد بن رضي الدين الغزي وولده العلامة البحر الفهّامة الشيخ العالم العامل الورع سيدي الشيخ شهاب الدين أحمد عفا الله عنه وبقية العلماء، ولم ينكر عليهم في ذلك أحد غير هذا الرجل المشار إليه الشيخ يونس العيثاوي وحده فقط، وله طلبة غالبهم صبيان مردان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، انتهى قول ولَد المؤلف شيخ الإسلام أبو زكريا محيي الدين، ختم الله له بخير وعفا عنه.

- الزاوية السعدية [٩١٤هـ]:

خارج دمشق، برأس العمائر.

نزل بها الشيخ المبارك حسن الجباوي السعدي.

قال والدي المؤلف لهذا الكتاب المشار إليه - تغمَّده الله برحمته - في تاريخه: وفي يوم الخميس حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع عشرة وتسعمئة توفي الشيخ المبارك حسن الجباوي السعدي، كان النساء وغالب العوام يعتقدون أنه يشفي من الجنون، وأنه غريزة في أصله وفصله، انتقل من بلدة بيت جن، وسَقَّفَ تربة النائب أينال الجمكي [الذي] كان نائب دمشق قديماً... ولم يتمها ولم يدفن بها حتى نزل الشيخ حسن المذكور وسقفها، وهي بأواخر قبلي دمشق، وسكن بها ومات، وله عدة أولاد وأولاد الأولاد، ودُفن قبلي الحصى جوار تربة شيخنا شهاب الدين أحمد بن قرا، رحمه الله تعالى.

قال ولَد المؤلف لهذا الكتاب مولانا الشيخ العالم العلامة شيخ الإسلام الشيخ أبو زكريا محيي الدين النعيمي، عفا الله عنه، في ذيله على تاريخ والده المشار إليه: ثم ولي المشيخة مكانه بالزاوية المذكورة ولده الشيخ حسين... إلى أن توفي... سنة ست وعشرين وتسعمئة، ودُفن عند والده المذكور أعلاه، وخلَّف أولاداً كثيرة، المتجه منهم للمشيخة بالزاوية المذكورة اثنان هما: أحمد وسعد الدين، لكن أحمد أكبرهم، فولي المشيخة بالزاوية المذكورة بعد والده وجده، واستمر على طريقة والده وجده... وحصل سعد في إنفاذ الكلمة عند الحكام وبين الناس... توفي صبيحة يوم الأحد تاسع عشرين رجب الفرد سنة ثلاث وستين وتسعمئة سابع حزيران، ودُفن عند والده وجده، رحمه الله تعالى... وإن الشيخ سعد الدين سقف الزاوية وعلَّاها... وبيَّضها بالجص، وذلك في أواخر سنة أربع وستين وتسعمئة.

فصل

الترب[1]

- التربة الأسدية [٦١٨هـ]:

بالجبل[2].

قال الأسدي رحمه الله تعالى في تاريخه في سنة ثمان عشرة وستمئة: علي بن عبد الوهاب بن علي بن الخضر بن عبد الله، نجم الدين أبو الحسن القرشي الأسدي الزبيري الدمشقي العدل أخو كريمة، وُلِد سنة اثنتين وخمسين، وسمع من علي بن أحمد الحرستاني وعبد الرحمن بن أبي الحسن الداراني وحمزة بن الجبولي وغيرهم، وأجاز له جماعة، وروى عنه ابن خليل والضياء المقدسي والشهاب القوصي، توفي في صفر، رحمه الله تعالى، وله تربة في الجبل.

---

(١) المقبرة في الأصل: المكان الذي يُوقف لدفن عامة الناس بالمجّان، ومع توالي الأيام صار بعض الناس يقتطعون جزءاً من المقبرة ويحيطونه بجدار أو قضبان حديدية، ثم يدّعون ملكية هذا المكان، ويجعلونه حكراً عليهم وعلى ذرياتهم، وهو ماصار يسمى بالتربة. ومنهم من يبني مسجداً ويوصي أن يُدفن فيه، أو تقام عليه زاوية بعد موته، أو يبني تربته بيده في حياته، ويقيم عليها المرافق والقباب، ويوصي أن يُدفن فيها، وهذا وأمثاله يسمى أيضاً: تربة، كذا قاله العلبي رحمه الله تعالى.

(٢) أي قاسيون، في صالحية دمشق.

- التربة الأفريدونية [٧٤٩هـ]:

وبها دار قرآن، شرقي جامع حسان، خارج باب الجابية بالشارع الأعظم، غربي خندق سور المدينة قريباً منه ومن تربة الأمير سيف الدين بهادر المنصوري ومن تربة الأمير فرج بن منجك شماليهما.

قال الحسيني في ذيل العبر فيمن توفي سنة تسع وأربعين وسبعمئة: والتاجر الكبير شمس الدين أفريدون العجمي، واقف المدرسة المليحة الأفريدونية خارج باب الجابية، والذي يُعلم من وقفها الآن المزرعة المعينية جوار العدمل بالمرج، وبستان معبد بقرية زبدين، وخمس قطع أراضي بقينية، وحصة من بستان يعرف بدف الجوز بالجيم بأرض أرزة، ونصف قرية سكاكة بالسن من بصرى، وبستانان بقرية عين ترما، وقطع أرض تعرف بحقول العجمي بقرية كفربطنا، والحصة من قاعة الحديثي بقصر حجاج، والحصة من خان الطحين بباب الجابية، ومحاكرة ابن الصلاح الغزولي جوار المدرسة البادرائية وقاعة النشا تجاه التربة من الغرب، وربع القيسارية وبستان بتل كفرسوسيا، وبيت بزقاق الداراني، وبيت بزقاق حمام الزين، وقاعة وإصطبل داخل باب الفراديس بزقاق الماء، وبيتان بحارة القصاصية، وبيتان بقرية كفرسوسيا أيضاً، وشيء بتل الشعير.

- التربة الأيدمرية [٦٦٧هـ]:

بالقرب من اليغمورية بحارة السكر، بسفح قاسيون.

هي تربة الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله الحلبي الصالحي، كان من أكابر الأمراء وأحظاهم عند الملوك ثم عند الملك الظاهر، كان يستنيبه إذا غاب، فلما كان سنة سبع وستين وستمئة أخذه معه، فكانت وفاته بقلعة دمشق، ودُفن بتربته بالقرب من اليغمورية، وخلّف أموالاً جزيلة، وأوصى إلى السلطان في أولاده، وحضر السلطان عزاه بجامع دمشق، قاله ابن كثير في السنة المذكورة.

وقال شيخه الذهبي في عبره في سنة سبع بمعناه في بعض نسخه، رحمهم الله تعالى.

- التربة الأيدمورية [٧٠٠هـ]:

عند الجسر الأبيض، بالخانقاه العزية.

قال الذهبي في عبره في سنة سبعمئة: أيدمر الأمير الكبير عز الدين الظاهري الذي كان نائب دمشق في دولة مخدومه، حُبس مدة ثم أُطلق، فلبس عمامة مدورة وسكن بمدرسة عند الجسر الأبيض، توفي في شهر ربيع الأول ودُفن بتربته، وكان أبيض الرأس واللحية.

وقال في مختصر تاريخ الإسلام في سنة سبعمئة المذكورة: والأمير عز الدين أيدمر الذي كان نائب دمشق في دولة الظاهر. والله أعلم

- التربة الأكزية[1] [٨٣٣ هـ]:

قبلي تربة بهادر، شرقي تربة يونس الدوادار، خارج باب الجابية.

قال الأسدي في الذيل في محرم سنة ثلاث وثلاثين وثمانمئة: الأمير سيف الدين أكز الفخري، أصله من مماليك الأمير أياس أحد المقدمين بالشام ونائب طرابلس وغيرها، وذكر لي أن أستاذه اشتراه أيام قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة وعمره سبع سنين، وتنقّل في هذه الفتن، وكان من حزب الأمير نوروز، ثم صار أمير طبلخانة بالشام، ثم ولي نيابة القلعة في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين، وتمكن وأثرى، وكان يكتب إلى مصر فلا ترد مكاتبته، ودخل في المحكمات حتى قطع على النائب والحجاب، وكان أحد السعاة في هلاك النائب تنبك البجاسي؛ فإنه كاتب مع غيره إلى السلطان بأنه عاص، ثم عُزل من نيابة القلعة بعد أربع سنين وثلاثة أشهر في شعبان سنة تسع وعشرين، واستمر على إمرته، وعمّر له عمارة حسنة شرقي تربة يونس الدوادار، وكان من عقلاء الترك، يعيب على القضاة وغيرهم ما يقضون فيه،

---

(١) لا تزال جدرانها قائمة إلى اليوم.

وفيه مروءة ومساعدة، ولا يشرب الخمر ولا يفعل الفاحشة، وكان قد توجه مع العسكر في السنة الماضية إلى الرها فمات له ولدان، فلما رجع سلّمت عليه وعزّيته بولديه، فرأيته راضياً محتسباً، وقال لي: أحد ما يعصى على أستاذه. توفي ليلة السبت ثاني عشرية أول الليل، واشتغل الناس عن جنازته من الغد لدخول المحمل، ودُفن بتربته التي أنشأها بباب الجابية إلى جانب تربة بهادر، وكان الفراغ منها في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين، وعمره ستون سنة تقريباً، رحمه الله تعالى.

- التربة الاستدارية [٦٢٨هـ]:

جوار تربة ابن تميرك بقاسيون.

وقال الأسدي في تاريخه في سنة ثمان وعشرين وستمئة: شمس الدين بن استادار الأمير.

قال السبط: كان كيّساً متواضعاً، حسن العشرة كريم الأخلاق، مليح الصورة جواداً، من بيت مشهور، وكانت داره مأوى الفضلاء والعلماء والفقراء والأعيان، توفي رحمه الله تعالى، ودُفن بتربته بقاسيون المجاورة لتربة ابن تميرك.

- التربة الجيبغائية[1] [٧٥٤ هـ]:

شمالي تربة مختار الطواشي، خارج باب الجابية، يمنة الذاهب في الطريق السلطاني، وهي الآن قبلي الجامع الصابوني، تجاه تربة سنبل الطواشي خازندار سودون بن عبد الرحمن.

وقال السيد الحسيني في ذيل العبر في سنة أربع وخمسين وسبعمئة: ومات الأمير الكبير المعمَّر سيف الدين الجيبغ أي العادلي، توفي بدمشق.

---

(١) لا تزال قائمة، وإنما مهملة.

- التربة البزورية [٦٦٤هـ]:

بسفح قاسيون، فوق سوق القطن.

قال الذهبي في العبر في سنة أربع وتسعين وستمئة: وابن البزوري أبو بكر محفوظ بن معتوق البغدادي التاجر، روى عن ابن القبيطي، ووقف كتبه على تربته بسفح قاسيون، كان نبيلاً سرياً، جمع تاريخاً وذيَّل به على المنتظم، توفي رحمه الله تعالى في صفر عن ثلاث وستين سنة، وهو أبو الواعظ نجم الدين.

- التربة البهادرآصية [٧٢١هـ]:

غربي مقبرة باب الصغير، تجاه الخندق، بجانب تربة أكز الفخري، وشمالي المزار المعروف بأويس، قبلي الأفريدونية، وتجاه تربة الأمير فرج بن منجك.

قال الذهبي في ذيل عبره في سنة ثلاثين وسبعمئة: ومات بدمشق سيف الدين بهادرآص المنصوري عن نيِّف وسبعين سنة، وكان من أمراء الألوف بدمشق، وتربته خارج باب الجابية.

ورأيت بخط الحافظ المؤرخ علم الدين البرزالي في تاريخه في سنة ثلاثين وسبعمئة: في ليلة الثلاثاء التاسع عشر من صفر توفي الأمير الكبير سيف الدين أبو محمد بهادر بن عبد الله المنصوري الناصري بداره بدمشق، وحُمل منها إلى الجامع بكرة الثلاثاء، وصُلِّي عليه ودُفن بتربته خارج باب الجابية، وحضر الجنازة نائب السلطنة والأمراء والقضاة وجمع كثير، وكان أكبر الأمراء بدمشق لا يتقدمه أحد، وطال عمره في الإمرة والحشمة والتقدم، وكان مشهوراً بالصدقة، وله بر ظاهر معروف مشهور....

- التربة البلبانية [٧٣٤هـ]:

جوار مأذنة فيروز، قرب المدرسة المسمارية الحنبلية[١].

وهي تربة الأمير سيف الدين طرناه بلبان، وكان الأمير المذكور خازندار بالديار المصرية، ثم إنه جهزه السلطان الملك الناصر إلى صفد نائباً فحضر إليها، ووقع بينه وبين الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، فعزله السلطان ورسم بتوجيهه إلى دمشق بطلبه، فلما وصل إليها ودخل إليه ليقبل يده ويسلم عليه قبض عليه، وبقي في الاعتقال عشر سنين فما حولها، ثم إنه شُفع فيه فأُخرج من الاعتقال وجُعل أمير مئة مقدم ألف... ولم يزل إلى أن توفي بعد الأربع والثلاثين وسبعمئة، ودُفن بتربة جوار داره عند مأذنة فيروز، قاله الصفدي رحمه الله تعالى....

- التربة البلبانية[٢] [٨٣٠هـ]:

بطريق الصالحية، غربي سويقة صاروجا.

قال تقي الدين بن قاضي شهبة في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثمانمئة: الأمير سيف الدين بلبان الحموي، تنقّل إلى أن استقر أتابك العسكر بدمشق لما انتزعها المؤيد من نوروز في صفر سنة تسع عشرة، ثم قُبض عليه في شوال منها وسُجن بقلعة دمشق، ثم أُطلق ونُفي إلى طرابلس، ثم أُعطي تقدمة في شهر رمضان سنة عشرين، ثم انتقل إلى تقدمة أخرى خير منها وهي التي كانت إقطاع الحجوبية فالقصير منها والمعظمية أيضاً، وحجَّ بالناس سنة تسع وعشرين، وعمَّر داراً حسنة بطريق الصالحية غربي سويقة صاروجا، وعمَّر مصنع ماء غباغب، ووقف عليه نصف البلد، اشتراه من السلطان ووقفه، واستمر في دمشق إلى أن نُقل إلى حجوبية طرابلس في

---

(١) في سوق الحريميين (القيمرية).

(٢) وهي قائمة اليوم وبحالة جيدة.

المحرم من السنة الخالية، فباشرها بعنف زائد، وكان موصوفاً بالشجاعة وعنده مروءة كثيرة ومساعدة لمن يقصده، لكنه كان مضراً على أنواع من الفواحش، توفي بطرابلس في هذا الشهر بعد مرض كثير، وسُر أهل طرابلس بموته، وحُمل إلى دمشق فُدفن بتربة شرقي داره، وكان قد جدَّد فيها وبيَّضها، وذُفن بها ابنه أيضاً، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

- التربة البلبانية [؟؟؟]:

شرقي مدرسة الخبيصية، وقبلي حمام الجيعان، وغربي الزنجبيلية ودار الأطعمة[١].

وليها ابن خطيب عذرا ثم الشمس البرماوي ثم البهاء حجي ثم البرهان بن المعتمد، ولم أقف على ترجمة واقفها.

- التربة البصية[٢] [٧٣١هـ]:

خارج باب الجابية، جوار مسجد الذبان، تجاه وجه المار في الطريق إلى القبلة والمأذنة شرقيه، على جانب المقبرة، وهذا المسجد شرقي التربة الركنية المنجكية الآن، وعنده يُصلى على الجنائز.

وهي تربة أمين الدين ابن البص، كان رحمه الله رجلاً محباً للخير.

قال الحافظ علم الدين قاسم بن محمد البرزالي في تاريخه في سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة ومن خطه نقلت: وأما الشيخ أمين الدين بن البص التاجر فإنه كان رجلاً جيداً، له مقاصد صالحة، وأنفق جملة من ماله في سبيل الخير، بلغني أنه حسب ما أنفقه فبلغ مائتي ألف وخمسين ألفاً، فمما عمَّر: خان بالمزيريب بحوران حصل النفع به للمسافرين إلى الديار المصرية

---

(١) أي بين باب السلام وباب توما.

(٢) وهي قائمة اليوم، ويستعملها أهل الحي مُصلًى لهم.

وغيرها، وعمَّر مسجد الذبان والمأذنة والتربة وغير ذلك، ووقف عليها الأوقاف وقرر الوظائف، وكان مجتهداً في ذلك تقبّل الله منه.

ورأيت بخط الحافظ شهاب الدين بن حجى: إنه عمَّر أيضاً خان اللجون برأس وادي عارة قبالة مصطبة السلطان، تقبّل الله منه ورحمه، توفي ليلة الأربعاء سابع ذي الحجة كما ذكره الحافظ علم الدين في سنة إحدى وثلاثين.

ورأيت تجاه المسجد المذكور دائر الحجر المنحوت الفوقاني ثم بالعتبة تحت ذلك مكتوباً بإتقان ما صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، جدَّد عمارة هذا المسجد المبارك والمأذنة والتربة العبد الفقير إلى الله تعالى الحاج عثمان بن أبي بكر بن محمد التاجر السفَّار، غفر الله له، ووقف على مصالح هذا المسجد والمأذنة والتربة وعمارته وفرشه وتنويره وعلى الإمام والمؤذن والقيم به جميع المعصرة وعلوها المسجد والطبقتين غربيه والطبقة من شرق المأذنة والطبقة شرق المسجد والطباق التي من شام المأذنة وشرقي الأرض التي قبلي المعصرة ودكاكين التي غربي المعصرة، يُصرف على ما نطق به كتاب وقف ذلك الثابت المحكوم به، وكان الفراغ منه في شهور سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة، فمن غيَّر ذلك أو بدّله عليه ما يستحقه.

- التربة البدرية [٧١٦هـ]:

بميدان الحصى، فوق خان النجيبي.

قال ابن كثير في سنة ست عشرة وسبعمئة: الأمير بدر الدين محمد بن الوزيري، كان من الأمراء المقدمين ولديه فضيلة ومعرفة وخبرة، وقد ناب عن السلطان بدار العدل مرة بمصر، وكان حاجب ميسرة، وتكلم في الأوقاف وفيما يتعلق بالقضاة والمدرِّسين، ثم نُقل إلى دمشق فمات بها في سادس عشر شعبان، ودُفن بتربته بميدان الحصى فوق خان النجيبي، وخلّف تركة عظيمة.

- التربة البدرية[1] [٨١٤هـ]:

مقابل الشيخ أرسلان رحمه الله تعالى ورحمنا به في الدنيا والآخرة، آمين.

وهي تربة الأمير بدر الدين حسن، بناها سنة أربع عشرة وثمانمئة، وكان أول أمره معمماً، ولما ولي المؤيد شيخ نيابة طرابلس في سنة عشر خدمه إلى أن صار وزيراً بمصر، وعادى جميع المباشرين، فحطوا عليه عند السلطان... فلما جاء السطان قبض عليه وسلّمه إلى الأمير أرغون شاه، فعاقبه بأنواع العقوبات، وآخر الأمر غمره في بسط حتى مات ليلة الأحد حادي عشرين شهر رجب سنه أربع وعشرين وثمانمئة، وأُخرج من الغد في نعش ليس عليه غطاء وليس معه أحد، فذُهب به إلى بيته فغُسّل وحُمل إلى تربته مقابل الشيخ أرسلان رحمه الله تعالى ورحمنا به في الدارين، فدُفن هناك، وكان قد بنى هذه التربة أيام مباشرته بدمشق سنة أربع عشرة، وجعل فيها مسجداً ومكتباً للأيتام، ومن غريب ما وقع أن الذي تولى قتله بعد أيام طلع إلى سطح فوقع فمات، وقد رأى له بعض الصالحين مناماً حسناً؛ وفيه أنه قال: غُفِر لي بمن كنت أكفنه بمصر في الطاعون، والقمصان التى كنت أرسلها إلى مكة المشرفة، وبمعاقبة أرغون شاه، والله سبحانه أعلم.

- التربة البهنسية [٦٢٨هـ]:

بسفح قاسيون.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في سنة ثمان وعشرين وستمئة: المجد البهنسي وزير الملك الأشرف، ثم عزله وصادره، ولما توفي دُفن بتربته التي أنشأها بسفح قاسيون، وجعل كتبه بها وقفاً، وأجرى عليها أوقافاً جيدة دارَّة، والله تعالى أعلم.

---

(١) وهي قائمة اليوم.

- التربة البرسبائية الناصرية [٨٥٢هـ]:

بسويقة صاروجا، غربي الشامية البرانية.

أنشأها والجامع لصيقها الحاجب الكبير بدمشق برسباي الناصري، ووقف عليها وقفاً جيداً جليلاً، ثم تولى نيابة مدينة طرابلس ثم حلب المحروسة، ثم طلب الإقالة منها وأن يقيم بدمشق، فأُجيب إلى ذلك وأُعفي منها، ثم خرج من حلب الشهباء قاصداً دمشق وهو مستضعف، فتوفي بمنزلة سراقب بالقرب من حلب المحروسة، فغُسّل وكُفِّن وأُحضر إلى دمشق في تابوت، ثم وُضع في نعش وصُلِّي عليه بجامع يلبغا، ودُفن رحمه الله تعالى بتربته في الجامع المذكور في سنة اثنتين وخمسين وثمانمئة، والله أعلم.

- التربة البهائية [٧٢٥هـ]:

بالقرب من اليغمورية، ودار الحديث الناصرية بينهما، بصالحية دمشق.

قال ابن مفلح في طبقاته: محمود بن سلمان بن فهد الحلبي ثم الدمشقي شهاب الدين أبو الثناء، كاتب السر وعلّامة الأدب، سمع بدمشق من الرضا بن برهان وابن عبد الدايم، وتعلَّم الخط المنسوب، وتفقَّه على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، وأخذ العربية عن الشيخ جمال الدين بن مالك، وتأدَّب بالمجد بن الظهير، وفُتح له في النظم والنثر، وكان يكتب التقاليد بلا مسودة، وله تصانيف في الإنشاء وغيره، ويقال إنه لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله، وله خصائص ليست لغيره فإنه بقي في ديوان الإنشاء نحواً من خمسين سنة بدمشق ومصر، وحدَّث، روى عنه الذهبي في معجمه، وتوفي ليلة السبت ثاني عشرين شعبان سنة خمس وعشرين وسبعمئة بداره بدمشق، وهي دار القاضي الفاضل بالقرب من باب الناطفانيين، وشيَّعه أعيان الدولة، وحضر الصلاة عليه بسوق الخيل نائب السلطنة، ودُفن بتربته التي أنشأها بالقرب من اليغمورية، وهي في غاية اللطافة والحسن.

- التربة التكريتية[1] [٦٣٤هـ]:

بسوق الصالحية بسفح قاسيون.

قال الذهبي في العبر في سنة ثمان وتسعين وستمئة: والتقي البيع الصاحب الكبير أبو البقاء توبة بن علي بن مهاجر التكريتي، توفي في جمادى الآخرة، ودُفن بتربته بسفح قاسيون، وكان ناهضاً كاتباً كاملاً في فنه... عاش ثمان وسبعين سنة، وكان مولده بعرفة....

قال أبو المظفر بن الجوزي: بلغ قيمة ما خلَّف الصاحب كمال الدين التكريتي ثلاثمئة ألف دينار، وأراني الأشرف مسبحة فيها مئة حبة مثل بيض الحمام - يعني من التركة - وكانت وفاته رحمه الله تعالى في سنة أربع وثلاثين وستمئة.

- التربة التنكزية [٧١٨هـ]:

بجانب جامع تنكز، وجوار الخانقاه العصمية.

قال السيد الحسيني في أول ذيل شيخه الذهبي، وهي سنة إحدى وأربعين وسبعمئة: في المحرم منها أو في أواخر العام الماضي قُبض على الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام وأُخذ إلى القاهرة، فاعتُقل بالإسكندرية أياماً، ثم قُتل ودُفن هناك. ولي نيابة دمشق في سنة اثنتي عشرة وسبعمئة، وسار في سنة خمس عشرة وسبعمئة فافتتح ملطية وقتل وسبى، وكان رجلاً عبوساً شديد الهيبة وافر الحرمة لا يجترئ أحد من الأمراء أن يتكلم بحضرته، وكان مع جبروته له من يضاحكه ومن يغنيه، وقد زار مرة شيخنا ابن تمام - يعني السبكي - وسمع من أبي بكر بن عبد الدايم وعيسى وابن الشحنة، وما علمته حدَّث، وله آثار حسنة في أماكن من البلاد الإسلامية، ولي

---

(١) وهي قائمة اليوم، ولكنها عرضة للسطو.

بعده نيابة دمشق الأمير علاء الدين طنبغا نائب حلب. ثم قال فيه في سنة أربع وأربعين: في شهر رجب جيء بتنكز مصبَّراً في تابوت من مدينة الإسكندرية، فدُفن بتربته جوار جامعه بدمشق....

- التربة التغربورمشية [٨٤٠هـ]:

قبلي جامع يلبغا، على حافة بردى.

أنشأها دوادار نائب الشام جقمق، اسمه حسين أصله من بهنسا، ما التمسه رق قط؛ وإنما ابتداء أمره [بأن] قدم القاهرة وهو غلام، فخيَّط بالأجرة عند خياط تحت القلعة، وسمَّى نفسه تغري ورمش، ثم خدم تبعاً عند قراسنقر من مماليك الظاهر برقوق مدة طويلة، وتنقَّل بعده إلى خدمة الأمراء، إلى أن خدم عند جقمق الدوادار المؤيدي، فجعله دواداره، إلى أن ولي نيابة الشام فخرج معه، فلما قبض جقمق المذكور على برسباي الدقماقي - الذي صار سلطاناً - وسجنه وأراد قتله، فقام تغري ورمش المذكور في الذب عن قتله والمدافعة عنه، فلما آل أمر الدقماقي إلى السلطنة عرفها له وجازاه، فجعله من أمراء مصر ثم ولَّاه نيابة القلعة ونيابة الغيبة بالديار المصرية لما توجه السلطان إلى آمد، ثم ولي أمير أخور كبير ثم نيابة حلب المحروسة، فلما تسلطن الظاهر جقمق وقتل الأمير الكبير قرقماش الشعباني عصى هو وجرى له ما جرى، إلى أن قُتل صبراً بقلعة حلب المحروسة في ثالث عشر ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين وثمانمئة. ومن وقفها قرية جزين من قرى صيدا.

قال الأسدي في تاريخه: وفي شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين دخل إلى دمشق عشرة خاصكية من مصر، وقد أقطعهم السلطان بعض قرية جزين، وكان قد وقفها الأمير تغري ورمش على مدرسته التي أنشأها تحت القلعة، وقيل إنه فعل ذلك بمدرسة حلب المحروسة.

- التربة التوريزيَّة[1] [٨٢٥هـ]:

والجامع بها، أنشأها الأمير غرس الدين خليل التوريزي الدستاري، صاحب الحجاب بدمشق.

قال الأسدي في تاريخه في آخر سنة خمس وعشرين وثمانمئة: وفيها فرغ الأمير غرس الدين التوريزي من بناء تربة له عظيمة برأس الشويكة، وبقي فيها حتى مات، ثم بلغني أنه أُشير عليه بأن يعمل جانبها مسجداً، فشرع في ذلك كما سيأتي ذكره. ثم قال في شهر رجب سنة ست وعشرين وثمانمئة: توفي التوريزي المذكور... وفي يوم الجمعة خامس عشر أُقيمت الجمعة بالمسجد الذي أنشأه الأمير التوريزي إلى جانب تربته شمالي قبر عاتكة... ثم قال في سنة ثمان وأربعين في شهر ربيع الأول منها: وفي هذه الأيام فُتح حمَّام الأمير غرس الدين خليل التوريزي شرقي مدرسته، وهو حمَّام كبير حسن، وأُجر في كل يوم أكثر من أربعين درهماً.

- التربة التنبكميقية [٨٢٦هـ]:

لصيق تربة أبي ذي النون.

أصلها أنشأها أمير حاج أستاذدار العثماني، قال الأستاذ والد شيخنا الأسدي في ذيله في سنة ست وعشرين، ثم قال في وفاته: تنبك ميق نائب السلطنة - بعد أن ذمَّ حاله وأنه همَّ بقتل قاضي القضاة نجم الدين بن حجي وأنه أخذه الله عن قريب - إلى أن قال: ثم مات تنبك ميق في سابع عشرين شعبان سنة ست وعشرين وثمانمئة، ودُفن عند بناته بتربته المغصوبة. والله أعلم.

---

(١) وهي قائمة اليوم عند قبر عاتكة، من غير عناية.

- التربة الجمالية الأسنائية القوصية [٦٢٥هـ]:

بقاسيون.

قال الأسدي في تاريخه سنة خمس وعشرين وستمئة: عبد الرحمن بن علي بن الحسين بن شيث جمال الدين الأموي القرشي الأسنائي القوصي، صاحب ديوان الإنشاء للملك المعظّم، وُلِد بأسنا في سنة سبع وخمسين، ونشأ بقوص وتفنن بها وبرع في الأدب وفي العلم، وكان ديِّناً ورعاً حسن النثر والنظم منشئاً بليغاً، ولي الديوان بقوص ثم بالإسكندرية ثم بالقدس الشريف، ثم ولي كتابة الإنشاء للملك المعظم، ويقال وزر له.

قال الضياء: كان يُوصف بالمروءة والكرم والإحسان إلى الناس، ما قصده أحد في شفاعة فرده خائباً، وكان يمشي بنفسه مع الناس في قضاء حوائجهم، وكان كثير الصدقات واسع المعروف غزير الإحسان، وكان القاضي الفاضل يحتاج إليه في الرسائل، وكان إماماً في فنون العلم، توفي رحمه الله تعالى في المحرم، ودُفن بتربة له بقاسيون.

- التربة الجمالية المصرية [٦٢٣هـ]:

برأس درب الدريحان، من ناحية الجامع الأموي، وهي شرقي دار القرآن التنكزية، وشرقي الصدرية الحنبلية، التي تجاه القليجية الحنفية.

كانت هذه التربة دار قاضي القضاة العلّامة المفنن جمال الدين أبي محمد وأبي الوليد وأبي الفرج المصري، سمع من علي بن هبة الله الكاملي وغيره، وروى عنه البرزالي والشهاب القوصي وغيرهما، وترسل عن العادل إلى الديوان العزيز، أقامه ونوّه بذكره الصاحب بن شكر وولّاه تدريس مدرسة الأمينية.

قال ابن كثير وتبعه الأسدي: توفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وستمئة، ودفن في مجلسه في قاعة شرق القليجية من قبلي الخضرا، ولتربته شباك شرقي المدرسة الصدرية اليوم.

- التربة الجوكندارية [٧٢٣هـ]:

شرقي مسجد النارنج ومصلى العيدين.

قال ابن كثير في سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة: الأمير صارم الدين إبراهيم بن قراسنقر الجوكندار مشد الخاص، ثم ولي دمشق ولاية، ثم عُزل عنها قبل موته بستة أشهر، توفي تاسع شهر رمضان، ودُفن بتربته المشرفة المبيَّضة شرقي مسجد النارنج، كان قد أعدها لنفسه.

وقال البرزالي في سنة أربع وثلاثين وسبعمئة: وفي ليلة الإثنين سابع عشر شوال توفي الأمير صلاح الدين محمد بن الأمير صارم الدين الجوكندار المعروف أبوه بوالي الخاص وبوالي دمشق، حُمل من النيرب إلى مقبرة باب الصغير فدُفن بتربة والده، وكان أمير عشرة ومقدم خمسين من الحلقة، وكان فيه كرم وسماحة.

- التربة الحافظية[1] [٦٤٠هـ]:

والمسجد بها قبلي جسر كحيل، وشمالي تربة القيمرية، بدرب الصالحية الشبلي.

كانت بستاناً للنجيب ياقوت خادم تاج الدين الكندي، اشترته أرغوان الحافظية.

قال ابن كثير في سنة ثمان وأربعين وستمئة: وفيها كانت وفاة الخاتون أرغوان الحافظية، سُميت بالحافظية لخدمتها وتربيتها للحافظ صاحب قلعة جعبر، وكانت امرأة عاقلة مدبرة عمَّرت دهراً، ولها أموال جزيلة عظيمة، وهي التي كانت تصلح الأطعمة للمغيث عمر بن الصالح أيوب، فصادرها الصالح إسماعيل وأخذ منها أربعمئة صندوق من المال، وقد وقفت دارها بدمشق على خدَّامها،

---

(١) وهي قائمة اليوم في طريق عين الكرش القديم، المزرعة، وسط حديقة إلى الشرق من الجامع الكويتي، وصارت مقراً للجمعية الجغرافية السورية.

واشترت بستان النجيب ياقوت الذي كان خادم الشيخ تاج الدين الكندي، وجعلت فيه تربة ومسجداً، ووقفت عليهما أوقافاً جيدة، ومنها بستان بصاروا.

- التربة الخطابية [٧٢٥هـ]:

بسفح قاسيون.

قال ابن كثير في سنة خمس وعشرين وسبعمئة: خطاب باني خان خطاب الذي بين الكسوة وغباغب، الأمير عز الدين خطاب بن محمود بن مرتعش العراقي، كان شيخاً كبيراً، له ثروة من المال كبيرة وأموال وأملاك، وله حمّام بحكر السماق، وقد عمّر الخان المشهور المذكور بعد موته إلى ناحية كتف المصري ما يلي غباغب وهو بمرج الصُفَّر، وقد حصّل الكثير من المسافرين، به رفق، توفي في تاسع عشر ربيع الآخر، ودُفن بتربته بسفح قاسيون، رحمه الله تعالى.

- التربة الخاتونية [٥٨١هـ[1]]:

على نهر يزيد، بصالحية دمشق، قبلي المدرسة الجهارسكية.

وهي تربة عصمة الدين الخاتون بنت الأمير معين الدين زوجة نور الدين ثم صلاح الدين، واقفة المدرسة التي بدمشق للحنفية، وقد مرت ترجمتها فيها، والخانقاه التي عند جامع تنكز أنشأها سنة سبع وسبعين وخمسمئة كما هو مكتوب على الشباك المطل على الطريق وقد وسّع هذه التربة وعملها جامعاً ويعرف الآن بجامع الجديد وأقيمت فيه الجمعة الفقير إلى الله تعالى سليمان بن حسين العقيري التاجر، وذلك بتولي الفقير إلى الله تعالى علي بن التدمري، وذلك في شهور سنة تسع وسبعمئة، غفر له الله تعالى، ولهم آمين، ثم أنشأ الخواجا أبو بكر بن العيني تربة له شمالي هذه، يُسلك إليهما من بابين أحدهما من الجامع المذكور

(١) توفيت عصمة الدين الخاتون في هذه السنة، ودُفنت بتربتها هذه.

وتجاههما إيواناً بمحراب مضافاً إلى الجامع المذكور، ثم أوقف عليه ولده شيخ الإسلام زين الدين عبد الرحمن بن العيني أوقافاً، ورتَّب في الإيوان المذكور مدرِّساً وعشرة من الفقهاء ووقفاً في كل ليلة جمعة، وشرط للمدرِّس والفقهاء أن يكونوا حنفية، وأوقف كتبه، والله تعالى أعلم.

- التربة الدوباجية الجيلانية [٧١٤هـ]:

عند المكارية، شرقي الجامع المظفري بسفح قاسيون.

قال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام في سنة أربع عشرة وسبعمئة: وقدم سلطان جيلان – وهو شمس الدين دوباج – للحج فمات بقباقب من ناحية تدمر، ونُقل فدُفن بقاسيون، وعملت له تربة مليحة، وعاش أربعاً وخمسين سنة، وهو الذي رمى خطلوشاه بسهم فقتله وانهزم التتار.

وقال ابن كثير في سنة أربع عشرة وسبعمئة المذكورة: وفي خامس شوال دُفن الملك شمس الدين دوباج بن ملك شاه بن رستم صاحب جيلان بتربته المشهورة بسفح قاسيون، وكان قد قصد الحج في هذا العام، فلما كان بقباقب أدركته منيته يوم السبت سادس عشرين شهر رمضان، فحُمل إلى دمشق وصُلِّي عليه ودُفن في هذه التربة، اشتُريت له وتُممت وجاءت حسنة، وهي مشهورة عند المكارية شرقي الجامع المظفري، وكان له في مملكته جيلان خمس وعشرون سنة، وعمَّر أربعاً وخمسين سنة، وأوصى أن يحج عنه جماعة، ففُعل ذلك وخرج الركب في ثالث شوال وأميره شمس الدين سنقر الإبراهيمي وقاضية محيي الدين قاضي الزبداني....

- التربة الرحبية [٧٣٥هـ]:

بالمزة.

قال ابن كثير في سنة خمس وثلاثين وسبعمئة: العدل نجم الدين التاجر عبد الرحيم بن أبي القاسم بن عبد الرحمن الرحبي، باني التربة المشهورة

بالمزة، وقد جعل فيها مسجداً، ووقف عليها أوقافاً دارةً وصدقات هناك، وكان من خيار أبناء جنسه، عدل مرضي عند جميع الحكام، وترك أولاداً وأموالاً جمة وداراً هائلة وبساتين بالمزة، وكانت وفاته يوم الأربعاء سابع عشر جمادى الآخرة، ودُفن بتربته المذكورة بالمزة، رحمه الله.

وقال البرزالي في سنة خمس المذكورة، ومن خطه نقلت: وفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة توفي الشيخ العدل نجم الذين عبد الرحيم بن أبي القاسم بن عبد الرحيم الرحبي بالمزة، ودُفن يوم الخميس بعد الظهر بتربته بها، وكان رجلاً أميناً يشهد على الحكام، وعمَّر بالمزة مسجداً وتربة، ورتَّب بها جماعة، وكان من التجار المشهورين، وأوصى من ثلث تركته بخمسين ألف درهم يشتري بها ولده عقاراً ويوقفه صدقة، وترك ثلاثة أولاد، وقد جاوز الثمانين، رحمه الله تعالى.

- التربة الزويزانية[١] [٦٢٨هـ]:

بميدان الحصى، عند مسجد الفلوس.

قال ابن كثير في سنة ثمان وعشرين وستمئة: جمال الدولة خليل بن زويزان، رئيس قصر الحجاج، كان كيِّساً ذا مروءة، له صدقات كثيرة، وله زيارة في مقابر الصوفية من ناحية القبلة، مات ودُفن بتربته عند مسجد الفلوس.

وقال الأسدي في تاريخه في السنة المذكورة: خليل بن إسماعيل بن علي بن علوان بن زويزان المولى جمال الدين، رئيس قصر حجاج، وإليه تُنسب قطاع زويزان، مات في شهر ربيع الأول، وخلَّف عقاراً وعيناً ما يزيد على مائتي ألف دينار ودرهم، وتصدَّق بثلث ماله، ووقف ذلك على القرَّاء والعلماء بتربته بميدان الحصى عند مسجد الفلوس....

---

(١) وهي قائمة اليوم.

- التربة الزاهرية[1] [٧٠٥هـ]:

شرقي مدرسة الشيخ أبي عمر رحمه الله تعالى، على حافة نهر يزيد بقاسيون.

قال صلاح الدين الصفدي في أول حرف الشين المعجمة: شاذي الملك الأوحد بن الأمير الكبير تقي الدين بن الزاهر مجير الدين داود بن المجاهد شيركوه صاحب حمص بن محمد بن شيركوه بن شاذي الحمصي ثم الدمشقي، وُلِد سنة ثمان وأربعين وتوفي سنة خمس وسبعمئة بالبقاع، ونُقل إلى دمشق ودُفن بتربة أبيه بقاسيون، كان أحد الأمراء الكبار، حفظ القرآن وساد أهل بيته، وكان ذا رأي وسؤدد وفضيلة وشكل ومهابة، سمع من الفقيه اليونيني وابن عبد الدايم، وسمع ولده الملك صلاح الدين من ابن البخاري، وحدَّث وسمع منه علم الدين البرزالي، وكان قد اختص بالأفرم وولَّاه أمر ديوانه وتدبير أمره، ولما توجه الأفرم بالعسكر إلى جبل كسروان توجه معه ومرض هناك، ونُقل بعد ما توفي رحمه الله تعالى.

وقال ابن كثير في سنة ثمانين وستمئة: وفي يوم السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة توفي الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك الزاهر داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن شاذي صاحب حمص، ودُفن بتربتهم بقاسيون....

- التربة السنقرية الصلاحية [٦٢٠هـ]:

قال الأسدي في تاريخه في سنة عشرين وستمئة: سنقر الحلبي الصلاحي الأمير مبارز الدين، كان من كبار الدولة بحلب المحروسة، ثم انتقل عنها إلى ماردين، فتخيل الأشرف منه فأرسل إليه المعظم ووعده بأن يعطيه نابلس، فلما قدم أعرض عنه المعظم وندم هو على قدومه وتفرقه عن أصحابه.

---

(١) تحولت اليوم إلى مسكن.

.... قال أبو المظفر: ويقال إنه كان مملوك شمس الدولة بن أيوب، ولم يكن في زمانه من الصلاحية وغيرهم أكرم ولا أشجع منه، وكانت له المواقف المشهورة مع صلاح الدين وغيره، وكانت الدنيا عنده لاتساوي قليلاً ولا كثيراً، وكان قد وصل معه إلى الشام ذهب وجمال وخيل وغيرها، ما قيمته مئة ألف دينار، ففرَّق الجميع ولم يخلِّف ذهباً، وكان شبل الدولة صديقه، فاشترى له تربة على رأس زقاق شبل الدولة عند المصنع، وكانت وفاته في شعبان.

- التربة السلامية [٧٣٢هـ]:

قال الذهبي في ذيل العبر في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمئة: ومات بدمشق ناظر الجيش الصدر قطب الدين موسى بن أحمد بن شيخ السلامية في ذي الحجة عن اثنتين وسبعين سنة، ودُفن بتربة مليحة أنشأها، وكان من رجال الدهر، وله فضل وخبرة....

- التربة السنبلية العثمانية[١] [٨٢٥هـ]:

شرقي تربة الجيغاي، شمالي تربة مختار.

أنشأها الأمير سنبل بن عبد الله الطواشي عتيق ملك الأمراء ألطنبغا العثماني، وباشر الزمامة لملك الأمراء سودون بن عبد الرحمن.

قال الأسدي في شوال سنة سبع وعشرين ما صورته: وفي يوم السبت ثاني عشر ولي نظر الجامع الأموي زمام نائب الطواشي سنبل.

- التربة السودونية [٨٤٨هـ]:

فوق المعظَّمية، بالسفح من قاسيون.

أنشأها سودون النوروزي، وكان اسمه بين الأمراء سودون المغربي لبخله وسوء خلقه، وكان حاجب الحجاب وأمير التركمان بدمشق، هو من بقية جماعة

---

(١) وهي قائمة اليوم، وإنما متملكة.

الظالم الغاشم نوروز الحافظي، مات سنة ثمان وأربعين وثمانمئة، ودُفن بتربته هذه بالصالحية، ثم استقر بعده في الحجوبية وإمرة التركمان الأمير جاني بك الناصري دوادار برسباي الحاجب الكبير الذي كان بدمشق.

- التربة الشهيدية [القرن الثامن الهجري]:

بباب الفراديس.

وجدت بخط ابن ناصر الدين: وفي يوم الجمعة خامس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمئة قُتل السلطان فرج بن برقوق، وكان بقلعة دمشق، ودُفن بمقبرة باب الفراديس بتربة ابن الشهيد.

- التربة الشهابية [القرن التاسع الهجري]:

بالصالحية.

قال تقي الدين بن قاضي شهبة في شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثمانمئة: وممن توفي فيه بدر الدين بن غانم الموقع وناظر التربة الشهابية بالصالحية، توفي ليلة الأربعاء حادي عشره، وكان مسرفاً على نفسه، ذميم السيرة، توفي على نحو ستين سنة.

- التربة الشرابيشية [القرن الثامن الهجري]:

قبالة جامع جراح[1].

قال الحافظ علم الدين البرزالي، ومن خطه نقلت: في سنة أربع وثلاثين وسبعمئة وفي يوم الخميس الرابع والعشرين من صفر توفي شهاب الدين أحمد بن نور الدولة علي بن أبي المجد بن محاسن الشرابيشي التاجر السفّار، ودُفن يوم الجمعة بالمكان الذي وقفه والده خارج الباب الصغير قبالة جامع جراح، وكان له همة ونهضة وتودد إلى الناس....

---

(١) في مقبرة الباب الصغير اليوم.

- التربة الصصرية [القرن الثامن الهجري]:

عند الركنية، بسفح قاسيون.

بها الحافظ أبو المواهب وأخوه أبو الغنائم ابنا صَصْرَى، رحمهما الله تعالى.

- التربة الصوابية[1] [٦٩٨هـ]:

غربي سفح قاسيون، وشمالي دار الحديث الناصرية.

قال الصفدي في الوافي بالوفيات: الخادم بدر الجيش الصوابي الطواشي الأمير بدر الدين أبو المحاسن، وهو منسوب إلى الطواشي صواب العادلي، وكان موصوفاً بالشجاعة والرأي في الحرب، والعقل والرزانة والفضل والديانة والبر والصدقة، والإحسان إلى أصحابه وغلمانه، وكان أميراً مقدماً أكثر من أربعين سنة، وجنده مئة فارس....

وقال الذهبي في العبر في سنة ثمان وتسعين وستمئة: والصوابي الخادم الأمير الكبير بدر الجيش، من المقدمين بدمشق، وله مئة فارس، توفي فجأة بقرية الخيارة في جمادى الأولى، وكان ديِّناً معمِّراً موصوفاً بالشجاعة والعقل والرأي، روى لنا عن ابن عبد الدايم. وصواب المنسوب إليه صاحب هذه التربة هو شمس الدين العادلي الخادم مقدم الجيش للكامل، وفاته في صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمئة، وله شعر وترجمة طويلة....

- التربة الصارمية البرغشية العادلية [٦٠٨هـ]:

غربي الجامع المظفري.

قال ابن كثير في سنة ثمان وستمئة: صارم الدين برغش العادلي، نائب القلعة بدمشق، توفي في مصر ودُفن بتربته غربي الجامع المظفري، وهو الذي نفى الحافظ عبد الغني المقدسي إلى مصر، وبين يديه كان عقد المجلس،

---

(١) لا أثر لها اليوم.

وكان من جملة من قام عليه ابن الزكي والخطيب الدولعي، وقد توفوا أربعتهم وغيرهم ممن قام عليه، واجتمعوا عند ربهم الحكيم العدل سبحانه.

- التربة الطوغانية الناصرية [٨٤٧هـ]:

شمالي تربة الخواجا شمس الدين بن مزلق، برأس الزقاق، برأس حارة ابن مسعود، شمالي مسجد الذبان والمأذنة البصية، غربي مقبرة الباب الصغير.

قال والد شيخنا الأسدي في ذيله في سنة سبع وأربعين وثمانمئة: وفي يوم السبت تاسع عشري شهر ربيع الأول منها جيء بالأمير طوغان ميتاً من صفد، وكان أمير عشرة مشد العشر مدة، وهو من الناصرية ثم نقل إلى صفد أميراً كبيراً، فمات بها وجيء به فدُفن بتربته شمالي تربة الخواجا شمس الدين بن المزلق، وهي تجاه تربة نائب السلطنة قصروه وعلى كتف نهر قليط.

- التربة العزية والمسجد الحلبيين [٦٦٦هـ]:

بسفح قاسيون.

قال الصفدي: وهو عبد العزيز بن منصور بن محمد بن وداعة الصاحب عز الدين الحلبي، ولي خطابة جبلة في أوائل أمره، وولي للملك مشد الدواوين بدمشق وكان يعتمد عليه، وكان يظهر النسك والدين ويقتصد في ملبسه وأموره، فلما تسلطن الظاهر ولّاه وزارة الشام، ولما ولي النجيبي نيابة السلطنة حصل بينه وبين ابن وداعة وحشة؛ لأن ابن النجيبي كان سنياً وكتب ابن وداعة إلى السلطان يطلب منه مشداً تركياً، فظن أنه يكون بحكمه ويستريح من النجيبي، فرتب السلطان الأمير عز الدين كستغدي القشيري، فوقع بينهما وكان يهينه، ثم كاتب فيه، فجاء المرسوم بمصادرته، فصُودر وأخذ خطه بجملة كثيرة، وعلّقه وعصره وضربه بقاعة الشد، وباع موجوده وأملاكه التي كان وقفها وحل عنها، ثم طُلب إلى مصر فتوجه ومرض في الطريق ودخل متقلاً، فمات بالقاهرة سنة ست وستين وستمئة، وله تربة ومسجد بقاسيون، وله وقف وبر.

- التربة العلائية الأميرية [٨١٠هـ]:

بمقبرة الصوفية، وهي تربة الأمير علي نائب الشام كان.

قال الأسدي في تاريخه في شهر رجب سنة أربع عشرة وثمانمئة: وهي بناها على أن يُدفن بها، فمات بمصر وولَّاها الأمير قرابغا الحاجب كان، إلى أن قال: وفي كتاب الوقف أربعة مقرئة يقرؤون القرآن في التربة كل يوم....

- التربة العزية الأيبكية الحموية [٧٠٣هـ]:

بالسفح، غربي زاوية ابن قوام.

قال ابن كثير في سنة ثلاث وسبعمئة: الأمير الكبير عز الدين أيبك الحموي، ناب بدمشق ثم عُزل عنها إلى صرخد، ثم نُقل قبل موته بشهر إلى نيابة حمص وفيها توفي يوم العشرين من شهر ربيع الآخر، ونُقل إلى تربته بالسفح غربي زاوية ابن قوام، وإليه يُنسب الحمَّام بمسجد القصب الذي يقال له حمَّام الحموي، عمَّره في أيام نيابته، رحمه الله.

- التربة العديمية [٦٧٧هـ]:

عند زاوية الحريري غربي الزيتون، على الشرف القبلي.

قال ابن كثير في تاريخه في سنة سبع وسبعين وستمئة: قاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن بن جمال الدين عمر بن أحمد بن العديم الحلبي ثم الدمشقي، ولي قضاء الحنفية بعد ابن عطاء الله بدمشق، وكان رئيساً ابن رئيس، له كرم أخلاق، وقد ولي الخطابة بجامع القاهرة الكبير وهو أول حنفي وليه، توفي بجوسقة بدمشق في شهر ربيع الأول من هذه السنة، وتربته عند زاوية الحريري، ودُفن بها على الشرف القبلي غربي الزيتون، رحمه الله تعالى.

- التربة العمادية[1] [٥٦٥هـ]:

شمالي تربة جركس، بقاسيون.

قال الصفدي في ترجمة أبي بكر بن الداية: واتفق موته وموت العمادي دمشق، فحزن عليهما نور الدين الشهيد، وقال: قُصَّ جناحاي، وأعطى أولاد لعمادي بعلبك، وكانت وفاة ابن الداية سنة خمس وستين وخمسمئة، وللعمادي المذكور بقاسيون تربة مشهوره شمالي تربة جركس، وهي أول تربة بُنيت بالجبل، واسمه مكتوب على بابها....

- الترببه العزية البدرانية الحمزية [٧٦٩هـ]:

بالصالحية، عند الجامع الأفرم.

أنشأها حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين بن بدران الشيخ الإمام العلّامة عز الدين أبو يعلى المعروف بابن شيخ السلامية، وسمع من الحجاز وتفقّه على جماعة، ودرّس بالحنبلية.

قال ابن قاضي شهبة: ووقف درساً بتربته بالصالحية وكتباً، وعيَّن لذلك الشيخ زين الدين بن رجب، توفي ليلة الأحد حادي عشرين ذي الحجة سنة تسع وستين وسبعمئة، ودُفن عند والده وجده عند جامع الأفرم بتربته.

- الترببه العادلية البرانية[2] [٧٠٢هـ]:

غربي دار الحديث الناصرية البرانية، بسفح قاسيون.

قال الذهبي في ذيل العبر في سنة اثنتين وسبعمئة: ومات متولي حماة الملك العادل زين الدين كتبغا المعلى المنصوري، ونُقل ودُفن بتربته بسفح قاسيون، مات يوم الجمعة يوم الأضحى، وكان في آخر الكهولة، أسمر قصيراً

(١) قائمة اليوم، وإنما بحالة سيئة.

(٢) قائمة اليوم، وجُددت مؤخراً.

دقيق الصوت شجاعاً قصير العنق، منطوياً على دين وسلامة باطن وتواضع، تسلطن بمصر عامين وخُلع في صفر سنة ست وتسعين، فالتجأ إلى صرخد ثم أُعطي حماة.

وقال تلميذه ابن كثير في سنة اثنتين المذكورة: الملك العادل زين كتبغا، توفي بحماة نائباً عليها بعد صرخد يوم الجمعة يوم عيد الأضحى، ونُقل إلى تربته بسفح قاسيون غربي الرباط الناصري يقال لها العادلية، وهي تربة مليحة ذات شبابيك وبوابة ومأذنة، وله عليها أوقاف دارّة على وظائف من قراءة وأذان وإمامة، وكان من كبار الأمراء المنصورية، وقد ملك البلاد بعد مقتل الأشرف خليل بن المنصور، ثم انتزع الملك منه لاجين، وجلس في قلعة دمشق ثم تحوّل إلى صرخد، فكان بها حين قُتل لاجين، وأخذ الملك الناصر ابن قلاوون، فاستنابه بحماة حتى كانت وفاته بها كما ذكرنا، وكان من خيار الملوك وأعدلهم وأكثرهم براً، وكان من خيار الأمراء والنواب، رحمه الله تعالى....

- التربة العادلية الجوانية بالمدرسة العادلية الكبرى[1] [٦١٩هـ]:
تجاه الظاهرية.

[ترجمة العادل الأيوبي]

قال الأسدي في تاريخه في سنة خمس عشرة وستمئة: الملك العادل أبو بكر بن أيوب بن محمد بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني ثم التكريتي ثم الدمشقي، السلطان الملك العادل أبو بكر بن الأمير نجم الدين أيوب، وُلِد ببعلبك في سنة أربع وثلاثين، وهو أصغر من أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بسنتين، وقيل مولده سنة ثمان وثلاثين، وقيل في أول سنة أربعين، نشأ في خدمة نور الدين الشهيد مع أبيه وإخوته، وحضر مع

---

(١) قائمة اليوم، وجُددت مؤخراً.

أخيه صلاح الدين فتوحاته، وكان صلاح الدين يعوّل عليه كثيراً، واستنابه بمصر مدة، ثم أعطاه حلب المحروسة ثم أخذها منه لولده الظاهر وأعطاه الكرك عوضها ثم حران.

قال بعضهم: وكان أقعد الملوك بالملك، وملك من بلاد الكرج إلى قرب همدان والجزيرة والشام ومصر والحجاز واليمن وحضرموت، وأبطل كثيراً من الظلم والمكوس.

وقال أبو المظفر السبط: كان خليقاً بالملك حسن التدبير حليماً صفوحاً مجاهداً عفيفاً متصدقاً، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، طهَّر جميع ولايته من الخمور والمكوس والخواطئ والمظالم، وكان الحاصل من ذلك بدمشق خصوصاً مئة ألف دينار، فأبطل الجميع لله تعالى، وأعانه على ذلك واليه المعتمد، ثم ذكر ما نقله في غلاء مصر وبالغ حتى نسبه الذهبي إلى المجازفة، وقضاياه مشهورة مع الأفضل والعزيز، وآخر الأمر استقل بمملكة الديار المصرية ودخل القاهرة في شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين، وملك معها البلاد الشامية والشرقية، وصفت له الدنيا، ثم ملك اليمن سنة اثنتي عشرة وستمئة، ولما تمهدت البلاد قسَّمها بين أولاده الكامل والمعظم والأشرف، وكان يتردد بينهم وينتقل من مملكة إلى أخرى، وكان في الغالب يصيِّف بالشام ويشتّي بمصر، وأمر بعمارة قلعة دمشق، وألزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج.

وقال الموفق عبد اللطيف في سيرة العادل: كان أصغر الأخوة وأطولهم عمراً، وأعفُّهم ذكراً وأنظرهم في العواقب وأشدهم إمساكاً وأحبهم للدرهم، وكان فيه حلم وأناة وصبر على الشدائد، وكان سعيد الحظ مظفراً بالأعداء، وكان أكولاً نهماً يحب الطعام ويحب اختلاف الألوان، وكان أكثر أكله بالليل وبالخل، وعندما ينام آخر الليل يُصنع له ويأكل رطلاً بالدمشقي من خبيص السكر، وكان كثير الصلاة ويصوم الخميس، وله صدقات في كثير من الأوقات فخاصة عندما تنزل به الآفات، وكان كريماً على الطعام يحب من

يؤاكله، وكان قليل الأمراض، وكان يكثر من اقتناء السراري، وكان عفيف الفرج لا يعرف له نظر إلى غير حلاله، نجب له أولاد.

وكان العادل قد وقع بغضه في قلوب رعاياه والمخامرة عليه في قلوب جنده، وعملوا في مقتله أنواعاً وأصنافاً من الحيل الدقيقة مرات كثيرة، وعندما يقال إن الحيلة قد تمت تنتسخ وتتكشف وتتحسم موادها، ولولا أولاده يعولون بلاده لما ثبت ملكه، بخلاف أخيه صلاح الدين فإنه إنما حفظ ملكه بالمحبة له وحسن الطاعة، ولم يكن [العادل] بالمنزلة المكروهة؛ وإنما الناس قد ألفوا دولة السلطان صلاح الدين وأولاده، فتغيَّرت عليهم العادة دفعة واحدة، ثم إن وزيره ابن شكر بالغ في الظلم وتفنَّن.

ومن صفات العادل الجميلة أنه كان يعرف حق المحبة والصحبة، ولا يتغير على أصحابه ولا يضجر منهم وهم عنده في حظوة، وكان يواظب على خدمة أخيه السلطان صلاح الدين، يكون أول داخل عليه وآخر خارج من عنده، وكان أخوه يشاوره في الأمور لما جرَّب من نفوذ رأيه، وحصل له في آخر عمره ضعف ورعشة.

توضَّأ مرة فقال: اللهم حاسبني حساباً يسيراً، فقال له رجل فاجر: يا مولانا إن الله قد يسَّر حسابك، قال: ويلك وكيف ذلك، فقال: إذا حاسبك فقل له المال كله في قلعة جعبر لم أُفرّط منه في قليل ولا كثير، وكانت خزانته بالكرك ثم نقلها إلى قلعة حعبر ثم نقلها إلى قلعة دمشق، فحصلت في قبضة المعظم فلم ينازعه فيها إخوته.

توفي بعالقين بقرب دمشق في جمادى الآخرة، فحُمل إلى القلعة، فلما صار بالقلعة أظهروا موته ودفنوه بالقلعة، ثم نُقل إلى تربته بمدرسته في سنة تسع عشرة، وكان له من الأولاد الذكور سبعة عشر ولداً، مات بعضهم في حياته، وكان يعتريه مرض في أنفه في زمن الورد، ويُضرب له الوطاق بمرج الصفَّر، ثم يدخل البلد بعد ذلك....

- التربة الغرلية[1] [٧١٩هـ]:

بقاسيون.

قال الذهبي في ذيل العبر في سنة تسع عشرة وسبعمئة: ومات بدمشق الأمير سيف الدين غرلو العادلي الذي استنابه العادل كتبغا على دمشق في آخر سنة خمس وتسعين، وكان أحد الشجعان العقلاء، وله تربة مليحة بقاسيون.

- التربة القراجية الصلاحية [٦٠٢هـ]:

في قبة على جادة الطريق عند تربة ابن تميرك، بالسفح.

قال ابن كثير في سنة أربع وستمئة: الأمير زين الدين قراجا الصلاحي صاحب صرخد، وكانت له دار عند باب الصغير عند قناة الزلاقة، وتربة بالسفح على جادة الطريق عند تربة ابن تميرك....

- التربة القراجية [٧٠٣هـ]:

بميدان الحصى.

قال ابن كثير في المحرم سنة ثلاث وسبعمئة: وفي هذا الشهر توفي الأمير زين الدين قراجا أستاذدار الأفرم، ودُفن بتربته بميدان الحصى عند النهر.

- التربة القيمرية[2] [٦٥٤هـ]:

قال الذهبي في العبر في سنة ثلاث وخمسين وستمئة: وسيف الدين القيمري صاحب البيمارستان بالجبل، وكان من جملة الأمراء وأبطالهم المذكورين، توفي بنابلس ونُقل ودُفن بتربته التي هي تجاه البيمارستان. وقال في المختصر في السنة المذكورة: فيها توفي الأمير البطل الأوحد سيف الدين القيمري، ودُفن بقبته التي تجاه البيمارستان الذي عمله بسفح قاسيون.

---

(١) قائمة اليوم، وإنما مؤجرة لأحد التجار !!.

(٢) قائمة اليوم مقابل البيمارستان القيمري بالصالحية، وهي بحالة سيئة.

قال ابن كثير في سنة أربع وخمسين وستمئة: واقف بيمارستان الصالحية الأمير الكبير سيف الدين أبو الحسن يوسف بن أبي الفوارس موسك القيمري الكردي أكبر أمراء القيامرة، كانوا يقفون بين يديه كما تُعامل الملوك، ومن أكبر حسناته وقفه البيمارستان الذي بسفح قاسيون، وكانت وفاته ودفنه بالسفح بالقبة التي تجاه البيمارستان المذكور، وكان ذا مال كثير وثروة، رحمه الله تعالى.

- التربة القطلوبكية [القرن الثامن الهجري]:

شمالي باب الفراديس.

وهي تربة الأمير سيف الدين قطلوبك الشنكير الرومي، كان من أكابر الأمراء، وولي الحجوبية في وقت، وهو الذي عمَّر القناة بالقدس، توفي يوم الإثنين سابع شهر ربيع الأول، ودُفن بتربته شمالي باب الفراديس، وهي مشهورة حسنة، وحضر جنازته بسوق الخيل النائب والأمراء، رحمه الله تعالى.

- التربية القطينية [٧٢٣هـ]:

قال الذهبي بذيل العبر في سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة: ومات كبير المتولين بدمشق شهاب الدين أحمد بن محمد بن القطينة الزرعي عن ثمانين سنة، ودُفن بتربة مليحة بطريق القابون، بلغت زكاته في عام قازان خمسة وعشرين ألفاً، وفي دولة الظاهر كان رأس ماله ألف درهم.

وقال ابن كثير في سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة: شهاب الدين أحمد بن محمد بن قطينة الزرعي التاجر المشهور بكثرة الأموال والبضائع والمتاجر، قيل بلغت زكاة ماله في سنة قازان خمسة وعشرين ألف دينار، وتوفي في شهر ربيع الأول من هذه السنة، ودُفن بتربته التي بباب بستانه المسمى بالموقع عند ثورا في طريق القابون، وهي تربة هائلة، وكان له أملاك، رحمه الله تعالى.

- التربة القمارية [٦٩٠هـ]:

بسفح قاسيون.

رأيت بخط الأسدي: قماري خاتون بنت حسام الدين الحسن بن ضياء الدين أبي الفوارس القيمري، وقفت الخان بمسجد القصب سنة أربع وتسعين وستمئة، وهي صاحبة التربة بالسفح، رحمها الله تعالى.

- التربة القانبائية البهلوانية [٨٤٩هـ]:

قبلي تربة يونس الدوادار، لصيقها الآتية.

عمَّرها قان باي البهلوان، تنقَّل في ولايات صفد ثم حماة، إلى أن تولى نيابة حلب المحروسة عن قان باي وهو الحمزاوي في شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وثمانمئة، واستقر عوضه برسباي الناصري نائب طرابلس، رحمه الله تعالى.

- التربة الكركية الأياسية الفخرية [٨٢٨هـ]:

بطريق الصالحية، عند حمَّام الورد.

قال الأسدي في تاريخه في سنة أربع وثلاثين وثمانمئة: فخر الدين أياسي الكركي الحاجب الثالث، توفي في تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثلاثين المذكورة، انقطع يومين فقط ودُفن بتربته عند حمام الورد، وكان يأخذ أموره كلها بالضحوكية، ووطأته على الناس خفيفة، ويداري العرب بطريق الحجاز ويضحك عليهم باليسير، والناس معهم بسببه بخير، عمل إمرة الحاج مراراً. وكان فراغه من إنشائها سنة ثمان وعشرين وثمانمئة كما هو مرسوم عقب ذكر وقفها بالواجهة الحجر فوق الشبابيك، وتُفتح أبوابها إلى جهة الغرب، وقد أُحكم بنائها فإنها قبو مكين وله فيها فسقيتان، وعلى هذا البناء الروح، رحمه الله تعالى.

- التربة الكوكبائية[1] [٧٣٠هـ]:

وهي تربة الست ستيتة الخوندة المعظمة المحجبة بنت الأمير سيف الدين الكبير كوكبائي المنصوري، زوجة نائب الشام تنكز الملقب بسيف الدين، شرقي الأكزية، وغربي الطيبة، وقبلي النورية الكبرى.

قال ابن كثير في سنة ثلاثين وسبعمئة: وصاحبة التربة بباب الخواصين، توفيت بدار الذهب وصُلِّي عليها بالجامع، ودُفنت بالتربة التي أمرت بإنشائها عند باب الخواصين، وفيها مسجد وإلى جانبها الغربي رباط للنساء ومكتب للأيتام، وفيها صدقات وبر وصلاة وقُرَّاء، كل ذلك أمرت به، وكانت قد حجَّت في العام الماضي، رحمها الله تعالى.

وقال البرزالي في تاريخه في سنة ثلاثين المذكورة، ومن خطه نقلت: وفي ليلة الإثنين ثالث شهر رجب توفيت زوجة نائب السلطنه بالشام المحروسة الأمير سيف الدين تنكز الملكي الناصري، وهي الست الكبيرة المحترمة بنت الأمير سيف الدين كوكباي المنصوري الناصري، وصُلِّي عليها بكرة الإثنين بجامع دمشق، ودُفنت بمكان اشترته لدفنها إلى جانب المدرسة الطيبة بقرب الخواصين داخل دمشق، وحضرها جمع كثير: القضاة والأمراء والأكابر وعامة الناس، وعمل عزاها بالمدرسة القليجية جوار الدار التي توفيت فيها، وشُرِع في عمارة المكان الذي دُفنت فيه، وأُحضرت الآلات والصناع، وحصل الإتمام بذلك، وبلغني أنها أوصت أن يعمل قبة على الضريح وفي جواره مسجد ورباط للنساء، رحمها الله وتقبَّل منها، فعُمل ذلك جميعه، وكانت [قد] حجت بالعام الماضي وتصدقت، وأثنى الناس عليها.

---

(١) عند زقاق المحكمة اليوم.

- التربة الكندية [٦١٣هـ(١)]:

بسفح قاسيون.

وهي تربة العلّامة تاج الدين أبي اليمن الكندي الحنفي.

قال الصفدي في تاريخه في حرف الزاي: ودُفن بتربته بالسفح، وله ترجمة طويلة في نحو كراسة مذكورة فيه لخّصت منها شيئاً في المدرسة التاجية الحنفية، فراجعها.

- التربة الكاملية الصلاحية البرانية [القرن الثامن الهجري]:

بالجبل، تحت كهف جبريل.

قال الحافظ علم الدين البرزالي ومن خطه نقلت في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة: وفي ليلة الأربعاء وقت السحر الثالث والعشرين من شوال توفي الشيخ الفقيه الإمام المحدث المفيد العدل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن غنائم بن وافد بن المهندس الصالحي الحنفي، وصُلّي عليه عقيب الظهر بالجامع المظفري بسفح جبل قاسيون، ودُفن بتربة والده بالقرب من المدرسة المعظّمية، ومولده في سنة خمس وستين وستمئة تقريباً، وكان اشتغل بالفقه وسمع الكثير من أصحاب ابن طبرزد وحنبل والكندي ومن بعدهم، ونسخ بخطه كثيراً، وحصّل النسخ والأصول وتعب في ذلك، وخرّج لنفسه ولبعض الشيوخ، ورحل إلى الديار المصرية وإلى حلب المحروسة، وحجّ مرات وزار القدس الشريف، وسمع في البلاد وحصّل تحصيلاً كثيراً، وكان من أعيان الشهود العدول، لازم الشهادة وكتابة الشروط مدة طويلة، وكان رجلاً جيداً فيه ديانة وخير ومحبة للعلم، وأسمع جملة من مسموعاته، ورافقته في الحج فرأيت فيه حرصاً على العبادة والخير، وكان شيخ الحديث بمشهد ابن عروة وبالتربة الكاملية الصلاحية بالصالحية، وله وظائف وجهات....

---

(١) وهو سنة وفاة الكندي.

- التربة الكاملية الجوانية[1] [٦٣٥هـ]:

شرقي الخانقاه السميساطية.

قال عز الدين الأنصاري الحلبي: ولما ملكها - يعني دمشق - الملك الكامل وتوفي بها، عمدت بناته الثلاث إلى أماكن في جوار باب الناطفانيين، فاشتروها وعمَّروها تربة مفتوحة الشبابيك إلى الجامع، وبها قرَّاء.

[ترجمة الكامل الأيوبي]

وقال الذهبي في العبر في سنة خمس وثلاثين وستمئة: والكامل سلطان الوقت ناصر الدين أبو المعالي محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وُلِد سنة ست وسبعين وخمسمئة، وتملَّك الديار المصرية تحت جناح والده عشرين سنة وبعده عشرين سنة، وملك دمشق قبل موته بشهرين، وتملَّك حران وآمد، وتلك الديار، وله مواقف مشهودة، وكان صحيح الإسلام معظماً للشريعة والسنة وأهلها، محباً لمجالسة العلماء، فيه عدل وكرم وحياء، وله هيبة شديدة، مرض بقلعة دمشق بالسعال والإسهال نيِّفاً وعشرين ليلة، وكان في رجله نقرس، ومات في الحادي والعشرين من شهر رجب، ومن عدله المخلوط بالجبروت والظلم شنق جماعة من أجناده على آمد في أكيال شعير غصبوه.

وقال في مختصر تاريخ الإسلام في سنة خمس وثلاثين المذكورة: وفيها مات الأخوان الملك الأشرف مظفر الدين موسى في أول السنة وتملَّك البلد الملك الكامل فمات في القلعة بعد ستة أشهر، وكان مولدهما بالقاهرة في عام واحد أيضاً وهو سنة ست وسبعين وخمسمئة، فأما الأشرف... إلى أن قال: وأما الكامل فإنه تملَّك الديار المصرية أربعين سنة، وعمَّر دار الحديث بها وقبة على ضريح الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، وله مواقف مشهودة في الجهاد، وكان معظماً للسنن، محباً لمجالسة العلماء، فيه عقل ودين، ولما بلغه

---

(١) وهي قائمة اليوم.

موت الأشرف أخيه سار إلى دمشق - وقد تسلطن بها أخوه الصالح إسماعيل - فأخذها منه واستقر بالقلعة، فما بقي شهرين حتى فاجأته المنية بالسعال والإسهال، وكان فيه نقرس، وكان فيه أيضاً جبروت وسخف....

- التربة المختارية الطواشية[1] [٧١٦هـ]:

وهي تربة الطواشي ظهير الدين مختار، وهو البلبيسي الخازندار بالقلعة وأحد أمراء الطبلخانات بدمشق، كان خيِّراً ديِّناً فاضلاً، يحفظ القرآن ويؤديه بصوت حسن طيب، ووقف مكتباً للأيتام على باب قلعة دمشق، ورتّب لهم الكسوة والجامكية، وكان يمتحنهم بنفسه ويفرح بهم، وعمل له تربة خارج باب الجابية، ووقف عليها القريتين، وبنى عندها مسجداً حسناً ووقفه بإمام، وهي أول ما عمل من الترب بذلك الخط، وهي قبلي الصابونية الآن، ودُفن بها في يوم الخميس عاشر شعبان، وقد كان حسن الشكل والأخلاق، وعليه سكينة ووقار وهيبة، وله وجاهة في الدولة....

- التربة المؤيدية الشيخية [٨٢٠هـ]:

على الشرف الشمالي، فوق المدرسة العزية.

ودُفن بها زوجة ملك الأمراء نائب الشام أقبية، وهي مستولدة السلطان الملك المؤيد شيخ أم ولده الأمير إبراهيم، توفيت نفساء بدمشق ثالث عشر جمادى الأولى سنة عشرين وثمانمئة، وحضر جنازتها القضاة والأمراء، وبطل القضاة الحكم بسببها، وكانت قد قدمت دمشق في العام الماضي مارة إلى حلب المحروسة لما تولاها زوجها ونزلت الميدان وراح لها فيه عملة، ثم جاءت إلى دمشق لما وليها زوجها، لخّصت ذلك من ذيل تقي الدين بن قاضي شهبة في سنة عشرين، ثم قال في صفر سنة اثنتين وعشرين وثمانمئة: وفي

---

(١) غربي مقابر الباب الصغير على الطريق العام، وتوفي واقفها سنة ٧١٦هـ.

يوم الإثنين خامس عشره دخل سيدي إبراهيم بن السلطان الملك المؤيد شيخ إلى دمشق، إلى أن قال: وعمل ابن الملك المؤيد عند قبر أمه ختمة حضرها القرَّاء والقضاة، ووقف على التربة وقفاً، ورتَّب بها مقرئة أربعة.

- التربة المؤيدية الصوفية [٥٤٩هـ]:

بدمشق.

قال الذهبي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وخمسمئة: ومؤيد الدولة بن الصوفي الدمشقي، وزير صاحب دمشق آبق، وكان ظالماً غشوماً، فسُرَّ الناس بموته سروراً عظيماً، ودُفن بداره بدمشق.

- التربة المراغية [٧٦٤هـ]:

داخل دمشق، بزاوية الشيخ السراج، وهي بالصاغة العتيقة، بالقرب من سكن الميت.

قال الحسيني رحمه الله تعالى في آخر ذيل العبر في آخر سنة أربع وستين وسبعمئة: وشيخنا الإمام العلَّامة الزاهد القدوة بهاء الدين أبو الأدب هارون الشهير بعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الوالي الأخميمي المراغي المصري ثم الدمشقي الشافعي، كان بارعاً في المعقولات، تخرَّج بالشيخ علاء الدين القونوي، وروى لنا عن يونس الدبابيسي، وألَّف كتاب: المنقذ من الزلل في القول والعمل، وكان يؤم بمسجد درب الحجر، ودُفن بزاوية ابن السراج بالصاغة العتيقة داخل دمشق بالقرب من سكنه، رحمه الله تعالى.

- التربة المنكبائية [٨٢٣هـ]:

تجاه باب المصلى.

قال الشيخ تقي الدين بن قاضي شهبة في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وثمانمئة: وممن وصل فيه خبر وفاته الأمير الكبير حاجب الحجاب الأمير سيف

الدين منكباي الأزدمري، تنقّلت به الأحوال إلى أن أُعطي إمرة عشرة بعد خروج أيتمش والأمراء من مصر، في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمئة صار أمير طبلخانة، وحجَّ بالركب المصري سنة أربع وثمانمئة، ثم أُخرجت إمرته في آخر خمس وثمانمئة، ونُفي إلى القدس وقدم دمشق في سنة ثمان حاجّاً من دمشق، فلما انكسر نوروز وهرب هرب معه فصار من حزبه، وولي حجوبية الحجاب غير مرة، وقبض عليه المؤيد في فتنة نوروز، وسُجن في المرقب ثم أُطلق في سنة ثماني عشرة، وولي نيابة حماة في شهر رجب سنة عشرين، ثم نُقل قبل سنة إلى حجوبيته بدمشق على عادته، ثم قُبض عليه في ذي القعدة من السنة الحالية وسُجن بقلعة دمشق، ثم أُطلق وأُرسل إلى نيابة حماة، فمات بها في آخر سنة ثلاث وعشرين، ونُقل إلى دمشق فدُفن بتربته تجاه باب المصلى، وكان خيِّراً قوي النفس، ويُنسب إلى شجاعة، وهو حسن الشكل.

- التربة المزلقية [٨٤٨هـ]:

بطريق مقابر باب الصغير الآخذ إلى الصابونية.

أنشأها رأس الخواجكية تاجر الخاص الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي بكر المعروف بابن المزلق، ميلاده سنة أربع وخمسين وسبعمئة، وكان أبوه لبَّاناً، أدركه جماعة وهو يباشر ملبنته عند جامع يلبغا... وحكى عن نفسه أن أول سفرة سافرها كسب فيها مئة ألف دينار وثمانمئة ألف درهم وانفتحت الدنيا عليه، وعمَّر أملاكاً كثيرة، وأنشأ على درب الشام إلى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار، وأنفق على عمارتها مايزيد على مئة ألف دينار، وكل هذه الخانات فيها الماء، وجاءت في غاية الحسن، ولم يسبقه أحد من الملوك والخلفاء لمثل ذلك.

وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز، ووقف على سكان الحرمين الشريفين الأوقاف الكثيرة الحسنة، وعيَّن للحجرة الشريفة النبوية على الحال

بها أفضل الصلاة وأتم السلام الشمع والزيت في كل عام، وكان رحمه الله تعالى رجلاً من رجال الدهر، حسن الكلام له جرأة وإقدام، وجرى له أمور ومخاصمات مع جماعات من الحكم، واسمه مشهور في الممالك كلها يُكاتب ملوك الأطراف ويقضون حوائجه ويهاديهم وكلمته نافذة عندهم، وكذلك العربان كانوا يراعونه ويحفظون متاجره، وكان مكتئباً حريصاً على جمع المال، وكان يحب الدنيا غارقاً في بحارها لا يبالي من أي وجهة يحصّل الدنيا، كذا قال الأسدي.

ثم قال الأسدي: وقد عمَّر خانات ضروريات، وله في غير دمشق أوقاف وقرَّاء، وكان قد ضعف بصره قبل أن يموت بسنتين، ثم تزايد ذلك إلى أن قارب العمى، وهو متمتع ببقية حواسه، وكان بخيلاً على نفسه غير مترف، توفي ليلة الأحد تاسع عشريه، وصُلِّي عليه بالجامع الأموي، وحضر النائب الصلاة عليه وخلق كثير، ودُفن بتربته المذكورة يعني في سنة ثمان وأربعين وثمانمئة في جمادى الآخرة منها، وأوصى بثلث ماله في أنواع من القربة، وكان قد وقف أملاكه قبل ذلك وجعل النظر في ذلك لحاجب الحجاب وخطيب الجامع الأموي والقاضي نظام الدين الحنفي وأحد من أولاده، أظنه قال: أرشدهم....

- التربة الملكية الأشرفية(١) [٦٣٥هـ]:

قال ابن شداد: ولما ملكها - يعني دمشق - الملك الأشرف موسى، إلى أن قال: ولما توفي عمل له تربة شمالي الكلّاسة، لها شبابيك إلى الطريق وإلى الكلّاسة، ودُفن بها ورُتِّب فيها قرَّاء.

وقال ابن كثير في سنة خمس وثلاثين وستمئة: ونقل الأشرف إلى تربة شمالي الكلّاسة من قلعة دمشق بعد دفنه بها.

---

(١) هي من الترب المندثرة.

[ترجمة الملك الأشرف موسى الأيوبي]

وهو الأشرف موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، وُلِد سنة ست وسبعين وخمسمئة، ونشأ بالقدس الشريف في كفالة الأمير فخر الدين عثمان الزنجاري، وكان أبوه يحبه وكذلك أخوه المعظم، ثم استنابه أبوه على مدن كثيرة بالجزيرة؛ منها الرها وحران، ثم اتسعت مملكته حتى ملك خلاط.

وكان من أعفِّ الناس وأحسنهم سيرة وسريرة، لا يعرف غير نسائه وجواريه، مع أنه كان يعاني الشراب وهذا من أعجب الأمور، وحُكي عنه في ذلك حكاية عجيبة لا نطيل بذكرها، ولما ملك دمشق في سنة ست وعشرين وستمئة نادى مناد بها ألا يشتغل أحد من الفقهاء بشيء من العلوم سوى الحديث والتفسير والفقه، ومن اشتغل بالمنطق وعلم الأوائل نُفي من البلد، وبنى للشافعية دار الحديث التي كانت دار الأمير قايماز وحمامه بها المجاورة لقلعة دمشق في سنة ثلاثين وستمئة، وخرَّب خان الأمير فخر الدين الزنجاري الذي كان بالعقيبة في سنة اثنتين وثلاثين وستمئة لما فيه من الخواطئ والمنكرات، وأمر بعمارته جامعاً وسُمِّي جامع التوبة، وبنى مسجد القصب ومسجد دار السعادة وجامع الجراح، وأوقف عليها الزعيزعية بالمرج وسبل المقبرة غربي خانقاه عمر شاه بالقنوات، وبنى بالسفح لمقادسة الصالحية دار حديث أخرى، وكان له ميل إلى الحديث وأهله، وجدَّد مسجد أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه بالقلعة وزخرفه، وفيه كان أكثر جلوسه، وجعل في دار الحديث الشافعية نعل النبي ﷺ التي أوصى بها نظام بن أبي الحديد التاجر له بعد موته وكان ضنيناً بها، ونقل إليها أيضاً كتبه النفيسة، وقد استدعى من بغداد الزبيدي حتى سمع هو والناس عليه صحيح البخاري وغيره، وكان له ميل إلى الحديث وأهله، وكانت القلعة لا تغلق في ليالي رمضان كلها، وصحون الحلاوات خارجة منها إلى الجوامع والخوانق والربط والصالحية إلى الصالحين والفقراء والرؤساء وغيرهم.

وكان شهماً شجاعاً كريماً جواداً، وكانت البلد في غاية من الأمن والعدل، وله في ذلك حكاية في ولد مملوكه، وابتدأ في مرض الموت في شهر رجب سنة

خمس وثلاثين، واختلفت عليه الأدواء حتى كاد الجرائحي يُخرج العظام من رأسه، وهو مع ذلك يسبِّح الله عز وجل، وتزايد به المرض آخر السنة واعتراه إسهال مفرط فخارت قوته، فشرع يتهيأ للقاء الله تعالى، وأعتق مائتي غلام وجارية، ووقف دار فروخ شاه التي يقال لها دار السعادة وبستانه الذي بالنيرب على ابنته، وتصدَّق بأموال جزيلة، وأُحضر له كفن كان قد أعده له من ملابس الفقراء والمشايخ الذين لقيهم من الصالحين، وتوفي في قلعة دمشق في يوم الخميس رابع المحرم سنة خمس وثلاثين، ودُفن بالقلعة المذكورة حتى نجزت تربته التي بنيت له شمالي الكلّاسة، ثم حُوِّل ونُقل إليها رحمه الله تعالى في جمادى الأولى، ورآه بعضهم في المنام وعليه ثياب خضر وهو يطير مع جماعة من الصالحين، فقال له: ما هذا وقد كنت تعاني الشراب في الدنيا؟ فقال: ذلك البدن الذي كنا نفعل به ذاك عندكم في الدنيا وهذه الروح التي كنا نحب بها هؤلاء فحشرنا معهم رحمهم الله تعالى، وقد صدق، قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»[1]. وكان قد أوصى بالملك لأخيه الصالح إسماعيل، وركب بعده في أبهة الملك، ثم صالح بها لأخيه الملك الكامل في آخر جمادى الأولى منها.

وقال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام في سنة اثنتين وثلاثين وستمئة: وفيها عمل جامع العقيبة بناه الملك الأشرف موسى، وكان قبل ذلك خاناً للفواحش والخمر، ولهذا قيل له جامع التوبة....

- التربة المحمدية الأمينية العيشية الأنصارية [٧٣٤هـ]:

شمالي الجامع المظفري، بسفح قاسيون.

قال الحافظ البرزالي في تاريخه في سنة أربع وثلاثين وسبعمئة: وفي بكرة يوم الجمعة وقت أذان الفجر الثالث المحرم توفي الشيخ الأمين الصدر أمين الدين أبو عبد الله محمد بن فخر الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن

---

(١) حديث صحيح، رواه البخاري (٣٦٨٨) ومسلم (٢٦٣٩- ٢٦٤) والترمذي (٢٣٨٥).

يوسف بن أبي العيش الأنصاري الدمشقي، وصلّي عليه عقيب الجمعة بجامع دمشق، ودُفن بتربته بسفح قاسيون شمالي الجامع المظفري، وسألته عن مولده فقال: كنت رضيعاً سنة ثماني وخمسين وستمئة، وبيني وبين تاج الدين بن الشيرازي رضاع، سمع صحيح البخاري على ابن أبي اليسر والجماعة في سنة ست وستين وستمئة، وحدَّث به قبل موته بأشهر، دخل اليمن بالتجارة، وكان رجلاً جيداً فيه خير ودين، وعمَّر تحت الربوة مسجداً وطهارة وانتفع الناس بذلك، وتكلم في جامع النيرب وفي وقفه، ووقف فيه ميعاد حديث قبل الجمعة.

- التربة المنجكية [٨٢٦هـ]:

بباب الجابية.

قال الأسدي في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وثمانمئة: الأمير تغري بردي بن الأمير فرج ابن ملك الأمراء سيف الدين منجك، كان بيده إمرة عشرة فيما أظن، وكان يعرف مسائل في العلم وفي ظنه أنه عالم، وكان نميم الشكل، وله إخوة من أبيه بأشكال حسنة، توفي يوم الأربعاء ثاني عشريه، ودُفن بتربة أبيه بباب الجابية، رحمه الله تعالى.

- التربة النجمية[1] [القرن السادس الهجري]:

جوار الحسامية والشامية البرانية.

فيها قبر شاهنشاه والد فروخ شاه، وتقي الدين عمر، والست عذراء المنسوب إليها العذراوية[2]، وهو أخو ست الشام، قاله أبو شامة في كتاب الروضتين....

---

(١) لعلها تربة السلطان حسن كما سمَّاها سوفاجيه والتي بناها الأمير نجم الدين أيوب، والد صلاح الدين الأيوبي الذي توفي سنة ٥٦٨هـ، ودُفن فيها الأمير حسن بن صلاح الدين، الذي توفي سنة ٥٧٥هـ.

(٢) ولا أثر لهذه القبور اليوم.

- التربة النشابية [٦٩٩هـ]:

غربي الروضة، بسفح قاسيون.

قال الذهبي في العبر في سنة تسع وتسعين وستمئة: وابن النشابي الوالي عماد الدين بن حسن بن علي، وكان قد أُعطي أمير طبلخانة، ومات بالبقاع في شوال وحُمل إلى تربته بقاسيون.

قال الصفدي في حرف الحاء: الحسن بن علي بن محمد الأمير عماد الدين بن النشابي، والذي ولي دمشق، معلم الصياغة ثم خدم جندياً، وتنقّلت به الأحوال وولي ولايات بالبر، ثم ولي دمشق مدة، ثم أُعطي أمير طبلخانة، وكان كافياً ناهضاً، له خبرة بالأمور ومعرفة سياسة البلد، وكان من أبناء الخمسين، توفي في البقاع سنة تسع وتسعين وستمئة وحُمل إلى دمشق، فدُفن بقاسيون بتربته.

- التربة اليونسية [القرن الثامن أو التاسع الهجري]:

قبلي الخوخة، غرب المزار المشهور بأويس القرني الخزرجي بمقابر باب الصغير.

أنشأها الأمير يونس خازندار ملك الأمراء سودون بن عبد الرحمن.

- التربة اليونسية الدوادارية [٨٣٦ هـ]:

المعروفة الآن بتربة مقبل، قبلي تربة فرج بن منجك، التي غربي تربة بهادر وهي تجاهها، وهذه التربة شمالي تربة قانباي البهلوان لصيقها، وغربي تربة نائب القلعة أكز، دُفن بها جماعة، منهم... سيف الدين جكم....

فصل

في ذكر المساجد بدمشق[1]

- داخلها:

- مسجد القسطيين: مسجد كبير قبلة السوق الداخل من باب الجابية، معلق، يعرف بمسجد القسطيين، له سلم حجر وقد جعل له سلم خشب آخر من شآمه، له إمام ومؤذن ووقف.

- مسجد في درب المدنيين: سفل، فيه شجرة زيتون، له إمام ومؤذن ووقف لطيف وجراية.

- مسجد ابن هشام: في سوق الفسقار أيضاً، سفل كبير، له إمام ومؤذن وله منارة، وعلى بابه سقاية الشيخ وقناة له. قال الأسدي رحمه الله تعالى في تاريخه في ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وثمانمئة: وفي هذه السنة فُرغ من بناء مسجد ابن هشام بالفسقار، بناه القاضي بدر الدين بن مزهر من ماله، وجاء في غاية الحسن، وبنى له مأذنة في غاية الظرف.

- مسجد مقابل دار الوكالة: سفل كبير، يُعرف بمسجد الديوان، له إمام ومؤذن ووقف. قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تاريخه في سنة ست وعشرين وستمئة: محمد بن السبتي النجار، كان يعده بعضهم من الأبدال. قال

---

(١) أتى النعيمي هنا على ذكر أعداد كثيرة من المساجد، وإنما بمقدار سطر عن كل مسجد، فاخترنا أبرزها.

أبو شامة: وهو الذي بنى المسجد غربي دار الوكالة عن يسار المار في الشارع من ماله، ودُفن بالجبل، وكانت جنازته مشهودة.

- مسجد في رحبة الخاطب: له منارة وفيه بئر وله إمام ومؤذن. قال الأسدي في تاريخه رحمه الله تعالى في سنة سبع وأربعين وثلاثمئة: محمد بن علي أبو عبد الله الهاشمي الخاطب الدمشقي، كان خطيباً بدمشق في أيام الإخشيدية، كان شاباً حسن الوجه مليح الشكل كامل الخلق، توفي في شهر ربيع الأول وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق لا يحصون كثرة، ودُفن بباب الصغير، أرَّخه ابن عساكر. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وأظنه الذي تُنسب إليه رحبة الخاطب من نواحي باب الصغير. قال الصفدي رحمه الله تعالى: أبو بكر بن أحمد بن عمر البغدادي الزاهد، إمام مسجد حارة الخاطب بدمشق، كان صاحب عبادة ودين ومجاهدة، سمع بمصر من محمود بن محمد الصابوني، وبدمشق من إسماعيل الخيزوري والكندي، وكان يُعرف بالمراوحي.

- مسجد عند رأس درب كرار المعروف بابن المخشي: له إمام ووقف، ثم هذا المسجد هُجِر مدة، إلى أن أذن الله تعالى بعمارته سنة تسع وستين وتسعمئة.

- مسجد عند باب الجابية يعرف بمسجد عطية الحائك: في رأس درب الأسديين، سفل كبير، له منارة وإمام ووقف. قال الأسدي في تاريخه رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة: عبد الله بن عطية بن عبد الله بن حبيب أبو محمد المقري المفسر العدل الدمشقي، قرأ على أبي الحسن محمد بن النضر بن الأخرم وجعفر بن أبي داود، وحدَّث عن ابن جوصا وعلي بن عبد الله الحمصي وأبي علي الحظايري، روى عنه محمد بن أبي نصر وعبد الله بن سوار العميس وأبو نصر بن الجبان، وكان إمام مسجد باب الجابية رحمه الله تعالى ورحمهم أجمعين. وقال عبد العزيز بن الكناني: كان يحفظ فيما يقال خمسين ألف بيت شعر في محل الاستشهاد على معاني القرآن الشريف وغيره، وكان ثقة، حدَّث علي بن الحسن الربعي عنه رحمه الله

تعالى، توفي في شوال رحمه الله تعالى. قال الكتبي رحمه الله تعالى: وإليه ينسب مسجد عطية داخل باب الجابية.

قال العز بن شداد رحمه الله تعالى في كتابه الأعلاق الخطيرة: فهذه مساجد البلد المحصاة بالتعريف والعدد، ومبلغها مائتان وأربعون مسجداً، يعني وعلى هذا اقتصر من سبقه على تعدادها.

- مسجد التوبة: خارج باب الفراديس، مسجد كبير خارج باب الفراديس في عقب الجسر على يمين الخارج، فيه بركة وسقاية، وله وقف وإمام وطاقات إلى النهر، أنشأه الأمير بزّان بن يامين الكردي، ويُعرف الآن بمسجد النقاش.

- مسجد الصرف: غربي مقبرة باب الفراديس، يُعرف الآن بمسجد الصفي. قال الأسدي في تاريخه رحمه الله تعالى في سنة سبع وثمانين وخمسمئة: الصفي صاحب المسجد الذي بالعقيبة، هو الصفي بن نصر الله بن العارض، كان قد خدم السلطان صلاح الدين لمّا كان في شحنكية دمشق وأمده بالمال فرأى له ذلك، فلما ملك استوزره ثم استنابه على دمشق حتى توفي، وكان شجاعاً ثقة أميناً ديِّناً، ولما نزل الفرنج داريا والسلطان في الشرق جمع من أهل دمشق سواداً عظيماً وخرج إلى ظاهر البلد، فرآهم الفرنج فظنوهم عسكراً فرحلوا، وكان كثير المعروف وكتب أملاكه لمماليكه لأنه لم يكن له ولد، وبنى بالعقيبة مسجداً ودُفن به في شهر رجب رحمه الله تعالى، وهو على النهر، وله منارة وبه بئر.

- مسجد في البستان: الذي بني لأجل عبد الرحمن الجلجولي الزاهد، دُفن فيه لما استشهد، قُتل الشيخ الفقيه الزاهد عبد الرحمن الجلجولي والشيخ العالم شيخ الإسلام حجة الدين أبو الحجاج يوسف بن درباس المغربي الفندلاوي المالكي، كلاهما استشهد رحمهما الله تعالى لما هجم الفرنج على دمشق، فوقف الشيخان المذكوران لقتالهم قريب الربوة عند النيرب، فاستشهدا رحمهما الله تعالى في ساعة واحدة من يوم السبت سادس شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة، وكان أمير البلد معين الدين أنر. قال أبو شامة

رحمه الله تعالى: فقبر الفندلاوي الآن يُزار بمقابر باب الصغير من ناحية المصلى وعليه بلاطة كبيرة منقوشة وفيها شرح حاله رحمه الله تعالى، وأما عبد الرحمن الجلجولي رحمه الله تعالى فقبره في بستان الشعباني من جهة شرقه وهو المسجد المحاذي لمسجد شعبان المعروف الآن بمسجد طالوت، وكان مقامه في حياته في ذلك المكان.

- مسجد يعرف بالمسجد الجديد: في موضع محلة السقايين، بناء رجل قرقوبي، فيه بئر، وعلى بابه منارة. قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله تعالى في كتابه الروضتين في أخبار الدولتين في نزول نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى لحصار دمشق بما صورته: فنزل في أرض مسجد القدم وما والاه من الشرق والغرب، وبلغ منتهى المخيم إلى مسجد الجديد قبلي البلد. قلت: هو الذي يُسمى في زماننا بمقبرة المعتمد بين مسجد القدم وبين مسجد فلوس. وقال صلاح الصفدي رحمه الله تعالى في وافيه في ترجمة الحافظ زكي الدين محمد بن يوسف البرزالي رحمه الله تعالى: إن مسجد فلوس بطرف ميدان الحصى. ووجدت بخط الحافظ بن ناصر الدين في مسودة توضيح المشتبه قال الذهبي رحمه الله تعالى: والميدان بدمشق اثنان. قلت: بل أربعة؛ ميدان الحصى وهو قبلي دمشق وفي أوله مصلى العيدين ثم يمتد، وهو محلة كبيرة عامرة الآن ولله الحمد، والثاني ميدان ابن أتابك وأدى المصنف عني عن هذين الاثنين، والثالث ميدان القصير وكانت عليه محلة عامرة بالسكان والمساجد فخربت إلا القليل، والرابع ميدان الشرف الأعلى وقد استولى عليه الخراب.

- مسجد القدم: بقرب غالية وعويلة قديم، جدَّده أبو البركات محمد بن الحسن بن طاهر القرشي المعروف بأبي البركات بن المرار، جدَّده في سنة سبع عشرة وخمسمئة، وبه قبره وقبر ابنته أسما أم الشيخ فخر الدين ابن عساكر، وهي أخت آمنة والدة القاضي محيي الدين محمد بن محمد الزكي، ودُفن هناك طائفة كثيرة من العلماء رحمهم الله تعالى قاله الحافظ ابن كثير في

تاريخه رحمه الله تعالى في سنة عشرين وستمئة في ترجمة الفخر بن عساكر. وقد ذكرت في آخر كتاب: تبيين الأمر القديم، تراجم جماعة دُفنوا هناك، وبه قبر جد أبيه لأمه أبي الحسن علي بن الواعظ الزاهد رحمه الله تعالى، ولهذا المسجد منارة ووقف، ويُقال إن قبر موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فيه، وفيه بئر وعلى بابه بئر.

فهذه المساجد التي في أراضي دمشق وظاهرها، يعني وعلى هذا اقتصر من سبقه، ثم قال: ذكر ما لم يذكر في هذه الترجمة[1]....

انتهى كلام العز بن شداد رحمه الله تعالى مع بعض زيادات، وقد وقع له كلام، وفي كلامه أوهام فاحشة يُعتمد ما ينفرد به.

وغالب هذه المساجد زالت أعيانها وتغيَّرت أحوالها وخططها داخل البلد وخارجها، وتجددت مساجد كثيرة، وخصوصاً في ضواحيها، وها أنا أذكر ما يحضرني الآن من مشهورها [وهو] مسجد المؤيد: قال الأسدي في ذيله في سنة عشرين وثمانمئة: وفي جمادى الأولى منها فُرغ من بناء هذا المسجد الذي أنشأه الملك المؤيد تحت القلعة بالمؤيدية، وفي هذه السنة شرع في عمارة المدرسة المؤيدية بالقاهرة المعزية.

---

(١) ذكر بعد ذلك ١٢١ من المساجد بالتسمية فقط.

الذيل في ذكر الجوامع

من ملحقات سيدي الوالد الماجد

- جامع بني أمية [٨٧-٩٦هـ]:

جامع دمشق، ويقال له جامع بني أمية والجامع الأموي والجامع المعمور.

عن يزيد بن ميسرة، قال: أربعة أجبل مقدمات بين يدي الله عز وجل: طور زيتا وطور سينا وطور تينا وطور تيماء، قال فطور زيتا بيت المقدس، وطور سينا طور موسى عليه السلام، وطور تينا مسجد دمشق[١]، وطور تيماء مكة المشرفة.

وعن قتادة أنه قال: أقسم الله تبارك وتعالى بمساجد أربعة، فقال: والتين وهو مسجد دمشق[٢]، والزيتون وهو مسجد بيت المقدس، وطور سينين وهو حيث كلَّم الله تعالى موسى عليه السلام، والبلد الأمين وهو مكة المشرفة. وذكر أن جماعة أدركوا في مسجد دمشق شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد.

وقال الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى في مختصر تاريخ الإسلام [في] خلافة الوليد بن عبد الملك: كان ولي عهد أبيه فقام بالأمر بعده، وكان مهيباً شجاعاً، ودولته عشرة أعوام، بنى جامع دمشق وزخرفه، وكان قبله نصفه كنيسة للنصارى ونصف الذي محراب الصحابة به للمسلمين، فأرضى الوليد النصارى بعدة كنائس صالحهم عليها فرضوا، ثم هدمه وسوى حيطانه الأربعة، وأنشأ قبة النسر والقناطر، وحلاه بالذهب والجواهر وأستار الحرير، وبقي العمل

---

(١) وهذا مما لا يصح.

(٢) وهذا مما لا يصح.

فيه تسع سنين، حتى قيل: كان يعمل فيه اثنا عشر ألف مُرخِّم، وغرم عليه من الدنانير المصرية زنة مئة قنطار وأربعة وأربعين قنطاراً بالدمشقي، حتى صيَّره نزهة الدنيا، وأمر نائبه على المدينة المنورة ببناء مسجد النبي ﷺ وتوسيعه وزخرفته ففعل، وهو ابن عمه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

وقال العز بن شداد: أخبرني أحمد بن عبد الكريم المعروف بابن الخلال الحمصي أنه وقف على كتاب أُلِّف للوزير الأكرم، وفيه أنه قال بحضرة أبي العلاء المعري: إن حائط جامع دمشق الشرقي أمر الوليد ألا يُبنى إلا على جبل، فحفر أسه فوجد حائطاً فانتهى إليه، فأمر أن يُحفر أمام الحائط، فحُفر فوجد في الحائط باباً، ففتح فوجد خلفه صخرة عليها كتابة، فحُملت إلى بين يدي الوليد، فأمر بغسلها ونقل ما عليها من الكتابة، فكان عليها: لما كان العالم محدثاً ثبت أن له محدثاً أحدثه وصانعاً صنعه، فبُني هذا الهيكل لمضي ثلاثة آلاف وسبعمئة سنة لأهل الأسطوان، فإن رأى الداخل إليه أن يذكر بانيه عند باريه بخير فعل، والسلام.

فقيل لأبي العلاء من أهل الأسطوان؟ فقال: لا أعرف، وأنشد:

سيسأل قوم ما الحجيج ومـــا منـــى كما قال قوم من جديس ومن طسم

ورؤي وقرئ على حجر في المأذنة الشرقية كتابة باليونانية، ففُسِّرت بالعربية، فإذا عليه مكتوب: لما كان العالم محدثاً والحدث داخل عليه، وجب أن يكون له مُحدِث، وكانت الضرورة تعود إلى التعبُّد لمحدثه، لا كما يقول ذو اللحيين وذو اللسنين وأشباههما، فلما دعت الضرورة إلى عبادة هذا الخالق المحدث بالحقيقة؛ تجرد لإنشاء البيت وتولى النفقة عليه محب الخير وتقرباً إلى منشئ العالم ومبدئه وإيثاراً لما عنده، وذلك في سنة ثلاثمئة وألفين لأصحاب الأسطوان، فليذكر كل من دخل هذا البيت للصلاة فيه العاني به.

وقال ابن عساكر في تاريخه: وأخبرني أبو التقى هشام بن عبد الملك حدثنا الوليد قال: لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق، وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتابة نقش، فأتوا به الوليد، فبعث إلى الروم فلم يستخرجوه، فبعث إلى العبرانيين فلم يستخرجوه، ثم بعث به إلى من كان بدمشق من بقية الأشبان فلم يستخرجوه، فدُلَّ على وهب بن منبه، فبعث

إليه، فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللوح، فوجد ذلك الحائط بناه هود عليه السلام، فلما نظر إليه وهب حرّك رأسه وقرأه، فإذا هو يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، وإنما تلقى ندمك إذا زلّت به قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب، ثم صرت تدعي فلا تجاب، فلا أنت إلى أهلك عائد ولا في عملك بزائد، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة وقبل الحسرة والندامة، وقبل أن يحل بك أجلك فلا ينفعك مال جمعته ولا ولد ولدته ولا أخ تركته، ثم تصير إلى برزخ الثرى ومجاورة الموتى، فاغتنم الحياة قبل الموت والقوة قبل الضعف والصحة قبل السقم قبل أن تؤخذ بالكظم، ويحال بينك وبين العمل، وكُتب في زمان سليمان بن داود عليهما السلام.

وأنبأ أبو الفضائل محمود عن زيد بن واقد، قال: وكلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق، فوجدنا فيه مغارة، فعرّفنا الوليد ذلك، فلما كان الليل وافى وبين يديه الشمع، فنزل، فإذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع، وإذا فيها صندوق، ففُتح الصندوق فإذا فيه سفط، وفي السفط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام[1]، مكتوب عليه: هذا رأس يحيى بن زكريا، فأمر به الوليد فرُد إلى المكان، وقال: اجعلوا العمود الذي فيه مغيراً بين الأعمدة، فجُعل عليه عمود مسفط الرأس.

وروى الوليد بن مسلم ،حدثنا زيد بن واقد، قال: ورأيت يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء المسجد الجامع أُخرج من تحت ركن من أركان القبة، وكانت البشرة والشعر على رأسه لم يتغير، وقيل إن رأس يحيى بن زكريا نُقل من دمشق إلى بعلبك ثم نُقل منها إلى حمص ثم نُقل منها إلى حلب المحروسة في جرن رخام فدخل في القلعة، وحين استيلاء التتار المخذولين على حلب وقلعتها نُقل من قلعتها إلى جامعها.

---

(١) ذكر الرحالة أركولف (الذي يعد أقدم من وصلتنا كتاباتهم عن الأمويين، لأنه دخل دمشق في عهد معاوية) أن رأس يحيى لم يصل أصلاً إلى الكنيسة، وأن المشهد الموجود في الجامع إنما أُقيم لتكريم النبي يحيى، وأنه لا يضم الرأس ولا الجسد.

وأنبأ أبو محمد الأكفاني عن كعب في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[1] الآية، فقال: إذا هُدمت كنيسة دمشق – يعني كنيسة يوحنا – فبُنيت مسجداً وظهر لبس القصب فحينئذ تأويل هذه الآية، فهدمها الوليد.

وقرأت على أبي محمد السلمي عن يحيى بن عمر ونحوه، وأنبأ أبو الفضل القاسم السمرقندي عن يعقوب بن سفيان قال: سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد دمشق وهدم الكنيسة[2]، قال: كان الوليد قال للنصارى من أهل دمشق: إنا أخذنا كنيسة توما عنوة والكنيسة الداخلة صلحاً، فأنا أهدم كنيسة توما،

---

(١) سورة المائدة، الآية ١٠٥.

(٢) سيذكر النعيمي روايات متعددة عن هذه القضية، ولكن يجب بداية توضيح بعض الالتباسات فيها، إذ ذكر الرحالة الفرنسي أركولف أن المسلمين لم يناصفوا النصارى كنيسة يوحنا المعمدان، وأنه كان لكل منهم معبد خاص. وذكر الدكتور الريحاوي أنّ المسلمين اقتسموا مع المسيحين المعبد الروماني، وليس الكنيسة المسماة بكنيسة مار يوحنا، ويقول إن هذا الخطأ نجم عن عدم تفريق المسلمين بينهما، أي بين المعبد والكنيسة.

أما دوسّو الفرنسي، فإنه يقول: «إذا أخذنا بأمر اقتسام الكنيسة، فإننا نستغرب أن يختار المسلمون النصف الشرقي وفيه المذبح، ويرضى النصارى بالقسم الغربي، ويستغنوا عن المذبح». ونقل كريزويل عن ابن شاكر الكتبي أن المسلمين والنصارى كانوا يدخلون من باب المعبد الجنوبي الثلاثي، وأن المسلمين كانوا ينحرفون إلى اليمين، والنصارى ينحرفون إلى اليسار، يؤيد ذلك أن موضوع اقتسام الكنيسة لم يرد له ذكر في المصادر العربية المتقدمة.

ومن جهة أخرى، لا صحة لما زعمه بعض المستشرقين، من أن الجامع الحالي ما هو إلا كنيسة القديس يوحنا، وأن الوليد لم يبن فيها إلا القبة والمنارة الشمالية، لأن الوليد أخذ القسم الغربي وضمّه للجامع، وزعم بعضهم أنه أخذه قهراً، دون أن يُعطي النصارى شيئاً، وأن عمر بن عبد العزيز هو الذي عوضهم عنه بالكنيسة المريمية، وأنه هو الذي تكفّل بالإنفاق على هذه الكنيسة، ولكن ابن عساكر والمؤرخين المسلمين، أكدوا أنّ الوليد أرضى النصارى فأعطاهم أربع كنائس، منها كنيسة حميد بن درة وكنيسة مريم والكنيسة المصلّبة، وعندما جاء عمر حاول النصارى استرداد كنيسة ماريوحنا، فهمّ عمر بإجابتهم، ثم عرض عليهم أن يعطيهم زيادة عما أخذوه من الوليد جميع كنائس الغوطة، فرضوا، وكتبوا الكتب بذلك.

قال هشام: وتلك أكبر من الداخلة، قال: فرفضوا أن يهدم الكنيسة الداخلة، فهدمها وأدخلها في المسجد، قال: وكان قبلة المسجد اليوم بالمحراب الذي يُصلّى فيه، قال: وهدم الكنيسة في أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين، وكانوا في بنائه سبع سنين حتى مات الوليد، ولم يتم بناؤه فأتمه سليمان من بعده.

وفي كتاب البلاذري في البلدان، قالوا: لما ولي معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا في الجامع، فأبى النصارى ذلك فأمسك، ثم طلبها عبد الملك في أيامه للزيادة في المسجد وبذل لهم مالاً، فأبوا، ثم إن الوليد بن عبد الملك بن مروان جمعهم في أيامه وبذل لهم مالاً عظيماً على أن يعطوه إياها، فأبوا، فقال: لئن لم تفعلوا لأهدمنها، فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين إن لهذه الكنيسة شأناً، إن من هدم هذه الكنيسة جنَّ أو أصابه عاهة، فأحقَظه قولهم، ودعى بمعول وجعل يهدم حيطانها بيده وعليه قباء خز أصفر، ثم جعل الفعلة والنقاض يهدمونها، وبنى الجامع، فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه شكا النصارى إليه ما فعل الوليد بهم في كنيستهم، فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاده في الجامع عليهم، فكره أهل دمشق ذلك وقالوا: يهدم مسجدنا بعد أن أذّنّا فيه وصلينا ويرد بيعه، وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي، قلت: وهو قاضي دمشق يومئذ وغيره من الفقهاء، فأقبلوا على النصارى وسألوهم أن يعطوهم جميع كنائس الغوطة التي أُخذت عنوة وصارت في أيدي المسلمين على أن يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة لها، فرضوا بذلك وأعجبهم، فكتب به إلى عمر بن عبد العزيز، فسرَّه وأمضاه....

قال يحيى بن يحيى: أنا رأيت الوليد بن عبد الملك فعل ذلك بكنيسة مسجد دمشق، وقرأت على أبي محمد السلمي عن أبي محمد التميمي عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن مروان المقري أن المغيرة مولى الوليد بن عبد الملك دخل يوماً على الوليد بن عبد الملك بن مروان، فرآه مغموماً، فقال: يا أمير المؤمنين ماشأنك، فأعرض عنه، ثم أنه عاوده فقال له: يا أمير المؤمنين ما شأنك؟ فقال له: يا مغيرة إن المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد، وقد بعثت

إلى هؤلاء النصارى أصحاب هذه الكنيسة لنُدخلها في المسجد فأبوا علينا، وقد أقطعتهم قطائع كثيرة وبذلت لهم أموالًا فامتنعوا، فقال له المغيرة: لا تغتم يا أمير المؤمنين قد دخل خالد بن الوليد من الباب الشرقي بالسيف ودخل أبو عبيدة بن الجراح من باب الجابية بالأمان، فنماسحهم إلى موضع بلغ السيف، فإن يكن لنا فيه حق أخذناه، وإن لم يكن لنا فيه حق داريناهم حتى نأخذ باقي الكنيسة فنُدخله في المسجد، فقال له: فرَّجت عني، فتولَّ هذا الأمر، قال فتولاه، فبلغت المساحة إلى سوق الريحان حتى حاذى من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع بالذراع الهاشمي، فإذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد، فبعث إليهم وقال: هذا حق جعله الله عز وجل لنا، فقالوا: يا أمير المؤمنين قد أقطعتنا كنائس وبذلت لنا من المال كذا وكذا، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تتفضَّل به علينا فعلت، فامتنع عليهم حتى سألوه وطلبوا إليه فأعطاهم كنيسة حميد بن درة وكنيسة أخرى إلى جانب سوق الجبن وكنيسة المصلبة وكنيسة مريم....

وقال: قرأت في الكتاب الذي فيه أخبار الأوائل أن هذه الدار المعروفة بالخضراء مع الدار المعروفة بالمطبق مع الدار المعروفة بدار الخيل مع المسجد الجامع أقاموا وقت بنائها يأخذون لها الطالع ثماني عشرة سنة، وقد اجتهدوا في ذلك وما حفروا أساس الحيطان حتى وافاهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا بطلوعهما أن المسجد لا يخرب أبداً ولا يخلو من العبادة، وأن هذه الدار إذا بنيت لا تخلو أن تكون دار الملك والسلطنة والضرب والحبس وعذاب الناس والقتل ومأوى الجند والعساكر والبلاء والفتنة، فبنى عليه هذا، وكانت في ذلك الزمان كلها داراً واحدة.

وقد بنى الوليد بن عبد الملك بن مروان كل ما كان داخل حيطان المسجد، وزاد في سمكها، ولما بنى القبة فيه واستقلت وتمَّت وقعت، فشقَّ ذلك على الوليد، فأتاه رجل من البنَّائين، فقال له: أنا أتولى بنيانها على أن تعطيني عهد الله ألا يدخل معي أحد في بنيانها، ففعل ذلك، فحفر موضع الأركان حتى بلغ الماء، ثم بناها، فلما استعلت على وجه الأرض غطَّاها بالحصر، وهرب

عن الوليد، فأقام بطلبه ولم يقدر عليه، فلما كان بعد سنة لم يعلم الوليد إلا وهو على بابه، فقال له: ما دعاك إلى ما صنعت، قال: تخرج معي حتى أريك، فخرج الوليد والناس معه حتى كشف الحصر فوجد البنيان قد انحط حتى صار مع وجه الأرض، فقال: مِن هذا، ثم بناها ببنائها الذي هي عليه حتى قامت، ويقال: إنه حفر الأساس - أي أساس مسجد دمشق - حتى بلغ الحفير إلى الماء، وألقى فيه جراز الكرم وبنى عليه ذلك الأساس.

وقد رُوي عن بعض قَوَمَة المسجد في بنائه، قال: حدَّث أن الوليد بن عبد الملك بعث إليه يوماً عند فراغه من القبة الكبيرة ولم يبق منها إلا عقد رأسها، فقال: إني عزمت أن أعقدها بالذهب، فقال له: يا أمير المؤمنين هل اختلطت، هذا شيء لا تقدر عليه، فقال له: يا ماص هن أمه تقول لي هذا، وأمر به فضُرب خمسين سوطاً، ثم قال: اذهب فافعل ما أُمرت به، قال: فذكر لي أنه عمل لبنة من ذهب، فأمر بحملها إليه، فلما نظر إليه وعرف ما فيها وما تحتاج القبة إلى مثلها، قال: هذا شيء لا يوجد في الدنيا، فرضي عنه وأمر له - أي للمضروب - بخمسين ديناراً.

ثم أراد أن يبني في المسجد إسطوانات إلى الكوى، فدخل بعض البنَّائين، فقال: لا ينبغي أن يُبنى كذا ولكن ينبغي أن يُبنى فيها قناطر وتعقد أركانها بعضها إلى بعض، ثم تجعل أساطين، ويجعل عمداً ويجعل فوق العمد قناطر تحمل السقف وتخف عن العمد البناء، ويجعل بين كل عمودين ركن، فبنى ذلك.

قال ابن الرامي يرفعه عن رجل: ولما قطع الوليد بن عبد الملك بن مروان بالرصاص لمسجد دمشق على أهل الكور، كانت كورة الأردن أكثرهم في ذلك، فطلبوا الرصاص في النواويس، فانتهوا إلى قبر من حجارة في داخله قبر من رصاص، فأخرجوا الميت الذي فيه فوضعوه فوق الأرض، فوقع في هوة من الأرض فانقطع عنقه، فسال من فِيه دم، فهالهم ذلك، فسألوا عنه، فكان فيمن سألوا عبادة بن نسي الكندي، فقال لهم: هذا قبر طالوت الملك، كذا قرأه على عبد الكريم.

وأنبأنا أبو محمد بن الأكفاني، قال: قرأت على أبي محمد السلمي عن بعض المشايخ، قال: لما فرغ الوليد بن عبد الملك من بناء المسجد، قال له بعض ولده: أتعبت الناس طينته كل سنة ويخرب سريعاً، فأمر أن يُسقف بالرصاص، فطلب الرصاص من كل بلد، فوصل إليه، فبقي عليه موضع لم يجد له رصاصاً، فكتب إلى عمَّاله يحرضهم في طلبه، فكتب إليه بعض عمَّاله: إنا وجدنا عند امرأة منه شيئاً وقد أبت أن تبيعه إلا وزناً بوزن من النضار، فكتب إليه أن خذه وزناً بوزن، فأخذه وزناً بوزن، فلما وافاها النضار، قالت: هو هدية مني للمسجد، فقال لها العامل: أنت أبيت أن تبيعيني إياه إلا وزناً بوزن شحًّاً منك فكيف تهديه إلى المسجد، فقالت: إنما فعلت ذلك ظننت أن صاحبكم يظلم الناس في بنائه ويأخذ أموالهم، فلما رأيت الوفاء منكم علمت أنه لم يكن يظلم فيه أحداً ويبتاع وزناً بوزن، فكتب إلى الوليد بذلك، فأمر أن يعمل في صفائحه: لله، ولم يدخله في جملة ما عمله فهو إلى اليوم مكتوب عليه: لله، طُبع بطابع على السقف.

وكان سليمان بن عبد الملك هو المقيم مع الصنَّاع، فكان يفضل عند الرجل الفلس ورأس المسمار، فيجيء به فيرميه في الخزانة.

أنبأنا أبو الحسن علي الخطيب يرفعه إلى أحمد بن هشام، يقول: سمعت أبي يقول: ما في مسجد دمشق شيء من الرخام إلا ما كان من رخامي المقام، فإنه يقال إنهما من عرش بلقيس، وأما الباقي فكله مرمر. وقيل: إنه اجتمع في ترخيمة اثنا عشر ألف مرخِّم.

قال بعضهم: كتب لي أبو عبد الله محمد الفراوي، وقيل إنه ألفاه يخبرني عن أبي بكر أحمد بن الحسين الحافظ يرفعه إلى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: سمعت الشافعي يقول: عجائب الدنيا خمسة أشياء أحدها منارتكم هذه - يعني منارة ذي القرنين - والثانية أصحاب الرقيم الذين هم بالروم اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً، والثالثة مرآة في بلاد الأندلس

معلقة على باب المدينة - أي مدينة الأندلس الكبيرة - فإذا غاب الرجل من بلادهم على مسيرة مئة فرسخ في مئة فرسخ أتى بعض أهله إلى تلك المرآة يقعد تحتها وينظر في المرآة يرى صاحبه من مئة فرسخ، والرابعة مسجد دمشق وما يُوصف به ومن الإنفاق عليه وكثرة محاسنه، والخامسة الرخام والفسيفساء، فإنه لا يُدرى له موضع.

ويقال: إن الرخام الذي فيه كله معجون، والدليل على ذلك أنه لو وُضع على النار لذاب، وهذا من العجب العجاب.

وقيل: لما أخذ الوليد في بناء مسجد دمشق وظهر من تزويقه وتنميقه وبنائه وعظم مؤنته ما ظهر، تكلم الناس فقالوا: أنفق فيئنا وأتلف ما في بيوت أموالنا في نقش الخشب وتزويق الحيطان، ثم كأنا به قد حرمنا إعطاءنا، واعتل علينا بذهاب المال وقلّته، فبلغ الوليد كلامهم والذي قالوه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس قد بلغني مقالتكم وانتهى إلي ما خفتم من حبس إعطائكم ودفعكم عن حقوقكم، وليس الأمر كما ظننتم، أما وأني أمرت بإحصاء ما في بيوت الأموال فأصبت أعطاكم فيه ست عشر سنة مستقبلة من يومي هذا، ثم نزل. وقيل: إنهم حسبوا ما أنفق على الكرمة التي قبلي المسجد الأموي فكان سبعين ألف دينار.

وقال أبو قصي: ما أُنفق في عمارة مسجد دمشق أربعمئة صندوق، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار.

وقيل إنه قال[1]: رأيتكم يا أهل دمشق تفتخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم، فأردت أن يكون مسجدكم الخامس. وقيل: إنه اشترى العامودين الأخضرين اللذين تحت قبة النسر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمئة دينار. وأخبرني أبو الفضل القاسم بن السمرقندي قال: قال أبو يوسف

---

(١) القول للوليد بن عبد الملك.

يعقوب بن سفيان: قرأت في صفائح في قبلة مسجد الجامع بدمشق مذهَّبة بلازورد: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[1] إلى آخر الآية، لا اله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبد إلا إياه، ربنا الله وحده وديننا الإسلام ونبينا محمد ﷺ، أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين، في ذي القعدة من سنة ست وثمانين في ثلاث صفايح منها، وفي الرابعة فاتحة الكتاب إلى آخرها ثم النازعات إلى آخرها ثم عبس إلى آخرها ثم إذا الشمس كورت إلى آخرها. قال أبو يوسف: وقدمت بعد ذلك، فرأيت هذا قد مُحي، وكان هذا قبل المأمون.

وقال ابن الرامي: سمعت أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المازني يقول: لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد الجامع، احتفر فيه موضعاً، فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً، فلم يفتحوه، وأعلموا به الوليد، فخرج من داره حتى وقف عليه وفتح بين يديه، فإذا داخله مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة على فرس من حجارة، في يد التمثال الواحدة الدرة التي كانت في المحراب ويده الأخرى مقبوضة، فأمر بها فكُسرت، فإذا فيها حبتان حبة قمح وحبة شعير، فسأل عن ذلك، فقيل لو تركت الكف لم يكسرها لم يسوس في هذا البلد قمح ولا شعير.

وأنبأنا أبو محمد بن الأكفاني، أخبرني أبو القاسم غنائم بن أحمد الخياط، حدثني أبو أحمد الحافظ الوراق - وكان قد عمَّر مئة سنة - قال: سمعت بعض الشيوخ يقولون: إنه لما دخل المسلمون دمشق وقت فتحها، وجدوا على العمود الذي في المقسلاط على السفود الحديد الذي في أعلاه صنماً ماداً يده بكف مطبقة، فكسروه فإذا فيه حبة قمح، فسألوا عن ذلك، فقيل لهم: هذه الحبة القمح جعلها حكماء اليونان في كف هذا الصنم طلسماً حتى لا يسوس القمح ولو أقام سنين كثيرة. قال ابن عساكر: قلت ورأيت أنا هذا السفود على قناطر كنيسة بالمقسلاط.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

وأنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الحسني، قال: سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون: إن العمود الحجر الذي بين سوق الشعير وبين سوق أم حكيم عليه حجر مدور مثل الكرة كبير لعسر بول الدواب، إذا دار الفرس أو الحمار ثلاث مرات حول العمود انطلق البول منه، عملته حكماء الروم من اليونانيين.

وكان مبدأ شروع الوليد في عمارة المسجد سنة سبع وثمانين، وتوفي يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وكانت مدة ولايته تسع سنين وثمانية أشهر.

قال الذهبي في العبر: وكان مع ظلمه كثير التلاوة للقرآن، قيل إنه كان يختم في كل ثلاث، ويقرأ في شهر رمضان سبع عشرة ختمة، ورزق سعادة سعيدة في أيامه، فافتتحت الهند في أيامه والترك والأندلس، وكان كثير الصدقات، جاء عنه أنه قال: لولا ما ذكر الله آل لوط في القرآن ما ظننت أن أحداً يفعله. وكان يكنى أبا العباس، وكان دميماً سافلاً يتبختر في مشيه، وأدبه ناقص، حتى قيل إنه قرأ في الخطبة قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[1]، بضم التاء من ليت.

وأنشأ هذا الجامع ولم يكمله كما تقدم، فأتمَّه أخوه سليمان.

وأنبأ أبو محمد الأكفاني عن ابن مسهر، قال: عُملت المقصورة لسليمان بن عبد الملك حين استخلف.

وقال الذهبي في العبر في سنة اثنتين وسبعين ومئة: وفي هذه السنة توفي أمير دمشق الفضل بن صالح بن علي العباسي ابن عم المنصور، وهو الذي أنشأ القبة الغربية التي بجامع دمشق وتعرف بقبة المال.

وقال الأسدي في تاريخه في سنة اثنتين وستمئة: قال ابن كثير في شعبان منها: هُدمت القنطرة الرومانية التي عند الباب الشرقي ونشرت حجارتها لتبليط الجامع الأموي بسفارة الوزير صفي الدين بن شكر وزير العادل، فكمل تبليطه في سنة أربع وستمئة.

---

(١) سورة الحاقة، الآية ٢٧.

وقال ابن كثير في سنة إحدى وتسعين وستمئة: وفي ليلة السبت ثالث عشر صفر جيء بهذا الجرن الأحمر الذي بباب البرادة من عكا، فوُضع في مكانه الآن.

ورأيت بخط البرزالي في تاريخه في سنة ست وثلاثين وسبعمئة: وفي جمادى الأولى أُخربت مساطب سوق النحاسين بدمشق، فوجدوا حائط دار الخطابة متعتِّقاً، فأُخرب ووُجد فيه حجارة كبار، وظهر باب كبير مليح له أسكفة وجوانب والجميع مخرب خلف مخراب المقصورة، ونُقلت الحجارة الكبار إلى باب الفرج، فاستُعين بها في البناء، ذكره وذكر ذلك كله شمس الدين سبط ابن الجوزي.

وباب الجامع القبلي الغربي يعرف بباب الزيادة وبباب الساعات، وتُعرف تلك الحارة بحارة القباب، وهناك دار مسلمة بن عبد الملك.

قال ابن كثير في سنة إحدى وثلاثين وستمئة: وفيها كملت عمارة القاسارية التي هي قبلي النحاسين، وحُوِّل إليها سوق الصاغة وشغر سوق اللؤلؤة الذي كان فيه الصاغة العتيقة عند الحدادين، وفيها جُددت الدكاكين التي بباب الزيادة. قلت: وقد جُددت شرقي هذه الصاغة الجديدة قاساريتان في زماننا، وسكن بهما الصواغ وتجار الذهب والجوهر، وهما حسنتان، والجميع وقف الجامع المعمور.

وقال ابن عساكر رحمه الله تعالى: وأخبرني أبو محمد الأكفاني عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن زيد القاضي، قال: إنما سُمِّي باب الساعات؛ لأنه كان عمل هناك منكاب الساعات، يعلم بها كل ساعة تمضي من النهار، عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس وغراب، فإذا تمَّت الساعة خرجت فصفَّرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة....

وقال الصفدي في حرف الراء: رضوان بن محمد بن علي بن رستم الخراساني فخر الدين بن الساعاتي، مولده ومنشؤه بدمشق، وكان أبوه من خراسان وانتقل إلى الشام وأقام بدمشق إلى أن توفي، وهو الذي عمل الساعات بباب الجامع

الأموي ووضعها أيام الملك العادل نور الدين محمود، وكان له منه الإنعام الكثير... وقال الصفدي في المحمدين: محمد بن نصر الدين بن صغير بن خالد هو أبو عبد الله مهذب الدين أو عدة الدين الشاعر المشهور صاحب الديوان المعروف بابن القيسراني، حامل لواء الشعر في زمانه، وُلِد بعكا سنة ثمان وسبعين وأربعمئة، ونشأ بقيسارية الساحل فنُسب إليها، وسكن دمشق وتولى إدارة الساعات التي على باب الجامع وسكن فيها... وبها مات سنة ثمان وأربعين وخمسمئة... وقال فيه: علي بن إبراهيم بن محمد بن الهمام أبي محمد إبراهيم بن حسان بن عبد الرحمن بن ثابت الأنصاري الأوسي، هو الإمام فريد الزمان المحقق المتقن البارع الرضي أعجوبة الدهر، الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي المعروف بابن الشاطر، رئيس المؤذنين بالجامع الأموي بدمشق، قرأ على علي بن إبراهيم بن يوسف وكان يعرف بابن الشاطر فسُمِّي هو بذلك، سألته عن مولده فقال في خامس عشر شعبان سنة خمس وسبعمئة بدمشق، رأيته غير مرة، ودخلت إلى منزله في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبعمئة لرؤية الإسطرلاب الذي أبدع وضعه، فوجدته قد وضعه في قائم حائط في منزله داخل باب الفراديس في درب الطيار، ورأيت هذا الإسطّرلاب فأنشأ لي طرباً ووجد لي في المعارف أرباً... وصورة الإسطرلاب المذكور قنطرة مقدار نصف أو ثلث ذراع تقريباً، يدور أبداً على الدوام في اليوم والليلة من غير رحى ولا ماء على حركات الفلك، لكنه قد رتّبها على أوضاع مخصوصة تعلم منه الساعات المستوية والساعات الزمانية[1]. وإليه يُنسب عمل المنحرفتين في قبلة مأذنة العروس بالجامع الأموي المذكور....

---

(١) يرى المختصون أن ما يقصده الصفدي ليس الإسطرلاب الذي هو ميزان الشمس، لأن اختراعه كان قبل زمنه بمئات السنين، ولكنه يقصد الآلة المسماة في زماننا بالساعة، وبكل الأحوال فإن ابن الشاطر هو أول من أبدع ساعة ميكانيكية، فأخرجها من دائرة الماء إلى دائرة الميكانيك، ومن دائرة الخشب إلى دائرة المعدن، وجعلها صغيرة بعد أن كانت تبلغ عدة أمتار، فصارت بمقدار ثلاثين سنتيمتراً، وأدخل فيها الآلات المعدنية، مستغنياً عن الماء وآلاته الخشبية الطويلة العريضة.

وكان حريق الجامع الأموي ليلة النصف منْ شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمئة، قال الذهبي في كتاب العبر: في سنة إحدى وستين هذه في نصف شعبان احترق جامع دمشق الأموي كله من حرب وقع في الدولة، فضربوا بالنار داراً مجاورة للجامع الأموي فقُضي الأمر واشتد الخطب، وأتى الحريق على سائره، ودثرت محاسنه وانقضت ملاحته....

وقرأت بخط إبراهيم بن محمد الحناء، قال: أُنشئت الفوارة المنحدرة وسط جيرون سنة ست عشرة وأربعمئة، وجرت ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمئة، وأمر بجر القصعة من ظاهر قصر حجاج إلى جيرون وأجرى ماءها الشريف القاضي فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسين بن العباس الحسيني، جزاه الله خيراً....

وقال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام: في سنة اثنتين هذه [٥٦٢هـ]: وفيها احترقت اللبادين وباب الساعات بدمشق حريقاً عظيماً، وأذهب أموال الناس، وطلعت النار من دكان هراس.

وقال الأسدي في تاريخه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمئة: وفيها جدَّد قاضي القضاة جمال الدين ابن حجي الشافعي بالمقصورة من الجامع الأموي ربعة قرآن تفرق على الناس وقت صلاة الجمعة، وجعل عليها قبة صغيرة غربي المنبر نظير القبة التي شرقيه.

وقال الذهبي في المختصر من تاريخ الإسلام في سنة إحدى وثمانين وستمئة: وفي شهر رمضان احترقت اللبادين والكتبيين والزجاجين المرجانيين والخواتميين وجميع ما فوق ذلك وما تحته، وكان منظراً مهولاً، ذهب فيه من الأموال ما لا يحصى، وسلَّم الله تعالى الجامع الأموي، ثم عُمِّر ذلك كله مع الملازمة في سنين.

وقال الأسدي رحمه الله تعالى في ذيله في سنة سبع وعشرين وثمانمئة: في شهر ربيع الآخر منها وفي يوم الأربعاء سادسه جاء النائب الجديد

سودون بن عبد الرحمن إلى الجامع الأموي، وجلس بمحراب الحنفية ومعه الشيخ المالكي والشيخ الحنبلي وجماعة من الفقهاء، بسبب اعتبار أمر الجامع الأموي، فلم يكن للنائب من البصر والبصيرة ما يهديه إلى شيء، فقام في الحال وقال: تفعل القضاة المصلحة، فلم يحصل بالاجتماع المذكور فائدة، وفُوّض النظر إلى إمامه وهو شخص مصري حنفي يقال له تقي الدين العمادي، وكان يباشر القضاء بمصر بمركز السويس، ورسم الناظر المذكور ألا يمشي الناس في صحن الجامع إلا حفاة، فشقّ ذلك على الناس، وعمل على الأبواب درابزينات. ثم قال في شوال من السنة: وفي يوم السبت ثاني عشره ولي نظر الجامع زمام النائب الطواشي سنبل عوضاً عن تقي الدين العمادي، وكان قد ألزم الناس في مشارفته بالمشي في الجامع حفاة وشقّ على الناس ذلك، وبطل في هذا اليوم.

ثم قال في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمئة: في شهر ربيع الآخر منها وفي أوائله وقف النائب وهو سودون بن عبد الرحمن مصحفاً كبيراً بخط الشرف موسى الججيني، ووُضع بمقصورة الجامع الأموي على كراسي مقابل باب المقصورة الشمالي، وذكر النائب أنه يجعل وقفاً على مقرئ وخادم، وهذا المصحف هو غير المصحف الذي وقفه المؤيد شيخ مقابل باب المقصورة المذكور، ورتّب له معلوماً في وقفه الذي على الذرية.

وقال ابن كثير في سنة سبع وستمئة: قال أبو شامة: وفي ثاني شوال من هذه السنة جُددت أبواب الجامع الأموي من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر وركبت في أماكنها، وفي شوال أيضاً شُرع في إصلاح الفوارة والشاذروان والبركة، وعمل عندها مسجد وجعل له إمام راتب... ثم قال في سنة عشر وستمئة: وفيها أمر العادل أيام الجمع بوضع سلاسل على أبواب الطريق إلى الأموي، لئلا تصل الخيول إلى قريب الجامع الأموي صيانة للمسلمين عن التأذي بها والتضيق. زاد الأسدي: ثم تُرك وعاد الأمر ما كان عليه... ثم قال في سنة إحدى عشرة وستمئة: قال أبو شامة: وفيها شُرع في

تبليط داخل الجامع الأموي، وبدؤوا بناحية السبع الكبير، وكانت أرض الجامع قبل ذلك حفراً وجوراً، فاستراح الناس بتبليطه. ثم قال في سنة ثلاث عشرة وستمئة: قال أبو شامة: وفيها أُحضرت الأوتاد الخشب الأربعة لأجل قبة نسر الجامع، طول كل واحد اثنان وثلاثون ذراعاً بالنجاري. ثم قال في سنة أربع عشرة وستمئة: وفي ثالث المحرم كمل تبليط داخل الجامع الأموي، وجاء المعتمد مبارز الدين إبراهيم المتولي بدمشق، فوضع آخر بلاطة منه بيده، وكانت عند باب الزيادة فرحاً بذلك. ثم قال في سنة سبع عشرة وستمئة: وفي هذه السنة نُصب محراب الحنابلة بالرواق الثالث الغربي من جامع دمشق بعد ممانعة من بعض الناس لهم، ولكن ساعدهم بعض الأمراء في نصبه وهو الأمير ركن الدين المعظمي، وصلَّى فيه الشيخ موفق الدين بن قدامة، ثم رُفع في حدود سنة ثلاثين وسبعمئة وعُوِّضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيادة، كما عَوَّضوا الحنفية عن محرابهم الذي كان في الجانب الغربي من الجامع بالمحراب المجدد لهم في باب الزيادة حين جُدد الحائط الذي هو فيه في الأيام التنكزية على يدي ناظر الجامع ابن مراجل أثابه الله تعالى.... ثم قال في سنة سبع وعشرين وسبعمئة: وفي العشر الأول من ذي الحجة كمل ترخيم الجامع الأموي، أعني حائطه الشمالي، وجاء تنكر حتى نظر إليه فأعجبه وشكر ناظره تقي الدين بن مراجل... ثم قال ابن كثير في سنة ثمان وعشرين وسبعمئة: وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرين شهر رجب رُسم للأئمة الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي بالصلاة في الحائط القبلي من الجامع الأموي، فعُيِّن المحراب الجديد الذي بين باب الزيادة والمقصورة للإمام الحنفي، وعُيِّن محراب الصحابة للمالكي، وعُيِّن محراب مقصورة الخضر الذي كان يُصلي فيه المالكي للإمام الحنبلي، وعُوِّض إمام محراب الصحابة بالكلاَّسة... ثم قال في سنة تسع وعشرين وسبعمئة: وفي الحادي والعشرين من صفر كمل ترخيم الحائط القبلي من جامع دمشق، وبُسط الجامع جميعه وصُلِّي به الجمعة من الغد، وفُتح باب الزيادة، وكان له أياماً مغلقاً، وذلك في

أيام مباشرة تقي الدين بن مراجل المذكور. ثم قال في سنة ثلاثين وسبعمئة: وفي شهر ربيع الآخر شُرع في ترخيم الجانب الشرقي من الجامع الأموي ليشبه الجانب الغربي، وشاور تقي الدين بن مراجل النائب والقاضي على جمع الفصوص من سائر الجامع الأموي في الحائط القبلي، فرسما له بذلك.

ورأيت بخط البرزالي في يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول من السنة المتقدمة: حضر نائب السلطنة وقاضي القضاة علم الدين الأخنائي الشافعي إلى جامع دمشق، فشاورهما ناظر الجامع المعمور في جمع الفصوص المفرقة في حيطان الجامع وأن تجعل في الحائط القبلي، فحصل الاتفاق على ذلك وشرع فيه في خامس الشهر المذكور، فنُقض الترخيم من الجانب الشرقي وجُدد وذُهِّب، وعمل نسبة للجانب الغربي الذي تقدم عمله، وكمل ذلك في آخر هذه السنة وأُخِّر أمر الفصوص. وقال في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمئة: وفي الثالث والعشرين من جمادى الأولى كمل بسط الجامع، فاتسع على الناس، ولكن حصل حرج بحمل الأمتعة - يعني المداسات - على خلاف العادة، فإن الناس كانوا يمرون وسط الرواقات ويخرجون من باب البرادة ومن شاء استمر يمشي إلى الباب الآخر بنعليه، ولم يكن ممنوعاً سوى المقصورة لا يمكن لأحد الدخول إليها بالمداسات بخلاف باقي الرواقات، فأمر نائب السلطنة بتكميل بسطه....

ورأيت في مختصر تاريخ الإسلام للذهبي في سنة سبع وخمسمئة: وكان بطبرية مصحف عثمان، فنقله طغتكن إلى جامع دمشق، فهو الذي بمقصورة الخطابة.

وقال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام في سنة أربعين وسبعمئة: وفيها كان الحريق الكبير في دمشق بالدهشة ثم بقاسارية القيسي، وذهب لأهلها أموال، واحترقت المأذنة الشرقية... وقال في ذيل العبر في السنة المذكورة: وفي ليلة السادس والعشرين من شوال وقع بدمشق حريق كبير

شمل اللبادين والقبلية وما تحتها وما فوقها إلى حد سوق الوراقين وسوق الدهشة وحاصل الجامع وما حوله والمأذنة الشرقية، وعَدِم للناس فيه من الأموال والمتاع ما لا يحصى كثرة....

وقال [ابن قاضي شهبة سنة ٨١٥هـ] رحمه الله تعالى في ذي القعدة منها: وفي هذا الشهر عمل الدرابزين لمأذنة العروس. وقال في صفر سنة ست عشرة وثمانمئة: فرغ من بناء المأذنة الغربية، وقد كان احترق رأسها في الفتنة، واستمرت إلى أن كان الفراغ منها في هذا الوقت. وقال في شعبان منها: وفي آخر هذا الشهر سُكنت الصاغة التى عُمِّرت في أوائل هذه السنة وفُرِغ منها في هذا الوقت، وجاءت في غاية الحسن، وسكن في بعضها تجار ثم سكن في الباقي العنبرانيون... وقال في رمضان سنة ثلاث وعشرين وثمانمئة: وفي يوم الأربعاء رابع عشريه، حضر ملك الأمراء يعني جقمق والقضاة وجماعة من الفقهاء إلى الجامع، فجلسوا عند محراب الحنفية، وقد بُيِّت على المتصدرين والمؤذنين ليحضروا، والمقصود اختبار من يصلح من غيره، فأول ما قرئ قلم المباشرين فقطع منهم جماعة، ومن جملة ذلك معلوم الناظر قطع منه ستمئة في الشهر، فجاء جملة ماقطع من هذا القلم خمسة وثلاثين ألفاً، فقال النائب هذا المبلغ يكفي العمارة كل سنة، ولا يجتمع بعد ذلك على المتصدرين والمؤذنين، ثم قرئ قلم المباشرين العمارة وهو عشرة آلاف، فرسم بقطعه جميعه، وقال للناظر والمباشرين: باشروا ذلك بأنفسكم وإن احتجتم إلى أمين على آلات العمارة هاتوا مغربياً كل يوم بدرهمين، فإذا أفرغت حاجتكم منه يروح، ثم قرئ عليه قلم المتصدرين، فقطع منهم من لا يصلح، والمبلغ المتوفر من ذلك ليس بكثير، ثم قرئ قلم المؤذنين، فقطع منهم أربعة عشر نفساً من ليس بصيِّت أو لا يباشر، ثم قطع من القرَّاء ستة آلاف وكانوا يقبضون ثمانية عشر ألفاً، وآخر قلم قرَّاء الحديث لينظر فيه قاضي القضاة، ونقص من المشارفين ستة وكانوا ثمانية، وقطع من الفرَّاشين والذي يبسط السجادة، ووعد المؤذنين والمتصدرين بأن يكمل لهم ما نقص في

هذه السنة من معاليمهم وهو الربع، وافترقوا على ذلك، ثم لم يفوا بذلك بل استُخرج معلوم من قطع وصرف في العمارة وعرف الذي أرصده في أول سنة العمارة، فلا حول ولا قوة إلا بالله....

وقال في الأعلاق الخطيرة: ولما ملك دمشق الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل، عمل وزيره أمين الدوله عبد السلام السامري بالجامع الأموي طلسماً للحمام فلا تدخله، وصحَّ في الأيام الصالحية النجمية أن احترقت المأذنة الشرقية بجامع دمشق عند أول قدومه إليها في سنة خمس وأربعين وستمئة، وأقامت خراباً ثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً، فأمر السلطان في أوائل سنة سبع وأربعين وستمئة وقيل في سنة ثلاثة وأربعين وستمئة بعمارتها، وتولى عمارتها الشهاب الرشيد الصالحي نائب المملكة، وكان بباب البريد في وسطه بين الأساطين حوانيت يُباع فيها أنواع الفواكه وغيرها من الأطعمة، وكان أزجه لاطياً، فأخَّر بها وعلَّى أزجه وكلَّسه ومنع من كان يجلس فيه للمعاش.

وفي الأيام الناصرية الصالحية: ابن الملك العزيز فرض من ماء القنوات زيادة على ماء بانياس للجامع الأموي المعمور عند انقطاع ماء بانياس مقدار سبع عشرة إصبعاً من أصابع الماء للكلَّاسة وللبركة المجددة بباب البريد القسطل المساق للبيمارستان الدقاقي ولمشهد عروة بتولي عز الدين بن عبد العزيز بن محمد بن وداعة الجيلي. وفي الأيام الركنية الظاهرية: أُخرجت بأمره الصناديق والخزائن وفُكت المقاصير وكانت قريباً من ثلاثمئة خزانة ومقصورة، وجدَّوا فيها قوارير البول والعرس والسجاجيد الكثيرة، ومنع أن يبيت أحد من المجاورين بجامع دمشق، وأُشليت الدربزينات، فاستراح الناس والجامع من ذلك واتسع على المصلين، وذلك في سنة ثمان وستين وستمئة بولاية افتخار الدين أيار الحراني، وكانت قد رُفعت من الجامع جميع الخزائن والصناديق في سنة خمس وتسعين وخمسمئة ثم أُعيدت، وصلّى خلَّد الله مُلكه فيه في هذه السنة بعض الجُمع، وطاف فرأى

الحائط القبلي قد اتسخ رخامه وتشعَّثت الفسيفساء، فأمر بإصلاحها وغسل الأساطين وتذهيب رؤوسها، وتغيير ما يجب تغييره من الرخام....

وكان بصحن الجامع الأموي حواصل للمنجنيقات وحواصل للأمراء وغيرها من خيم وغيرها، فأمر بإزالتها، فاتسع الجامع وزاد رونقه، وتطلب كتب وقفه وكانت قد أهمل النظر فيها، وأجرى الوقوف على شروطها من واقفيها، وإنما كان المتولي للنظر فيها يعمل بمقتضى رأيه في منعه وإعطائه، فحُملت إليه بعد ما شق على الباحث عنها وجودها، فوجدها قد تمزق القديم منها وما كان وقفه الملك العادل نور الدين محمود ومن بعده من الملوك قد كادت كتبها أن تتلف، فأمر بإحياء خطوطها وإثباتها عند سائر القضاة، واجتهد فيها حسب ما اقتضته آراؤه السعيدة وأفعاله الرشيدة، وكذلك فعل في وقف البيمارستان الكبيرة، وليس ذلك بمستنكر من خلائقه في إقامة منار الإسلام ورفع من خفضه البخوت على التخوت من العلماء الأعلام، وكانت سائر الوقوف المرصدة على ما وقفت عليه مضافة إلى وقف الجامع الأموي، وكانت لاتصرف في أربابها؛ وإنما تصرف في مرتب الجامع، فأفردها عنه وولاها من يصرفها على شروط من وقفها،-وأثبت كتبها كما فعل فيما عداها من الأوقاف الجامعية والبيمارستانية.

ويشتمل هذا الجامع في الوقت الذي وضعنا فيه هذا الكتاب على تسعة أئمة يصلون فيه الصلوات الخمس... وفيه لإقراء القرآن في هذا الوقت ثلاثة وسبعون متصدراً يعسر تعدادهم.

وفيه من الأسباع المجرى عليها الأوقاف... وفيه من الخلق للاشتغال بالعلم الشريف المصروف عليها من مال الصالح... وفيه من حلق الحديث الشريف....

وفيه من المدارس: الغزالية وتعرف بالشيخ نصر المقدسي، والأسدية للملك المظفر أسد الدين شيركوه وهي شافعية، والمنجائية لابن منجا حنبلية، والقوصية حنفية، والسفينية حنفية، والمقصورة الكبيرة حنفية، والزاوية المالكية، والشيخية لابن شيخ الإسلام....

- جامع الكريمي[1] [٧١٨هـ]:

بالقبيبات.

قال الحافظ ابن كثير في تاريخه في سنة ثمان عشرة وسبعمئة: وفي بكرة يوم الإثنين التاسع من صفر، قدم القاضي كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله وكيل الخاص السلطاني بالبلاد جميعها، قدم دمشق فنزل في دار السعادة فأقام بها أربعة أيام، وأمر ببناء جامع القبيبات الذي يقال له جامع كريم الدين، وذهب إلى زيارة بيت المقدس وتصدّق بصدقات كثيرة وافرة، وشرع في بناء الجامع بعد سفره.

وقال فيها أيضاً: وفي سادس عشر شعبان خُطِب بجامع القبيبات الذي أنشأه كريم الدين وكيل السلطان، وحضر فيه القضاة والأعيان، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن الوزير الحراني الآمدي الحنبلي، وهو من الصالحين الكبار ذوي الزهادة والعبادة والنسك والتوحيد وطيب الصوت وحسن السمت. وقال في سنة عشرين وسبعمئة: وفي العشر الأول من شوال جرى الماء بالنهر الكريمي الذي اشتراه كريم الدين وكيل الخاص بخمسة وأربعين ألفاً أجراه في جدول إلى جامعه بالقبيبات، فعاش به الناس وحصل به الأُنس لأهل تلك الناحية، ونُصبت عليه الأشجار والبساتين، وعُمل حوض كبير تجاه الجامع من المغرب يشرب منه الناس والدواب وهو حوض كبير، وعمل مطهرة، وحصل بذلك نفع كبير ورفق زائد، أثابه الله تعالى....

وقال الأسدي في ذيله في سنة خمس وثمانمئة: وفي يوم الجمعة عاشره بعد العصر احترق سوق جامع كريم الدين والناس في الصلاة.

---

(١) ويعرف بجامع الدقاق، وهو قائم اليوم.

- جامع المصلَّى [٦٠٦هـ]:

قبلي البلد، من خارج محلة ميدان الحصى.

قال ابن شداد: أنشأه الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب، بتولي الصاحب صفي الدين بن شكر، في شهور سنة ست وستمئة، ولم يتهيأ له وقف.

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه في سنة سبع وستمئة: قال أبو شامة: في سابع شوال شُرع في عمارة المصلًّى، وبُني له أربعة جدر مشرفة، وجُعل له أبواب صوناً لمكانه من الميتات ونزل القوافل، وجُعل في قبلته محراب من حجارة ومنبر من حجارة، وعُقدت فوق ذلك قبة. ثم في سنة ثلاثة عشرة وستمئة عُمل في قبلته رواقان، وعُمل له منبر من خشب، ورُتب له خطيب راتب وإمام راتب، ومات العادل المذكور ولم يتم الرواق الثاني منه وذلك على يد الوزير صفي الدين بن شكر. وقال في سنة ثلاث عشرة وستمئة: وفيها فُرغ من بناء المصلًّى ظاهر دمشق، ورُتب له خطيب مستقل، وأول من باشرها الصدر معيد الفلكية ثم خطب بعده بهاء الدين بن أبي اليسر ثم بنو حسان وإلى الآن.

وتبعه الأسدي، إلا أنه قال: واستمرت الخطابة في بني حسان إلى زماننا الآن فانقرضوا.

وقال الكتبي في سنة سبع وستمئة: وفي سابع شوال منها شرعوا في عمارة المصلى ظاهر دمشق المجاور لمسجد النارنج، برسم صلاة العيدين وفُتحت له الأبواب من كل جانب، وبُني له منبر كبير عال بجانب المحراب.

- جامع جرّاح[1] [٥٧٨هـ]:

خارج الباب الصغير، بمحلة سوق الغنم.

---

(١) يقع بالقرب من مقابر الباب الصغير من الشرق، وهو اليوم بحالة مقبولة. ولم يذكر النعيمي أن أول من بناه السلطان صلاح الدين الأيوبي في المحرم سنة ٥٧٨هـ، ثم جدّده المضحي (أو المنيحي)، ثم أقامه الأشرف موسى جامعاً جديداً.

وكان هذا الجامع كما تقدم في المساجد مسجداً للجنائز كبيراً وفيه بئر خرب، فجدَّده جرَّاح المضحي، ثم أنشأه جامعاً الملك الأشرف موسى بن الملك العادل في سنة إحدى وثلاثين وستمئة كما قال ابن كثير والصلاح الكتبي.

قال ابن شداد: وجدَّد معه أيضاً مسجداً بدار السعادة داخل باب النصر، ووقف على الجامع والمسجد قرية من أعمال مرج دمشق وتعرف بالزعيزعية، وشرط فيها للخطيب بالجامع في كل شهر عشرين درهماً وللإمام بالمسجد في كل شهر خمسين درهماً والمؤذن والقيم ثلاثين درهماً ولعشرة قرَّاء في الشهر لكل منهم عشرة دراهم، ثم أُحرق في أيام الملك الصالح عماد الدين إسماعيل في أواخر سنة اثنتين وأربعين وستمئة لما نازل دمشق معين الدين بن الشيخ، ثم جدَّد بناءه الأمير مجاهد الدين محمد بن الأمير غرس الدين قليج النوري في سنة اثنتين وخمسين وستمئة.

- جامع الملَّاح(١) [٦٦٤هـ]:

خارج باب شرقي.

أنشأه الصاحب شمس الدين غبريال ناظر الدواوين بدمشق، المتشرّف بالإسلام في سنة إحدى وسبعمئة كما قاله البرزالي في سنة أربع وثلاثين وسبعمئة.

قال ابن كثير في سنة ثمان عشرة وسبعمئة: وفي يوم الجمعة السابع عشر من ذي الحجة أُقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه الصاحب شمس الدين غبريال إلى جانب ضرار بن الأزور رضى الله تعالى عنه بالقرب من محلة الملاح أي القعاطلة، وخطب به الشيخ شمس الدين محمد بن التدمري المعروف بابن النيرباني، وهو من كبار الصالحين ذوي العبادة والزهادة....

---

(١) كان يُسمى مسجد غبريال أيضاً، ويُعرف اليوم بجامع ضرار بن الأزور بعد أن آل للانهيار وجُدد. ولم يذكر النعيمي أن من عمَّره أولاً يوسف القرعوني سنة ٦٦٤هـ في محلة الملّاح، ثم أقام شمس الدين غبريال مكانه جامعاً جديداً.

- **جامع الخليخاني [٧٣٦هـ]:**

خارج باب كيسان.

قال ابن كثير في سنة ست وثلاثين وسبعمئة: وفي سلخ شهر رجب أُقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه نجم الدين بن خليخان تجاه باب كيسان من القبلة، وخطب به الشيخ الإمام العلّامة شمس الدين ابن قيم الجوزية.

ورأيت بخط البرزالي في السنة المذكورة نحو ذلك، وزاد: وكان قد نُودي في البلد لذلك، فحضر خلق كثير من الأعيان وغيرهم.

- **جامع المزاز [القرن الثامن أو التاسع الهجري]:**

بالشاغور.

قال الأسدي في ذيله في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمئة: السيد تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن جعفر الزيني الجوخي، باني جامع المزاز بالشاغور بعد أن كان مسجداً، وكان رجلاً حسناً منجمعاً عن الناس، مولده سنة تسع وأربعين وسبعمئة، وتوفي يوم الأحد ثامن عشريه، ودُفن بباب الصغير، وهو أخو السيد شمس الدين محمد الزيني، وهو أسن من أخيه، رحمهما الله تعالى.

- **جامع الطواشي [٨١٣هـ]:**

خارج باب النصر المعروف بباب السعادة.

قال الحافظ شهاب الدين بن حجي في سنة ثلاث عشرة وثمانمئة: وفي الرابع عشري المحرم منها فُرغ من عمارة المسجد المعروف بالعمري خارج باب النصر برأس حكر السماق، وكان مسجداً قديماً بوسط الطريق، فحوّل إلى غرب الطريق توسعة للطريق على المارة، ثم أُحدث فيه خطبة في أيامنا، ثم خرب في أيام الفتنة فجدّده الطواشي مرجان خازندار الأمير شيخ، وعمل

فيه خطبة، ووسَّعه ووقف عليه وقفاً، ورتَّب له إماماً وخطيباً، وجعل فيه محدِّثاً يقرأ الحديث وقارئ حديث، وجعل الشيخ جمال الدين بن الشرايحي متصدراً لإقراء الحديث.

وقال التقي بن قاضي شهبة في العشر الأخير من صفر سنة ثلاث عشرة وثمانمئة: وفي هذه الجمعة فُرشت الحصر بالجامع الجديد خارج باب النصر، بناه مرجان طواشي النائب يعني شيخ الخاصكي، وجعل في جوانبه حوانيت ووقفها عليه، وجاء في غاية الحُسن، ولم يفرغ إلى الآن منبره ولا دهانه، وهمَّ في همة تكميل ذلك، وجلست فيه للاشتغال بالعلم في كل أسبوع ثلاثة أيام وفي جامع تنكز يومين آخرين. وقال في ربيع الأول منها: وفي يوم الجمعة مستهله خُطب بالجامع الجديد خارج باب النصر، وحضر بانيه مرجان خازندار النائب وجماعة، مع أنه لم يعمل المنبر بعد، وإنما همَّ في همته.

- جامع يلبغا[(١)] [٧٥٧هـ]:

على شط نهر بردى، تحت قلعة دمشق.

قال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين في توضيح المشتبه في كلامه على القرمي: وجدت بخط الشيخ القدوة أبي سعيد مساعد بن ساري رحمه الله تعالى، سمعت الشيخ محمد بن القرمي بالقدس يقول: كان موضع جامع يلبغا تلاً يُشنق عليه، حتى شُنق عليه فقير مجذوب شطح فقُتل عليه مشنوقاً، ولم يُقتل عليه أحد بعده، وكانوا يرون أن ذلك بسببه.

وقال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام في سنة سبع وأربعين [وسبعمئة]: وفي هذا العام أنشأ الجامع السيفي يلبغا بدمشق[(٢)]. وقال في سنة

---

(١) وهو المعروف اليوم على طرف ساحة المرجة، وأوشكت أعمال إعادة بنائه على الانتهاء.

(٢) وقد تكامل البناء بصورة نهائية في شهر رمضان سنة ٧٥٧هـ، أي بعد عشرة أعوام من مباشرة البناء.

ثمان وأربعين وسبعمئة: وفي جمادى الأولى جاء الخبر إلى دمشق بمسك جماعة من كبراء أمراء مصر، منهم آق سنقر والحجازي وبيدمر البدري وغيرهم تتمه ستة، فجمع نائب الشام الأمير سيف الدين يلبغا الأمراء بعد الموكب واستشارهم فيما يصنع، فاختلفوا عليه، فكاتب إلى النواب بالبلاد الشامية، فأجابه بالطاعة نائب حلب المحروسة أرغون شاه، فتحوّل نائب دمشق بأهله وخزائنه إلى القصر الظاهري فأقام به أياماً، فقدم عليه أمر السلطان يعلمه أنه قد كتب تقليد أرغون شاه نائب حلب المحروسة نيابة دمشق، ويأمره بالشخوص إلى القاهرة، فانتهر الرسول ورده بغير جواب، فلما كان من الغد وهو يوم الخميس منتصف الشهر خرج بجميع أهله وغلمانه ودوابه وحواصله إلى خارج البلد عند قبته المعروفة به اليوم، وخرج معه أبوه وإخوته وجماعة من الأمراء منهم قلاوون وسبعة ممن أطاعوه، فباتوا ليلتين بأرض القبيبات، فلما كان من الغد يوم الجمعة نُودي في البلد: من تأخرَ من الأمراء والجند شُنق على باب داره، فتأهَّب الناس للخروج، وطلع الأمراء فاجتمعوا إلى السنجق السلطاني تحت القلعة، فلما تكاملوا ساروا نحوه بعد صلاة الجمعة ليمسكوه، فجهَّز ثقله وزاده وما خف عليه من أمواله ثم ركب بمن أطاعه، ووافاه الجيش عند ركوبه وهابوا أن يبتدوه بالشر فتقدمهم وساروا وراءه، وأما أهل القبيبات وعوام الناس والأجناد الباطلة فنهبوا خيامه، وكان قيمة ذلك ما يزيد على مئة ألف درهم فقطعوها، ونهبوا مطبخه وما قدروا عليه من الشعير والجمال والمتاع، وأما العسكر فساقوا خلفه وتتابعت عليه الجيوش وأحاطت به العرب من كل جانب، فألجؤوه إلى واد بين حماة وحمص، فدخل إلى نائب حماة بعد أن قاسى من الشدائد ما قاسى، فاستجار به فأجاره وأنزله وأكرمه، وكتب إلى السلطان الملك المظفر يعلمه بذلك، فجاءه الجواب بمسكه فقبض عليه نائب حماة وقيَّده وأرسل به متحفظاً عليه، فلما وصل إلى قاقون جاءه أمر الله تعالى فخُنق هناك واجتزوا رأسه ومضوا به إلى القاهرة، ثم قدم إلى دمشق شيخنا الأمير نجم الدين الزيبق

صحبة الصاحب علاء الدين الحراني للحوطة على أموال يلبغا ومن معه من الأمراء. ثم قال: في ثامن جمادى الآخرة قدم الأمير سيف الدين أرغون شاه من حلب المحروسة على نيابة دمشق....

قال الأسدي في ذيله في سنة تسع وثلاثين وثمانمئة: في المحرم وفي يوم السبت الرابع والعشرين منه رأيت القبة التي كانت مشهورة بقبة جامع يلبغا قد أُزيلت وبُني موضعها سقف على المسجد، فعل ذلك الأمير محمد بن منجك، وكان سبب ذلك أن الناس كانوا يظنونها قبة يلبغا وأن الزاوية له، وإنما ذلك للأمير الأمجد محمد بن منجك رحمه الله تعالى، وقبة يلبغا فإنها غربيها. ولعل صوابه شرقيها، والله تعالى أعلم.

- جامع تنكز[1] [٧١٨هـ]:

قال ابن كثير في تاريخه في سنة سبع عشرة وسبعمئة: وفي صفر منها شُرع في عمارة الجامع الذي أنشأه أمير الأمراء تنكز نائب الشام ظاهر باب النصر تجاه حكر السماق على نهر بانياس بدمشق، وتردد القضاة والعلماء في تحرير قبلته، فاستقر الحال في أمرها على ما قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية. في يوم الأحد الخامس والعشرين منه شرعوا في بنائه بأمر السلطان ومساعدته لنائبه في ذلك. وقال فيها أيضاً: وفي شعبان تكامل بناء الجامع الذي عمَّره الأمير تنكز ظاهر باب النصر، وأُقيمت الجمعة فيه يوم عاشر شعبان، وخطب فيه الشيخ نجم الدين علي بن داود بن يحيى الحنفي المعروف بالقحفازي، من مشاهير الفضلاء بدمشق وذوي الفنون المتعددة بها، وحضر نائب السلطان والقضاة والأعيان والقرّاء والمشدون، وكان يوماً مشهوداً. وقد تقدمت ترجمة منشئه تنكز ملخصة في دار القرآن والحديث له. والله أعلم.

---

(١) المعروف المشهور اليوم في شارع النصر.

- جامع السلطان [٨١٨هـ]:

خلف مسجد المؤيد[١].

قال الأسدي في ذيله: في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وثمانمئة وفي يوم الثلاثاء تاسعه همُّوا في عمارة الجامع الذي رسم ببنائه السلطان تحت القلعة مقابل برج باب الحديد، وكان له مدة قد بطلوا العمل فيه، ولكن نقلوا إليه في هذه المدة حجارة كثيرة كباراً من السور الذي عند باب جيرون.

- جامع التوبة[٢] [٦٣٢هـ]:

بالعقيبة.

قال ابن شداد: أنشأه الملك الأشرف أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب في سنة اثنتين وثلاثين وستمئة، وكان يُعرف قديماً بخان الزنجاري، وكان به كل مكروه من القيان وغيره....

- جامع العقيبة [٨١٧هـ]:

قال الأسدي في ذيله في سنة سبع عشرة وثمانمئة: وفي هذا الشهر جُدِّد جامع بالعقيبة الكبرى بالساحة وجُعل فيه خطبة، وكان مسجداً فوُسِّع وجُعل جامعاً وبُني له مأذنة، فعل ذلك شخص تاجر.

- جامع الجوزة[٣] [٨٠٤هـ]:

غربي عمارة السلطان القايتبائية.

قال الأسدي في ذيله في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمئة: وفي هذا الشهر بلغني أن القاضي بدر الدين ناظر الجيش وسَّع في مسجد الجوزة من

---

(١) تحت قلعة دمشق.

(٢) وقد جُدد سنة ١٤٠٨هـ.

(٣) وهو قائم اليوم.

شماليه، وجعله جامعاً[1]، وحصل الرفق لأهل تلك الناحية بذلك. وقال في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين: وممن توفي فيه زوجة القاضي بدر الدين حسن - يعني ابن نجم الدين المتشرف بالإسلام - ناظر الجيش، وكان لها بنت من غيره، وهي زوجة الأمير أزبك الدوادار... وإليها تُنسب التوسعة في جامع الجوزة....

- جامع مسجد الأقصاب[2] [٨١١هـ]:

قال الحافظ شهاب الدين بن حجي في سنة إحدى عشرة [وثمانمئة]: وفيها وقع بين القاضي المالكي وابن الحسباني المباشر لقضاء الشافعية بسبب أن مسجد القصب قصد توسعته من جهة القبلة من أرض خان فارس، وأن المالكي يحكم بأخذ الأرض بقيمتها قهراً، ومانعه الشافعي، فجرت بينهما أمور، ثم وقع استفتاء، فكتب على الفتوى بعد مراجعة كتب المالكية واستقر الجواب فيها على المنع عند المالكية على ما بيَّنته الفتوى.

وقال الشيخ تقي الدين بن قاضي شهبة عقيبه: وقد أخرب الأمير ناصر الدين بن منجك المسجد المذكور وبناه جامعاً كبيراً، ولكن أُخذت أرضه على غير طريق مرضي[3]....

- جامع السقيفة[4] [٨١٤هـ]:

خارج باب توما.

---

(١) كان من مساجد دمشق القديمة، ثم جدّده الأمير شاهين الفارسي سنة ٨٠٤هـ، ولم يذكر ذلك النعيمي.

(٢) وهو قائم اليوم، ويعرف أيضاً بجامع منجك وجامع السادات، لوجود سبعة من الصحابة فيه، منهم حجر بن عدي، وهذه القبور على يمين الداخل.

(٣) وهو من مساجد دمشق القديمة، وقد جُدِّد عدة مرات، منها سنة ٧٢١هـ وأُقيمت فيه أول خطبة، وكان التجديد الكبير سنة ٨١١هـ على يد ابن منجك المذكور أعلاه.

(٤) قائم اليوم، وهو من مساجد دمشق القديمة، وكان يُعرف بمسجد الكنيسة، ثم تهدَّم مرات، إلى أن أقامه الطوغاني سنة ٨١٤هـ.

قال الشيخ تقي الدين بن قاضي شهبة في صفر سنة أربع عشرة وثمانمئة: وفي هذا الشهر فُرغ من الجامع الذي جُدد بالسبعة، وجُعل له شبابيك على النهر، وارتفق به أهل تلك المحلة، بناه شخص يقال له خليل الطوغاني رأس نوبة في دار السعادة، وفي السنة التالية جُدِّدت خطبة بالمدرسة الحلبية، فبقي في هذا الخط ثلاث جُمع تُقام، يعنى هاتين الاثنتين وخطبة المدرسة الزنجية، ثم قال في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وثمانمئة: غرس الدين خليل الطوغاني نقيب النقباء بدار السعادة، أنشأ جامعاً عند باب توما على النهر وجاء حسناً، ورتَّب فيه خطيباً ومؤذِنَين وقارئاً للحديث، وخرج إلى القسم فمات هناك، وحُمل إلى دمشق ودُفن بها، وكان شيخاً إن لم يكن من الظلمة فهو من أعوانهم، سامحه الله تعالى، وخلَّف ولدين، فباشرا عنه وظيفته.

- جامع القابون [٧٢١هـ]:

قال ابن كثير في سنة إحدى وعشرين وسبعمئة: وفي منتصف شهر رمضان منها أُقيمت الجمعة بالجامع الكريمي بالقابون، ويومئذ شهدها القضاة والصاحب وجماعة من الأعيان. وقد مرَّت ترجمة الكريمي هذا في جامعه بالقبيبات.

-جامع داريَّا الكبرى [٥٦٥هـ]:

قال شيخنا بدر الدين الأسدي في كتابه الكواكب الدرية في السيرة النورية في سنة خمس وستين وخمسمئة: وفيها أمر نور الدين بعمارة جامع داريا القائم الآن، وكان قديماً عند أبي سليمان الداراني، فأحرقه الفرنج لما تولوا على داريا أيام مجير الدين أبق، فعمَّره نور الدين في هذه السنة وجعله وسط البلد، وعمَّر بها - أي بداريا أيضاً - مشهد أبي سليمان الداراني.

- جامع المزة [القرن السادس أو السابع الهجري]:

عمَّره الوزير صفي الدين بن شكر.

قال الأسدي في تاريخه في سنة اثنتين وعشرين وستمئة: عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسن بن منصور الصاحب الوزير الكبير صفي الدين أبي محمد المصري الدميري المالكي المعروف بابن شكر، وُلِد بالدميرة بين الإسكندرية ومصر، سنة ثمان وأربعين [وخمسمئة]....

قال ابن كثير: وعمل أشياء في أيام وزارته للملك العادل، منها: تبليط جامع دمشق وإحاطة سور المصلًى، وعمل الفوارة ومسجدها، وعمَّر جامع المزة.

قال المنذري: وكان مؤثراً للعلماء والصالحين كثير البر بهم والتفقد لهم، لا يشغله ما هو فيه من كثرة الأشغال عن مجالستهم ومباحثتهم، وأنشأ مدرسة قبالة داره بالقاهرة.

وقال أبو شامة: وكان خليقاً بالوزارة لم يتولها مثله، وصنَّف كتاباً سمَّاه: البصائر، نوَّر فيه على الأوائل والأواخر، وفي آخر أمره فوَّض إليه الملك الكامل الأمور على عادته في أيام وزارته، فتوفي على حرمته. كذا ذكره الذهبي.

وقال ابن كثير: وبقي معزولاً من سنة خمس عشرة إلى أن توفي في نصف شعبان منها[1]، ودُفن بتربته عند مدرسته بمصر....

قال كاتبه خويدم الطلبة والفقراء أبو زكريا يحيى بن النعيمي مؤلف هذا الكتاب تغمده الله برحمته: قد خرب هذا الجامع الصفي وبطلت الصلوات فيه من مدة سنين، إلى أن أمر مولانا السلطان سليمان بن عثمان بعمارة جامعه والتكية مكان قصر الملك الظاهر، أُخذت آلات جامع الصفي إلى ذلك وكذلك آلات جامع النيرب، وحصل للسيد تاج الدين عبد الوهاب الصلتي بمقتضى ذلك هم وغم كثير، وكان ذلك في سنة خمس وستين وتسعمئة....

---

(١) أي سنة ٦٢٢هـ.

- **جامع الأفرم [٧٠٦هـ]:**

غربي الصالحية.

قال ابن كثير في سنة ست وسبعمئة: وفي مستهل ذي القعدة كمُل بناء الجامع الذي أنشأه وبناه الأمير جمال الدين نائب السلطنة الأفرم، ورتّب فيه خطيباً يخطب يوم الجمعة، وهو القاضي شمس الدين محمد بن أبي العز الحنفي.

- **جامع الجبل[1] [٦٠٤هـ]:**

المشهور بجامع الحنابلة وبالمظفري، بسفح قاسيون.

قال ابن كثير في تاريخه وتبعه الأسدي في سنة ثمان وتسعين وخمسمئة: وفيه شرع الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي في بناء المسجد الجامع الجبل، فأنفق عليه رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الفامي حتى بلغ البناء مقدار قامة، فنفد ما كان معه، فأرسل الملك المظفر كوكبوري بن زين الدين علي كجك صاحب إربل مالاً جزيلاً لتتميمه فكمُل، وأرسل ألف دينار ليُساق بها إليه الماء من قرية برزة، فلم يمكنه من ذلك الملك المعظم صاحب دمشق، واعتذر بأن هذا فرش قبور كثيرة للمسلمين، وصنع له بئر وبغل يدور، ووقف عليه وقفاً لذلك....

وقال ابن شداد: أول من خطّه الحاج علي الفامي من محلة مسجد القصب خارج باب السلامة، ثم بلغ مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل أن الحنابلة بدمشق شرعوا في عمل جامع بسفح قاسيون، وأنهم عاجزون عن العمل، فسيَّر مع حاجب من حجابه يسمى شجاع الدين الإربلي ثلاثة آلاف دينار أتابكية لتتميم العمارة ومهما فضل من ذلك يشتري له وقف ويوقف عليه، وأول من ولي خطابته الشيخ أبو عمر المقدسي.

---

(١) وهو قائم اليوم ومشهور في الصالحية، وقد تم تجديده سنة ١٤٠٨هـ.

وقال ابن كثير في تاريخه في سنة سبع وستمئة في ترجمة الشيخ أبي عمر: باني المدرسة وولي خطابة الجامع المظفري وهو أول من خطب به، وكان يخطب وعليه لباسه الضعيف وعليه أنوار الخشية والتقوى، وإنما كان للمنبر الذي فيه ثلاث مراقٍ والرابعة للجلوس كما كان المنبر النبوي....

- جامع حرستا [القرن السادس أو السابع الهجري]:

أنشأه الوزير صفي الدين بن شكر، قاله الأسدي في تاريخه. وقد تقدمت ترجمة الوزير هذا في جامع المزة.

- جامع النيرب [القرن السابع أو الثامن الهجري]:

بالقرب من الربوة.

قال الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة توضيحه: النيرب من قرى الغوطة، وهي قرية حسناء من محاسن قرى دمشق من إقليم بيت لهيا، كثيرة المياه والبساتين، وبها جامع حسن تُقام فيه الجمعة، ويُقال في شرقيه قبر حنة أم مريم عليهما السلام....

وقال ابن كثير في سنة أربع وثلاثين وسبعمئة: الصدر أمين الدين محمد بن فخر الدين بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ابن أبي العيش الأنصاري الدمشقي، باني المسجد المشهور به بالربوة على حافة بردى والطهارة الحجارة إلى جانبه، والسوق الذي هناك، وله بجامع النيرب ميعاد، وُلِد سنة ثمان وخمسين وستمئة، وسمع البخاري وحدَّث به، وكان من أكابر التجار ذوي اليسار، توفي بكرة يوم الجمعة وقت أذان الفجر سادس المحرم، ودُفن بتربته بقاسيون....

- جامع الربوة [القرن السابع أو الثامن الهجري]:

قال الذهبي في ذيله على العبر: في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة وفي شهر ربيع الأول ولي قاضي القضاة جمال الدين بن جملة، وجُدِّدت بالربوة خطبة....

- جامع ابن العنبري [القرن الثامن أو التاسع الهجري]:

بدرب الصالحية الآخذ إلى الجسر الأبيض.

قال الأسدي في سنة اثنتين وأربعين وثمانمئة: وفي شهر ربيع الأول منها توفي علاء الدين علي المعروف بابن العنبري الطرابلسي، وكان له ديناً، وقدم الشام وأقام بها، وكان خصيصاً بشاهين دوادار نائب الشام الأمير شيخ، وكان له مساعده في بناء جامع التوبة، ووقف أوقافاً على جهات بر، فلما افتقر نقضها وبنى مسجداً غربي سويقه ساروجا على يمين المتوجه إلى الصالحية، ثم جعله جامعاً وجعل فيه خطبة، ثم بطلت الخطبة لما عمَّر الحاجب برسباي جامعه بالقرب منه....

- جامع الحاجب(1) [٨٣٠هـ]:

الدمشقي بسويقة ساروجا.

قال الأسدي في سنة ثلاثين وثمانمئة: وفي أواخر شهر رمضان منها صُلِّي بجامع الحاجب بسويقة ساروجا وخُطب به يوم الجمعة رابع عشره... ثم قال في شوال منها: وفي يوم الجمعة رابع عشر من الشهر المذكور صلَّى النائب والأمراء بجامع الحاجب الجديد، وخطب به قاضي القضاة خطبة بليغة، وذكر الأحاديث الواردة في فضل بناء المساجد واختلاف ألفاظها ومن خرَّجها، وهي آخر خطبة خطبها.

---

(1) وكان يقال له جامع حمَّام الورد، نسبة إلى الحمَّام الواقع إلى الشمال منه، ثم عرف بجامع الورد اختصاراً، ويعرف تاريخياً باسم جامع برسباي أو الحاجب، نسبة لبانيه برسباي الحاجب.

- جامع النحَّاس [القرن السابع الهجري]:

شرقي الركنية، بالصالحية.

قال ابن كثير في سنة أربعة وخمسين وستمئة: الشيخ عماد الدين عبد الله بن الحسين بن النحاس، ترك الخدم وأقبل على الزهادة والتلاوة والعبادة والصيام المتتابع والانقطاع إلى مسجده الجامع بسفح قاسيون نحواً من ثلاثين سنة، وكان من خيار الناس، ولما توفي دُفن عند مسجده الجامع بسفح قاسيون بتربة مشهورة به وحمَّام يُنسب إليه في مشاريق الصالحية، وقد أثنى عليه السبط، وأرَّخ وفاته كهلاً....

- جامع المرجاني [٦٦٩هـ]:

بضواحي المزة.

قال الشريف الحسيني في كتاب ذيل العبر في سنة تسع وستين وستمئة: وفيها أُكمل جامع المزة وأُقيمت فيه الجمعة في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر. وقال في سنة تسع وخمسين وسبعمئة: ومات في سادس عشري ذي القعدة شيخنا الزاهد بهاء الدين محمد بن أحمد بن المرجاني، صاحب جامع المزة وغيره من المآثر الحسنة....

- جامع قلعة دمشق [القرن السادس الهجري]:

قال العز بن شداد: وفي القلعة المحروسة المسجد الكبير الجامع الذي أنشأه نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى، فيه منارة وبركة، وعلى بابه سقاية، وله إمام ومؤذن ووقف.

قال ابن كثير في تاريخه في سنة خمس وثلاثين وسبعمئة في المحرم منها: وفيه أمر السلطان الملك الناصر ابن قلاوون بعمارة جامع القلعة وعمارة جامع مصر العتيقة....

- جامع الثابتية[1] [٧١٠هـ]:

قال الأسدي في سنة خمس عشرة وثمانمئة: وفي شهر رمضان منها توفي شمس الدين محمد بن عياش الجوخي، قال شهاب الدين بن حجي: كان ذا ثروة وأموال كثيرة ولم يكن بالجواد على إنفاقها، وقد سمع من ابن الخباز وحدَّث في هذا العام، توفي في تاسع عشره بمنزله بالقرب من حمام يلبغا، وصُلِّي عليه بجامع الثابتية، ودُفن بتربة ابن التدمري بالجامع المذكور، وقد جاوز السبعين....

- جامع ابن منجك [٨١٠هـ]:

عند جسر الفجل، وآخر ميدان الحصى.

إنشاء الأمير العوني الغيائي الهمامي الصارمي إبراهيم بن الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري[2]، قُتل رحمه الله بوقعة الأمير نعير، ولم يُعرف جسده من المقتولين....

[انتهى الكتاب]

---

(١) وهو معروف اليوم في الفحامة باسم جامع زيد بن ثابت، وقد نُقض كله سنة ١٣٨٩هـ وأُعيد بناؤه.

(٢) والصحيح أن بانيه هو محمد بن إبراهيم بن الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري، وقد صحَّح النعيمي ذلك في موضع آخر.

فهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠١٤م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة